

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

- ٢١ -

أبو فارس

فارس بن حمدان وشاعريهم

تأليف

ع. فروج

دكتور في الفلسفة
عضو المجتمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الطبعة الاولى

بيروت

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤



مكتبة منيرة

للطباعة والنشر

شارع المشرق - بيروت (لبنان)

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

— ٢١ —

أبو فارس

فارس بن حمدان وشاعريهم

تأليف

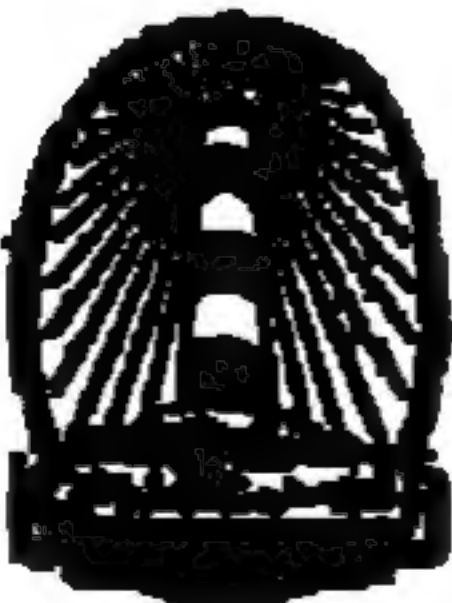
عبدفروغ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البعث الإسلامية في بومباي

الطبعة الاولى

بيروت

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤

مكتبة  منمنمة

للطباعة والنشر
شارع الميادين - بيروت - لبنان

١/٢٠٠٠/٤/٥٤

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى - بيروت
شعبان ١٣٧٣ - نيسان ١٩٥٤

عفة أبي فراس

المشهور عن أبي فراس انه لم يمدح ولم يهجو ولم يمجن لأنه أمير . ولقد كان النقاد والدارسون قد أجمعوا على ذلك . على أن انصرافنا عن أقوال النقاد — من خصوم وأنصار — الى ديوان الشاعر ينقض هذه الاحكام كلها ، فأبو فراس مدح وهجا كسائر شعراء عصره ، ولكنه لم يتكسب بمدحه ولا بهجائه . فاذا كانت النقاد قد عنوا انه لم يتكسب بمدحه ولا بهجائه فلا خير في ان نقول معهم انه لم يمدح ولم يهجو . أما أنه لم يمجن فلا تأويل لها فيما أرى . إن ابا فراس قد قال غزلاً مؤثلاً ومذكراً عفيفاً وصريحاً ، ثم له في الخمر والمجون ابيات كثيرة مبثوثة في ديوانه . ولا ريب ابدأ في ان ابا فراس قد شرب الخمر ، وغامر في سبيل اللهو ، الى حد ما على كل حال . والدفاع الوحيد الممكن عن أبي فراس في هذا الباب ان كثيراً من مجونه لم يك صادقاً ، بل كان مجازاة المذهب الشعراء في عصره : لقد قال شعراء عصره غزلاً مؤثلاً ومذكراً ، عفيفاً وصريحاً ، ومجنوا في حياتهم ثم سجلوا ذلك في اشعارهم . فاذا كان ابو فراس لم يفعل فعلهم فلماذا لا يقول مثل قولهم ؟

هذا التأول اليسير يمكن ان يوفق بين الآراء المتناقضة في شعر أبي فراس فيما يتعلق بعفته ومجونه ، وفيما يتصل بالمدح والهجاء في ديوانه .

ع. ف

مصادر هذه الدراسة ومراجعتها

*

ان المصادر والمراجع المتعلقة بابي فراس كانت وما تزال قليلة . فما كان يسمى ديوان ابي فراس لم يكن سوى مختارات ، على الرغم من ان ابا فراس شاعر مقل . واما الذين كتبوا عن خصائص شعره وعن مقامه هو في عالم الشعر فلم يتبسطوا في القول ، كما تبسطوا فيه حينما عرضوا لأبي تمام والبحري والمتني ولشعرهم . على ان ديوان ابي فراس قد لقي انصافاً صحيحاً على يد الدكتور سامي الدهان ، إذ استخرجه من جميع المخطوطات المعروفة ، وعارضه بجميع الطبعات الموجودة ، وجمع كل ما يحتاج اليه الدارس من جهة استنفاد المصادر وتحقيق النص في كتاب واحد (١) مؤلف من ثلاثة اجزاء :

١ — الجزء الاول بالفرنسية ، وفيه كلام على مخطوطات الديوان مع وصف لها ومقابلة بعضها ببعض مضافاً الى ذلك احصاء لما في امهات المخطوطات وبناتها من القصائد والأبيات والفنون . وفي هذا الجزء كلام مفصل على النقاد الذين شغلوا انفسهم بديوان ابي فراس او بشعره واخباره من قدماء ومتأخرين .

٢ — ويملاً شعر ابي فراس الجزء الثاني وبعض الجزء الثالث . ولقد اختار الناشر رواية ابن خالويه استاذ ابي فراس واحد المعجبين بشعره فاثبتها في المتن ، ثم علق في الحواشي جميع الروايات المختلفة استجماعاً للنصوص .

وربما استطرد الى امور تاريخية — وخصوصاً في الكلام على اسر ابي فراس — ولكنه لم يتعرض لشرح الكلمات ولا لتفسير الشعر ، اذ لم يكن ذلك من همه .

(١) ديوان ابي فراس الحمداني ، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه سامي الدهان (دكتور دولة في الادب من باريس) ، الناشر : المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ثلاثة اجزاء ، بيروت ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

اما القصائد المفردة فلها عادة مقدمات تاريخية في اسباب نظمها ، مقدمات تطول او تقصر ، ولكنها على كل حال مأخوذة من المخطوطات المختلفة . على ان الناشر اثبت شروحاً مطولة لبضع قصائد كان ابن خالويه نفسه قد عني بها .
وبما يؤسف له ان في تحقيق النص وضبط الالفاظ هنات قد لا تخفى احياناً على الدارس المتدبر ، وان كانت تشوه وجه هذا الجهد البارع الذي بذله الدكتور سامي الدهان .

فلعل الطبعة الثانية تعرى من هذه الهنات .

اما الجزء الثالث ففيه ، بالإضافة الى بقية اشعار ابي فراس ، اخباره بمجموعة من الكتب المخطوطة والمطبوعة . ثم يلي ذلك كله الفهارس المفصلة للاعلام ، والقوافي والبحور والفنوت (بالإضافة الى ما اثبته الناشر في الجزء الاول) . ثم يلي ذلك تصويب الاخطاء المطبعية وهي كثيرة جداً . وهذه التصويبات لا تشمل الهنات التي أشرت اليها قبل بضعة اسطر .

ومع ان هذا الديوان ، وما فيه من الاخبار ، يكفي القارئ والمطالع مؤونة الاستعانة بمراجع جديدة ، فان من المستحسن ان نعرف ان حياة ابي فراس وخصائص شعره ، وطرفاً صالحاً من اشعاره ، تلتفى في المصادر والمراجع التالية :

— ابو فراس الحمداني ، تأليف محسن عبد الكريم الامين ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٩٤٥ .

— ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

— سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، تأليف سامي الكيالي ، حلب ١٩٣٩ م .

— العمدة لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، جزءان ، مصر ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

— فخر ابي الطيب وابي فراس ، تأليف عبد الغني الباجقني ، دمشق

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

— مختارات البارودي ، تأليف محمود باشا سامي البارودي (مختارات لأبي فراس

موزعة حسب فنونها) ، اربعة اجزاء

القاهرة ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٧ م

— الموازنة بين الشعراء ، تأليف زكي مبارك ، الطبعة الثانية ، القاهرة

١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

— وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن خلكان ، جزءان ،

دار الطباعة المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ هـ .

— يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي ، القاهرة

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٩ م .

- Geschichte der arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann, Band 1, Leiden 1943 .

- Dasselbe, Erster Supplementband, Leiden 1937 .

- A Literary history of the Arabs, by Reynold A. Nicholson, London 1930.

- Abu Firâs , ein arabischer Dichter und Held von R. Dvorak, Leiden 1895 .

صورة العصر

لما بدأ القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) كان الخليفة في بغداد ابو الفضل جعفر بن المعتضد المعروف بلقب المقتدر بالله . وكان الخليفة المقتدر هذا قد بويع بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٧ م) ، والدولة العباسية في اضطراب شديد من اثر تدخل الجنود الاتراك في الدولة وسياستها ومرافقها العامة . كان هؤلاء الاتراك قد دخلوا في الجيش الاسلامي منذ ايام الخليفة المعتصم المتوفى سنة ٢٢٧ للهجرة ثم كثروا وقوا حتى استبدوا بالامور في بغداد فجعلوا يخلعون الخلفاء او يقتلونهم كلما بدا لهم ذلك : قتلوا الخليفة المتوكل (٢٤٧ هـ) ، ثم مات ابنه المنتصر في العام التالي (٢٤٨ هـ) غماً ، لانه كان قد شايع الاتراك على الايقاع بآبيه . وجاء بعد المنتصر المستعين ، وكان مستضعفاً في رأيه وعقله وتديبره ، فكانت ايامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب . ولم يكن فيه من الخصال الحمودة ، الا انه كان كريماً وهوباً . وخلق المستعين سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) ثم قتل بعد ذلك (١) .

ثم ان الجنود الاتراك ولوا المعتز بالله ، ولكن ما لبثوا ان جعلوا يطلبون منه اموالاً كان عاجزاً عن اداها اليهم فأهانوه وخطعوه ، ثم قتلوه سنة ٢٥٥ هـ وولوا مكانه المهتدي . الا انهم عادوا في العام التالي فخطعوا المهتدي من الخلافة بعد أن حبسوه وعذبوه .

وجاء الخليفة المعتمد فكث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) . ولم ينبج المعتمد من تقية الاتراك إلا لأنه استغنى عن النظر في شؤون الدولة وانصرف الى لذاته ، فكان اخوه طلحة الموفق والجنود الاتراك يصرفون امور الدولة كما يشاءون . وكذلك مكث المعتضد (وهو ابن طلحة اخي المعتمد) في الخلافة عشر

سنوات (٢٧٩-٢٨٩ هـ) . ومع ان المعتضد كان حسن السياسة حريصاً على الاصلاح قادراً عليه ، لغنى الدول في ايامه ، فان الدول العباسية كانت قد اصبحت من الفساد بحيث لم تكن تنفع فيها يد مصلحة ولا يجدي في اصلاحها عقل مدبر . وبعد المعتضد جاء ابنه المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) فزاد الخرق اتساعاً بظهور القرامطة الذين قويت حركتهم في الثلث الاول من القرن التالي . على ان الحركة التي اطلقت الخلافة في اعقاب هذا الدور فكانت حركة الزنج :

كان في البصرة عدد كبير من الزنج جاءوا من شرقي افريقية ، او جيء بهم من هناك للعمل في البصرة . وكانت الكثرة من هؤلاء يعملون كسّاحين : يكسحون السباح (التراب الملح) ويجففون الاهوار (المستنقعات) في جنوبي العراق لينجعلوا منها حقولاً صالحة للزراعة . وكان هؤلاء الزنج يرسفون في تأخر اجتماعي عظيم وفي ظلم بالغ محرومين من مقومات الحياة الضرورية .

ولقد استغل هذا الظلم رجال ادعى نسباً الى آل البيت وسمى نفسه علي بن محمد ، وتلقب بالبرقي واستعان على ما هو بسيله برجل يدعى رشيد القرمطي . ولجأ الأتاق (الهاربون) من الزنج اليه وحلفوا له بالطلاق على الولاء والطاعة . ولما قوي امره ثار بهم في رمضان سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) فهاجموا البصرة وأباحوها ثم احرقوها وقتلوا اهلها كما عاثوا فساداً فيما حولها . ثم اتسع سلطانهم . ولكن طلحة الموفق ، اخا الخليفة المعتمد ، حاربهم بضع سنين حتى تغلب عليهم وهدم مدينتهم المختارة سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٢ م) . وفي ٢٧٠ هـ قتل البرقي وعاد الزنج الى حالتهم الاولى من الاستعباد والبؤس .

ومع ان القتل في اثناء حركة الزنج يجب ان يكونوا كثيرين ، فلا ريب في ان ابن الطقطقي قد بالغ حيناً جعلهم مليونين ونصف مليون من البشر (الفخري ١٧٤) . وكذلك لا نستطيع ان نرد هذه الحركة الى مبادئ اقتصادية واجتماعية مدروسة منظمة ، واكن كانت هي نتيجة ثمة خلقتها ظلم أسياذ العبيد واستغلال الزعماء العلويين الذين كانوا يستخدمون كل وسيلة لمقاومة السلطان العباسي .

*

ولما جاء المقتدر الى الخلافة (سنة ٢٩٥ هـ) ، بعد اخيه المكتفي ، كانت عمره ثلاث عشرة سنة . في ذلك الحين كان امر الدعوة الفاطمية قد قوي جداً . ثم ان الفاطميين اعلنوا دولتهم في العام التالي (سنة ٢٩٦ هـ) في القيروان في شمالي افريقية ، فنبع بذلك للعباسيين خصم جديد عنيد .

وكان ابو العباس الحسن بن ايوب الجرجرائي وزيراً للمكتفي ثم للمقتدر . وكان له خصوم ، فاتفق ابو علي الحسين بن حمدان (عم سيف الدولة وابي فراس) ، مع الجنود الاتراك على الايقاع به فقتلوه ثم خلعوا المقتدر وولوا مكانه عبدالله بن المعتز . ولكن انصار المقتدر استطاعوا ان يخلعوا عبدالله بن المعتز في اليوم الذي ولي فيه ، في ٢٠ ربيع الاول ٢٩٦ (١) وان يعيدوا المقتدر الى الخلافة . ومع ان خلافة المقتدر دامت خمساً وعشرين سنة فانها كانت مملوءة بالفتن والاضطراب . واخيراً حدثت بين المقتدر وبين حاجبه مؤنس المظفر وحشة ادت الى حرب بينهما قتل فيها المقتدر ، وذلك كله سنة ٣٢٠ للهجرة (٩٣٢ م) ، اي في العام الذي ولد فيه ابو فراس الحمداني

*

وعاصر ابو فراس خمسة خلفاء ، اولهم القاهر الذي بويع بالخلافة سنة ٣٢٠ هـ ثم خلعه بجنده الاتراك بعد سنتين وسملوا عينيه وحبسوه مرة بعد مرة حتى آل امره الى ان وقف يوماً بجانب جامع المنصور يطلب الصدقة من الناس . وجاء بعد القاهر ابن اخيه الرازي (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) فزاد ضعف الخلافة العباسية في ايامه وتقلصت سلطتها عن المشرق والمغرب مرة واحدة ، ووصلت الاخبار بان مرداويج الاصفهاني انخرج على الخلافة يعد العدة ليستولي على بغداد وينقل الدولة الى الفرس ويبطل دولة العرب . ولكن اتفق ان غلمانهم قتلوه قبل ان ينفذ خطته . ثم جاء المتقي (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ) ، أخو الرازي ، فاستولى على الامور في ايامه توزون ، احد امراء الديلم ، فهرب المتقي الى الموصل واقام عند بني حمدان . غير ان توزون راسله وتودد اليه حتى أقنعه بالرجوع الى بغداد . فلما اقترب المتقي من بغداد اوقع توزون به فسل عينيه

وخلعه (١) وباع المستكفي (٣٣٣ - ٣٣٨ هـ) . ولكن حظ المستكفي من الديلم لم يكن احسن من حظ سلفه المتقي ، فان معز الدولة بن بويه ، امير الامراء ، خلعه من الخلافة وسمل عينيه واستبد بالامر دونه . ولم يزل المستكفي معتقلا في دار السلطنة حتى توفي ٣٣٨ هـ . وفي ايام المطيع (٣٣٨ - ٣٦٣ هـ) كان الديلم قد استبدوا بالخلافة واصبح بنو بويه اصحاب السلطان الحقيقي حتى في بغداد نفسها . تلك كانت الاحوال التي اعتورت في ذلك الحين منصب الخلافة والحكومة العباسية في بغداد نفسها . ولقد ساءت احوال بغداد سوءاً شديداً باشتداد حركة القرامطة وبنشوء منصب امير الامراء الذي قضى على هيبة الخلافة ، بعد ان كانت الاحداث السابقة قد ذهبت بقوتها : الحركة القرمطية :

بدأ هذه الحركة سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) داعية اسماعيلي من فلاحى السواد في الكوفة ، اسمه حمدان قرمط . وكان مركز هذه الدعوة الجديدة جنوبي العراق ، حيث كانت حركة الزنج قد ثارت من قبل . وبعد حمدان جاء صهره عبدان الذي توفي سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) .

وبعد عبدان جاء داعية آخر مشهور اسمه زكرويه ، جاء الى الشام في ايام المكتفي وقام فيها بثورة انتهت باسره وصلبه في بغداد سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٦ م) . على ان الدعوة القرمطية انتشرت بين القبائل الضاربة في بادية الشام وفي شرقي شبه جزيرة العرب : في البحرين وهجر والاحساء . ثم كثر عيث القرامطة لما ظهر على مسرح الدعوة ابو طاهر سليمان (٣٠١ - ٣٣٢ هـ) فقطع طريق الحاج وانتزع الحجر الاسود من الكعبة وحمله الى الاحساء . ولكن ابنه سابور رد الحجر الاسود الى مكانه سنة ٣٣٩ هـ (٥٩١ م) في ايام الخليفة المطيع .

منصب امير الامراء

استحدث هذا المنصب في الدولة العباسية لما ضعفت واصبح الخلفاء العباسيون لا يستطيعون الدفاع عما تحت ايديهم من البلاد ولا عن انفسهم . وهذا المنصب يقابل في حياتنا السياسية الحاضرة ما نسيه بالحكم العسكري ، فلقد كان امير الامراء عادة قائد الجيش العباسي او قائد جنود كثيري العدد من الترك او الديلم .

(١) مات المتقي سنة ٢٥٠ هـ « ٩٦١ م »

واول من تولى هذا المنصب ابو الحسن مؤنس ، الخادم الخصي . كان مؤنس قد أبلى في حملة الزنج سنة ٢٦٧ . ثم جعله الخليفة المعتضد صاحب الشرطة في معسكره سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) . ولما اراد انصار ابن المعتز ان يخلعوا الخليفة المقدر سنة ٢٩٦ هـ ردهم مؤنس خائبين فحفظ المقدر له هذا الجليل وجعله امير الامراء . ولكن المقدر عاد فانقلب على مؤنس سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) ، فعاد مؤنس بغداد ليعود بعد عام فيستولي عليها ويخلع المقدر ويقتله وينصب مكانه أخاه القاهر سنة ٣٢٢ هـ . واستبد مؤنس بأمر القاهر ثم حبر عليه وأراد ان يخلعه . ولكن القاهر استطاع ان يدير مقتل مؤنس في شعبان سنة ٣٢١ (آب ٩٣٣) .

اما الرجل الثاني الذي تولى منصب امير الامراء فهو ابن رائق . كان ابو بكر محمد بن رائق منذ سنة ٣١٧ ، صاحب الشرطة في بغداد ، فهرب بعد مقتل المقدر الى واسط . فلما تولى الرازي الخلافة بعد القاهر (٣٢٢ هـ) ولاه واسط والبصرة ، ثم جعله في آخر سنة ٣٢٤ (تشرين الثاني ٩٣٦) اميراً للامراء . وبتولي ابن رائق هذا المنصب اصبحت جميع السلطات الفعلية في يد امير الامراء ، واصبح "يخطب له على المنابر (يذكر اسمه مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة) . في تلك الاثناء كانت سلطة الخليفة العباسي قد تلاشت واصبحت في كل مكان ، حتى في بغداد نفسها ، اسمية فقط . وما كاد ابن رائق يتولى امارة الامراء حتى يبرز له منافسان غنيدان : بجكم التركي وابو عبد الله احمد البريدي .

اشهر من آل البريدي في ذلك الحين اخوة ثلاثة هم ابو عبد الله احمد ، كبيرهم ورب اسرتهم ، ثم ابو يوسف يعقوب وابو الحسين . ولقد كان الاخوة الثلاثة انتهازيين لا يبالون الا بمصالحهم الخاصة ولا يتعصبون عن ظلم او فتك في سبيل بلوغ مقاصدهم . ففي سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) توصل ابو عبد الله البريدي الى حكم مدينة واسط . وبعد مقتل المقدر عظم سلطان بني البريدي جداً وأمعنوا في عسفهم وفي مصادرة الاموال ، ذلك لأن صديقهم ابن مقلة تولى الوزارة للخليفة الرازي بعد ان بذل فيها خمسمائة ألف دينار . لقد كانت من المنتظر ان يغضي ابن مقلة عن اصدقائه بني البريدي يفعلون ما يشاءون ما داموا على مثل نهجهم من الاحتراف السياسي ومن احتجاج

الاموال .

ولكن لما تولى ابن رائق اماره الامراء سنة ٣٢٤ هـ جهز الخليفة الراضي حملة على ابي عبدالله البريدي في واسط وهزمه . عندئذ التجأ البريدي الى عماد الدولة بن بويه بنارس وأغراه بالاستيلاء على الاهواز والعراق .

وكذلك ثبت في هذا النزاع بحكم التركي الذي كان قد دبر مقتل مرداويج سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) ثم التجأ الى الخليفة الراضي ، فولاه الراضي على الجند الذين كانوا معه وألحقه بابن رائق . وأخيراً اشتد النزاع بين ابن رائق وبحكم ، فكان البريدي يقف مرة في صفوف بحكم ومرة في صفوف ابن رائق . ولم يجد ابن رائق بداً من ان يتألف البريدي لانه اسلم العدوين فوعده بأن يوليه مدينة واسط اذا ساعده في التغلب على بحكم . ولكن بحكم استطاع أن يهزم البريدي . حيثئذ ادرك الوزير ابن مقلة بأن كفة بحكم قد رجحت وان الخطر قد زاد عليه من هزيمة حليفه البريدي ونجاح بحكم المتزايد الى جانب أمير الامراء الذي كان خصماً طبيعياً له في بغداد . وروى ابن مقلة في أمره فرأى أن يكتب بحكم يمينه بأمره الامراء فلعل بحكم يحفظ له هذه اليد ويتخلص هو حيثئذ من ابن رائق . ولكن بحكم رفض طلب ابن مقلة . وعرف ابن رائق بالمؤامرة فألقى ابن مقلة في السجن . وفي ذي القعدة من سنة ٣٢٦ (ايلول ٩٣٨) دخل بحكم بغداد واستبد بأمره الامراء مكان ابن رائق ، ثم استدعى البريدي وعينه وزيراً للخليفة الراضي . وهرب ابن رائق من بغداد ناجياً بنفسه .

في هذه الاثناء كان الحمدانيون اصحاب الموصل قد استطالوا في البلاد وأخذوا يناوئون العباسيين ، فسار بحكم والخليفة الراضي الى حربهم . فاهتبل ابن رائق الفرصة وخالفهم الى بغداد واستولى عليها ، ولكنه وعد بمغادرتها اذا ولاه الراضي حران والرها وقتسرين والفرات الاعلى . فقبل الخليفة بذلك . ولما غزا ابن رائق الشام سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) ارسل عليه محمد بن طفيع الاخشيد صاحب مصر جيشاً لقتاله . ولكن جيش الاخشيد اضطر الى الانسحاب وثبت ابن رائق في الشام حتى تمدينة ظلمة .

وجاء المتقي الى الخلافة بعد اخيه الراضي سنة ٣٢٩ هـ فأقر بحكم في اماره الامراء .

ولكن بحكم لم يُعمّر بعد ذلك كثيراً فان الاكراد من جنده انقلبوا عليه واغتالوه في رجب ٣٢٩ (نيسان ٩٤١) . ولما قتل بحكم اخلف الديلم والاتراك من جنده على من يتولى اماره الامراء . فاستبد بها رجل من اتباع بحكم اسمه كورتكين (١) . ولكن الخليفة المتقي لم يقبل بكورتكين ، فاستنجد بابن رائق ، فتقدم ابن رائق من بغداد وهزم كورتكين قرب عكبرة في رمضان سنة ٣٢٩ (حزيران ٩٤١) . فرد المتقي عندئذ ابن رائق الى امرة الامراء .

وفي غمرة هذا الاضطراب استطاع البريدي ان يستولي على مدينة واسط في المحرم من سنة ٣٣٠ (تشرين الاول ٩٤١) ، ولكن ابن رائق سار لمقاتلته . غير ان البريدي اقنع ابن رائق بالوصول الى اتفاق يبقى بموجبه هو في واسط ويدفع لابن رائق خراجاً معيناً .

ومال نجم ابن رائق الى الغروب فتفرق عنه جنده الاتراك ليلتفوا حول رجل من الديلم يقال له توزون . فهرب المتقي ، ومعه ابنه واهله الى بلاط الحمدانيين في الموصل ، خوفاً على نفسه من حرب في بغداد ، وهرب معه ابن رائق . ثم ان توزون كتب الى المتقي يستبيله وحلف له أن لا يناله بمكروه . فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل الى بغداد . ولكن ما كاد المتقي يصل الى بغداد حتى قبض عليه توزون وخلعه وممل عينيه سنة ٣٣٣ هـ ، ثم بايع المستكفي مكانه .

وفي ايام المستكفي ورد معز الدولة بن بويه الى بغداد فولاه المستكفي اماره الامراء . ولكن معز الدولة ما لبث ان خلع المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وسمل عينيه واعتقله . وظل المستكفي في معتقله الى ان توفي سنة ٣٣٨ هـ . وجاء المطيع لله بعد المكتفي ، وكان امراً ضعيفاً ، فخلعه معز الدولة وولى مكانه ابنه الطائع سنة ٣٣٤ هـ . وفي ايام الطائع استفحل امر بني بويه وانتشر حكمهم ، وخلعوا الطائع سنة ٣٨١ هـ . (٩٩١ م) .

تلك كانت حال العاصمة العباسية . اما الامبراطورية العباسية فقد كانت عراها قد تقطعت واستبد بمقاطعاتها المختلفة ، في الشرق والغرب مبعأ ، اشخاص ظل نفر قليل

(١) الكف الثانية فارسية قاسية

منعهم على ولاء ظاهر او حقيقي للعباسيين . اما سائرهم فكان يحمل العداء للعباسيين
ظاهراً وباطناً .

هذا التقطع في اوصال الامبراطورية العباسية كان قد نشأ في زمن متقدم جداً ،
منذ ايام المنصور الخليفة العباسي الثاني . اما في العصر الذي ندرسه فكان هذا التقاطع
قد اصبحت تاماً واخذت الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب تسلك سلوكاً مستقلاً
وينجز بعضها بعضاً كأن لم يكن ثمة عاصمة يجب ان تجمع امرها اسمها بغداد ،
واذا الامبراطورية العباسية العربية لم تبقى عربية ولا عباسية ولا امبراطورية .
وفي ما يلي موجز لنشأة الدويلات المختلفة في المشرق والمغرب وحالها في ايام
ابي فراس الذي نخصه بهذه الدراسة :

١ — الدولة المروانية في الاندلس :

ما كاد العباسيون يظفرون في معركة الزاب ، احد روافد دجلة ، ويستولون على
العراق سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) حتى جعلوا يتبعون الامويين بالتقيل . ولقد نجح من
سيوف العباسيين وسيوف اشياهم الفرس فتى حدث هو عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك بن مروان . واستطاع عبد الرحمن ان يدخل الى الاندلس في
حديث طويل فيجد اهلها في شقاقٍ والنزاعِ ناثرين القيسية واليانية ، فينتهز هو
الفرصة ويستولي على البلاد كلها ويحسم خلافاتها ثم يمهّد فيها طريق الملك لبنيه من
بعده ، كما فعل معاوية بن ابي سفيان من قبل في الشام . وبما ان عبد الرحمن قد دخل
الى الاندلس في احوال قاسية جداً فقد سبّوه عبد الرحمن الداخل .

وظل ابناء عبد الرحمن الداخل يتوارثون الحكم على الاندلس . مستقلين عن بغداد
في كل شيء الا في الولاة الظاهر ، فان عبد الرحمن الداخل واولاده اطلقوا على
انفسهم لقب امير ولم يتسموا بالخلافة الى زمن المقتدر بالله العباسي . فلما جاء عبد الرحمن
الناصر (الثالث) ورأى ضعف الدولة العباسية تسمى بالخلافة سنة ٣١٦ هـ (٩٢٩ م) ،
وبذلك انقطعت كل صلة للاندلس بالعباسيين . وتولى عبد الرحمن الناصر الاندلس
خمسين سنة (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) . ويقع معظم حياة ابي فراس في خلافة عبد الرحمن
الناصر .

٣ — الدولة الادريسية .

اسس هذه الدولة في المغرب ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (مرتين) ابن علي ابي طالب . كان لعبد الله بن الحسن اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية ، ومنهم ابراهيم ويحيى وسليمان وادريس . وفي آخر ايام مروان الثاني الاموي رأى هؤلاء ان الدولة الاموية قد ضعفت واضطرب امرها فبايعوا احدهم محمداً بالخلافة وبايعه معهم جماعة من بني هاشم فيهم ابو جعفر عبد الله بن محمد بن ... العباس الذي اصبح فيما بعد الخليفة العباسي ابا جعفر المنصور (١) . ولكن لما آلت الخلافة الى العباسيين واصبح ابو جعفر خليفة ارسل جيشاً الى المدينة لقتال النفس الزكية . فقتل النفس الزكية في منتصف رمضان سنة ١٤٥ هـ (اواخر ٨٦٢ م) . وفي آخر سنة ١٦٩ (حزيران ٨٨٦) خرج الحسين بن الحسن في جماعة من اهل بيته فيهم ادريس ويحيى وسليمان اخوة النفس الزكية . فارسل المهدي العباسي عليهم جيشاً قاتلهم في مكان اسمه فخ على ثلاثة اميال من مكة ، فقتل اكثرهم وفر ادريس الى مصر ومنها الى المغرب حيث نزل في قبائل البربر سنة ١٧٢ هـ ثم اقام دويلة له واسس مدينة فاس . وقد دامت دولة الادارسة نحو قرنين (١٦٩ — ٣٦٥ هـ) ، الى ما بعد مقتل ابي فراس ببضع سنوات .

٣ — دويلة الاغالبة :

كانت إفريقية (١) دائماً مختلفة الهوى مضطربة الامور قلما رضيت وئياً وقلما اجمع اهلها على حال ، لكثرة العصبية البربرية ، ولأنها كانت مسرحاً لنشاط الخوارج والشيعة . واتفق ان ارسل هرون الرشيد والياً على افريقية هو محمد بن مقاتل الكعبي فوصل اليها في رمضان سنة ١٨١ (تشرين الثاني ٧٩٧) . ثم اتفق ان جرت فتن دامت سنتين فطمع ابراهيم بن الاغلب آنذاك في ان يستبد بالبلاد فكاتب هرون الرشيد على ان يولييه افريقية فيتنازل عن مائة الف دينار (٢) كانت بغداد ترسلها

(١) كان اسم السفاح : الخليفة الاول العباسي ، ابا العباس عبد الله بن محمد ...

(٢) اطلق العرب افريقية على ما يسمى اليوم « تونس » ولكن هذا الاسم يضم اليوم شمالي افريقية من

طرابلس الغرب الى مراكش.

(٣) ابن خلدون ٤ : ١٩٦ .

لإدارة ذلك الصقع الثاني، ثم يسوق هو إلى بغداد أربعين ألف دينار. ورأى هرون الرشيد أن في ذلك وفراً على بيت المال وتهديّة لذلك القطر الثائر فكتب إلى إبراهيم ابن الأغلب بالعهد على إفريقية في منتصف سنة ١٨٤ هـ (منتصف ٨٠٠ م).

ثم أن ابن إبراهيم الأغلب مد سلطانه في إفريقية فاستولى على طرابلس الغرب كما استولى على جزيرة صقلية. ومنذ نشأة الدولة الأغلبية تقلصت سلطة العباسيين عن إفريقية فلم يكن لهم بعد ذلك سلطان وراء حدود مصر غرباً. على أن الأغلبة ظلموا مواليين للعباسيين معادين لكل دولة تناهض العباسيين كالإدارة والفاطميين، ولكل من كان ينتفض على العباسيين من الخوارج والثوار في صقعه.

وعاشت دولة الأغلبة نحو مائة وخمس عشرة سنة حتى زالت على يد الفاطميين لما اتسعت دعوتهم في إفريقية وبايع أهل القيروان لعبيد الله المهدي الفاطمي في رجب سنة ٢٩٦ (آذار - نيسان ٩٠٩).

٤ - الدولة الطولونية

يرجع مؤسس هذه الدولة، أحمد بن طولون، إلى أصل تركي، فإن والده طولون كان قد جاء إلى بغداد من بخارى في أيام المأمون. وولد أحمد بن طولون سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م)، وكان مشهوراً بالتقوى والحزم وحب الجهاد.

وتولى أحمد بن طولون مصر في أيام الخليفة العباسي المعتز فوصل إليها في رمضان سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م). واتسع ملك أحمد بن طولون حتى عم الشام كلها والجزيرة. أما صلات الطولونيين بالعباسيين فقد تقلبت بين الصفاء والجفاء. ولم يأت بعد أحمد بن طولون (ت ٢٧١ هـ - ٨٨٤ م) من يحفظ هذه الدولة فانقرضت بعده بأمد يسير سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) في أيام الخليفة المكتفي.

٥ - الدولة الأخشيدية

بعد انقراض الدولة الطولونية عادت مصر إلى حكم العباسيين. ولكن الأمر فيها ظل مضطرباً جداً، فتغلب عليها ولاية كبار، تولوها بعضهم مرتين أو ثلاثاً في فترات مختلفة حتى استقر فيها، على ما يبدو، أبو بكر محمد بن طعج في رمضان من سنة ٣٢٣ (آب ٩٣٥)، وقد خلع عليه الخليفة الراضي لقب «أشيد».

وطمع الاخشيد محمد بن طنج بمصر وجرت بينه وبين العباسين حروب . ثم اتسع
سلطانه في الشام خاصة وعم الحجاز وفلسطين وبلغ دمشق .
ولما توفي ابن طنج في دمشق في سنة ٣٣٤ او ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) كان له ولدان
صغيران فاستبد بامرهما عبد خصي اسود كان لاييها اسمه ابو المسك كافور . وكان
كافور هذا قديراً ظل يدير مصر الى وفاته في منتصف سنة ٣٥٧ هـ (منتصف ٩٦٨ م) .
ولم يحكم مصر بعد كافور من الاخشيديين سوى احمد بن علي بن طنج . ولكن
الفاطميين في المغرب كانوا قد قوا ففتح قائدهم جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ ،
فانقرضت بذلك دولة بني طنج ، ودخلت مصر في حكم الفاطميين .

٦ - الدولة الفاطمية

لم تثبت العلويين دولة كما ثبتت الدولة الفاطمية . فانها عاشت نحو مائتين وسبعين
سنة على الرغم من انها كانت تقاوم العباسيين في بغداد والامويين في قرطبة ، والقرامطة
والحمدانيين في الشام ، ثم حاربت الصليبيين والايوبيين حتى زالت على يد صلاح
الدين (٥٦٧ هـ) .

اسس هذه الدولة عبيد الله المهدي في المغرب سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) . ثم انتقل
الفاطميون فجأة الى مصر سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) بعد ان فتحها قائدهم جوهر الصقلي
بعام واحد ، وبعد مقتل ابي فراس بثلاثة اعوام .

وعم سلطان الفاطميين الحجاز واليمن واكثر الشام . وكانت الدولة الفاطمية في
ايام امامها الخامس ابي منصور تزار العزيز (٣٦٥ - ٣٨٦ م) اعظم سلطاناً من
خلافة بغداد .

٧ - الدولة الحمدانية

تتنسب هذه الدولة الى حمدان بن حمدون التغلبي . والحمدانيون من وائل من
بني ربيعة ، اي من عرب الشمال . وكان الحمدانيون كثيرون العدد وذوي شجاعة
يزهون جانبهم ويخطب ودهم . ولكن لم يكن للحمدانيين سياسة موحدة ، بل كانت

الخلافات فاشية بينهم، حتى فيما يتعلق بموقفهم تجاه الاحداث الكثيرة في عصرهم . والظاهر البين ان كل فرع منهم كان يحاول ان يصل الى السلطان والحكم بكل طريق ممكنة . من اجل ذلك رأيناهم مرة في صفوف العباسيين ومرة في صفوف اعدائهم ، كما رأيناهم ايضاً مرة مع الخوارج ومرة على الخوارج . والحقيقة انهم كانوا يتظاهرون بالولاء للعباسيين ، اذا كان هذا الولاء يصل بهم الى اهدافهم .

بدأ نشاط الحمدانيين السياسي باستيلائهم على ماردن . ولكن الخليفة المعتضد سار نحو ماردن لقتالهم ٢٨١ هـ (٨٩٤ م) فهرب عنها حمدان بعد ان خلف مكانه ابنه ابا علي الحسين . فاستسلم الحسين للمعتضد . وبعد مدة وقع حمدان نفسه في الاسر وحمل الى بغداد وسجن فيها لانه كان علي صلة بهرون الشاري الخارجي . ولما تغلب المعتضد ، بعد سنتين ، على هرون الشاري اراد ان يتآلف بني حمدان لقوتهم وعصبيتهم فأطلق سراح حمدان وغمره بالعطايا .

ولما ولي المقتفي سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) عقد لابي الهيجاء عبد الله حمدان (والد سيف الدولة) على الموصل واعمالها . وقاتل ابو الهيجاء الاكراد في اذربيجان سنة ٢٩٤ هـ ورد خطرهم عن الخلافة . ولكنه عاد فأظهر الخلف في الموصل سنة ٢٩٩ هـ . وكذلك كان ابو علي الحسين بن حمدان قد اشترك في المؤامرة التي أدت الى خلع المقتدر ومبايعة عبدالله بن المعتز (٢٩٦ هـ) فاختفى عندئذ من خوف المقتدر . ولكن المقتدر عاد فعفا عنه وولاه قم وقاشان (في فارس) . الا ان الحسين لم يذهب الى ولايته الجديدة بل أرسل اليها والياً من قبله . وعلى الرغم من ذلك كله فان الحسين لم يخاص للمقتدر فجرت بينها وحشة سنة ٣٠٣ (٩١٥ م) ألقى الحسين على أثرها في السجن ومات فيه سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨-٩١٩ م)

وهكذا نرى ان النفرة بين بني حمدان وبين المقتدر كانت عامة . ولكن في سنة ٣١٤ هـ (٩٢٦ م) رضي المقتدر عن ابي الهيجاء وولاه الموصل مرة ثانية . فلم يذهب ابو الهيجاء اليها بل بعث عليها مكانه ابنه ابا محمد الحسن ، وبقي هو في بغداد . فلما حدثت فتنة الناهر التي ازيد بها خلع المقتدر كان ابو الهيجاء في القصر مع القاهر فقتل في منتصف المحرم سنة ٣١٧ (آخر شباط ٩٢٩) .

وفي سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) ضمن ابو العلاء سعيد بن حمدان (والد ابي فراس) الموصل وديار ربيعة فولاه الخليفة الراضي عليها . فعز علي ابي محمد الحسن (اخي سيف الدولة) ان تنتقل مغنم الموصل الى ابن عمه فقتله . وغضب الخليفة الراضي ، ولكن ابا محمد الحسن عرف كيف يحتمل لنيل رضى الخليفة فرجع الى الموصل في منتصف شوال سنة ٣٢٣ (اواسط آب ٩٣٥) . غير انه كسر الضمان (لم يدفعه) في سنة ٣٢٧ هـ فغضب الراضي وجرد عليه حملة ، فاستطاع ابو محمد الحسن ان يحتمل لكسب رضى الخليفة مرة ثانية .

وتوفي الخليفة الراضي سنة ٣٢٩ هـ وخلفه المتقي . وحدثت وحشة بين المتقي وبين ابن رائق امير الامراء فاشترك الحسن وعلي في اغتيال ابن رائق في ٢١ رجب ٣٣٠ (٩٤٢ م) فدفع الخليفة المتقي اماره الامراء الى ابي محمد الحسن وسماه ناصر الدولة كما خلع علي اخيه لقب سيف الدولة . ولقد احتفظ ناصر الدولة بالموصل حتى موته سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) ، بعد ان كان قد مد نفوذه الى ديار ربيعة وديار مضر . وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب فضل الله الملقب بالعضنفر ، ولكنه دخل في نزاع مع البويهيين . ثم انه توفي بعد ذلك بقليل ، سنة ٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) . ويبدو ان حكم الحمدانيين على الموصل انتهى حينذاك لأن اخوي العضنفر ، ابا طاهر ابراهيم و ابا عبد الله الحسين ، دخلا في خدمة البويهيين .

هذه المفاخر السياسية التي نالها ناصر الدولة بدهائه دفعت اخاه سيف الدولة الى تطلب مثلها ، فسار سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) على حلب وحمص وانتزعهما من يد الاخشيديين . فأرسل الاخشيديون على سيف الدولة جيشاً بقيادة ابي المسك كافور ، فهزم سيف الدولة كافوراً عند حمص ثم تقدم الى دمشق وحاصرها ، ولكنه لم يستطع اخذها . وفي سنة ٣٣٤ توفي محمد بن طنج الاخشيد في دمشق فأمرع كافور الى مصر ليرتب امورها ، وانتهر سيف الدولة هذه الفرصة ففتح دمشق . بعدئذ تقدم نحو مصر وفتح الرملة ولكنه هزم عند الاردن . واخيراً عقد صلح بين كافور وسيف الدولة جعلت فيه حلب لسيف الدولة وتركت دمشق للدولة الاخشيدية .

ولما توفي سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) خلفه ابنه ابو المعالي شريف الملقب

بسعد الدولة . وفي النزاع المشهور بين ابي فراس وابي المعالي سقط ابو فراس قتيلًا .

* * *

هذا كان يجري في المغرب ، الى الغرب من بغداد . اما في المشرق فكانت الامور اشد سوءاً . ان دويلات المغرب كانت احسن ولاء لبغداد من دويلات المشرق :

٨ — الدويلة الطاهرية

هذه اول دويلة قامت في المشرق ، اقامها قائد المأمون طاهر بن الحسين في خراسان . بعد رجوع المأمون من مرو ودخوله بغداد في سنة ٢٠٤ هـ تحرك الخوارج في خراسان فأرسل عليهم المأمون جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين فتغلب عليهم . حينئذ ولاء المأمون على خراسان وسائر المقاطعات الشرقية سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) . وتوفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) .

ونحن نسمي الدويلة الطاهرية بهذا الاسم من باب التجوز ، فان طاهر بن الحسين اقام أبهة لولايته على خراسان وظلت الولاية في عقبه بالتوارث ، والطاهريون لم يعادوا العباسيين بل ظلوا على ولاء لهم . وعاشت الدويلة الطاهرية حتى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٣ م) ، حينما قضت عليها الدويلة الصفارية .

٩ — الدويلة الصفارية

كان بدء الدويلة الصفارية كبده الدويلة الطاهرية .

لما تحرك الخوارج في سجستان ، بعد مقتل المتوكل ، تنادى جماعة لقتالهم وسبوا أنفسهم المتطوعة . وكان رئيس هذه الجماعة صالح بن نصر الكناني وله قواد منهم درهم بن الحسن ، ويعتوب بن الليث الصفار . ولما هلك صالح بن نصر خلفه درهم بن الحسن ، ولكن يعقوب الصفار استبد بامر سجستان سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) وجعل يفتح البلاد المجاورة . ثم انه تغلب على بلاد الدويلة الطاهرية سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) . ونشبت بين الصفاريين كلهم وبين خصومهم من الخلفاء ومن المستبدين بالمقاطعات

للمختلفة حروب حتى انقرضت دولتهم سنة ٢٩٨ هـ (٩١٢ م) على يد السامانيين .

١٠ — الدولة العلوية بطبرستان :

اختلف اهل الري (خراسان) مع واليهم من قبل الدولة الطاهرية فاستدعوا الحسن بن زيد — وكان مقبلاً عندهم — وبايعوه . ثم انضم الى الحسن بن زيد الديلم (١) واهل طبرستان ، فاستطاع ان يستولي على طبرستان وما حولها ، ثم استولى على الري نفسها سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) . وتنازع يعقوب الصفار والحسن بن زيد مقاطعة طبرستان ، ولكنها استقرت اخيراً في يد الحسن (٢٦١ هـ — ٨٧٤ م)

ومات الحسن بن زيد في رجب سنة ٢٧٠ هـ (مطلع ٨٨٤ م) فخلفه اخوه محمد بن زيد ، كما كان قد مات يعقوب الصفار سنة ٢٦٥ هـ وخلفه اخوه عمرو . ولكن العداوة بين الصفاريين والزيديين لم تمت .

وما عقد الخليفة المعتضد لعمرو بن الليث الصفار على خراسان نازعه عليها اسماعيل بن احمد الساماني ثم تغلب عليه سنة ٢٨٨ هـ (٩٠١ م) وأرسله الى المعتضد تقريباً وتهديداً . وشكر المعتضد لاسماعيل الساماني هذا التقرب وفهم التهديد فأقره على ما تحت يده من البلاد . وفي ٢٨٨ هـ نفسها التفت اسماعيل الى محمد بن زيد وقاتله فقتله . وهكذا أصبحت طبرستان وجرجان وخراسان كلها للدولة السامانية الناشئة .

وبعد مقتل محمد بن زيد دخل الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن زين العابدين — وهو يعرف باسم الاطروش ، اي الاصم ، الاطروش — الى الديلم ومكث فيها ثلاث عشرة سنة يدعو اهلها الى الاسلام والى المذهب الزيدي . ثم ان الاطروش انتزع طبرستان من السامانيين وتسمى بالناصر سنة ٣٠٢ هـ . ولما قتل الاطروش سنة ٣٠٤ للهجرة وخلفه صهره الحسن بن القائم — وهو ايضاً من آل علي — كانت الحروب بين الزيديين والسامانيين لا تزال على شدتها الاولى .

ثم انشق الزيديون على انفسهم فوقع نزاع بين ابي الحسن (ابن الاطروش)

[١] الديلم منطقة جبلية من مقاطعة جيلان عند الطرف الجنوبي الغربي من بحر الخزر . وقد ظل الديلم على طوئته الى آخر القرن الهجري الثالث .

وبين الحسن بن القاسم فضعف امر العلويين في طبرستان بالفتن . وكذلك اصطدم العلويون ببني بويه الناشئين في تلك الاصقاع ، فقد هاجم ابو جعفر محمد بن احمد بن الاطروش جرجان — وبها ركن الدولة الحسن بن بويه سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) ولكنه انهزم فلهجأ الى الديلم واقام عندهم الى ان هلك سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) فانقرض ملك الفاطميين في تلك الاصقاع .

١١ — الدولة الزيارية

اسس هذه الدولة ابو الحجاج مرداويج بن زيار الديلمي . كان مرداويج هذا في خدمة الدولة العلوية بطبرستان ، في جيش أسفار بن شيرويه . وفي ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ذبح مرداويج السيد ابا محمد الحسن الداعي العلوي ثم ثار على أسفار واستبد دونه بزنجان . واخيراً تصدى لحربه واستطاع ان يهزمه ثم يقتله سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) . وفي هذا الحين (٣١٩ هـ) كان علي والحسن واحمد أبناء بويه في خدمة ابي منصور ما كان بن كاكي ، احد انصار الدولة العلوية بطبرستان فانهزوا الى مرداويج فولى مرداويج علي بن بويه مقاطعة الكرج (١) ، فكان ذلك اول ارتفاع لامر بن بويه . وفي سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) عظم امر مرداويج واستولى على اصفهان ، فلم يجد الخليفة القاهر بداً من ان يقر مرداويج على ما تحت يده ، علي شرط ان يتخلى عن اصفهان ويردها الى حكم الخلافة ، ففعل مرداويج ذلك . ولكن لما قتل القاهر في جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) عاد مرداويج الى اصفهان واستبد بها . ثم ان مرداويج طمح الى توسيع سلطانه والاستيلاء على بغداد . وقد قيل ايضاً انه كان يريد ان ينقل الدولة الى الفرس ويبطل دولة العرب (الفخري ٢٠٦) . ولكنه لم يستطع تنفيذ خطته ، فان غلمانه الاثراك انقلبوا عليه ، وزعماءهم يومذاك توزون وبجكم وغيرهما ، واغتالوه في اصفهان في صفر سنة ٣٢٣ هـ (كانون الثاني ٩٣٥) . ولما قتل الاثراك مرداويج تركوا المشرق واتجهوا غرباً بعد ان انقسموا قسمين : قسم يسيراً منهم التحق بعماد الدولة علي بن بويه في شيراز ، وقسم يمثل البكثرة من الديلم سار مع بجكم حتى

(١) في الديتور بغارس .

وصلوا الى النهر وان (العراق) . و كاتب بيجكم من هنالك الخليفة الراضي . ولكن امير الامراء ابن رائق رابه امر الاتراك وخاف بيجكم على نفسه فاستدعاه الى واسط — وابن رائق يومذاك صاحب واسط والبصرة — فقدم عليه بيجكم فولاه ابن رائق كثيراً من اموره واختصه بمودته ونعته بالرائقي ، نسبة اليه . وهكذا امن ابن رائق خطر بيجكم الى حين .

اما في اصفهان فقد خلف مرداويج اخوه وشكبير ، ولكنه اصطدم بالسامانيين وبالبويهيين وجرت بينه وبينهم جميعاً حروب كثرة . ثم ان وشكبير هلك في اثناء الصيد سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) .

١٢ — الدولة البويهية

كان بنو بويه من الديلم ، وكان أحدهم علي يتولى بلاد الكرج ، من قبل مرداويج المستبد بحكم طبرستان بعد الدولة العلوية . وطمح علي هذا الى الاستبداد فاستولى سنة ٣٢٠ (٩٣٢ م) ، اي في العام الذي ولد فيه ابو فراس ، على اصفهان . وبعد ذلك بعامين استولى علي شيراز . فلما اغتال مرداويج جنوده الاتراك سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) اهتبل بنو بويه الفرصة فثبت علي حكمه حيث كان ، واستولى اخوه الحسن على بلاد الجبال (غربي بلاد فارس) ، واستولى اخوه الثاني احمد على كرمان .

ولم يمض على تأسيس ملك بني بويه ، شرق العراق ، عشر سنوات حتى طمعوا بالاستيلاء على دار الخلافة ، فاستولى الحسن بن بويه على الاهواز .

وأخيراً زاد الاضطراب في العراق وبغداد خاصة ، في ايام الخليفة المستكفي ، فانحدر الحسن بن بويه من الاهواز نحو بغداد في عدد كبير من جنوده الديلم وقدم بين يديه كاتبه الحسن بن محمد المهلي . ودخل المهلي بغداد وبايع المستكفي باسم بني بويه كلهم : علي والحسن واحمد . فلم يجد المستكفي بداً من قبول هذا الولاء المبطن بالتهديد ، فأقر بني بويه على مقاطعاتهم وخلع على علي لقب عماد الدولة ، وعلى الحسن لقب معز الدولة ، وعلى احمد لقب ركن الدولة . وبعد قليل دخل معز الدولة بغداد فملكها سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) . وفي منتصف سنة ٣٣٤ هـ (اوائل ٩٤٦ م) خلع

معز الدولة المستكفي وولى مكانه ابا القاسم الفضل بن الخليفة المقدر ومعه المطيع ، ولكن «سلبه من معاني الامر والنهي وصيرت الوزارة الى معز الدولة ، يولي فيها من يرى . وصار وزير الخليفة مقصور النظر على أقطاعه (أراضيه) ومثبات داره (نفقات بيت الخليفة) . وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم اعمال العراق وأراضيه ولاية واقطاعاً . حتى كان الخليفة يتناول الاقطاع براسم معز الدولة ، وانما يتفرد (اي الخليفة) بالسرير والمنبر والسكة^(١) والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد وإجلال التحية والخطاب . ومع ذلك [فان هذا كله كان يجري] باوضاع القائم على الدولة (اي معز الدولة) وترتيبه ... وكان القائم منهم (من بني بويه) على الدولة يتفرد ... بلقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره . ومعاني الملك من القدرة والابهة والعز وتصريف الامر والنهي حاصل للسلطان دون الخليفة . وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنسوب لفظاً ، مساوية عنه معنى» (تاريخ ابن خلدون ٤: ٤٣٥).

١٣ - الدولة السامانية

نشأت هذه الدولة من التنازع بين بني بويه وبني الصفار على الاستبداد بحكم بلاد ما وراء نهر جيحون .

ترجع ولاية السامانيين على ما وراء النهر الى ايام المأمون ، فان بني اسد بن سامان كانوا قد أدوا للمأمون ، وهو بعد في مرو قبل ان ينتقل الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ ، خدمات جليلة . فلما توفي احمد بن اسد بن سامان سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ - ٨٧٥ م) كانت سمرقند من اعماله فاستخلف عليها ابنه نصرأ . غير ان نصر بن احمد بن سامان هذا كان يتولى اعماله من قبل بني طاهر ولاية خراسان الى ان انقرضت دويلة بني طاهر واستولى بنو الصفار على خراسان .

في ذلك الحين عقد الخليفة المعتمد لنصر بن احمد بن اسد بن سامان على بلاد ما وراء النهر استقلالاً . واستولى نصر على بخارى ، ولكن حدث بينه وبين اخيه اسماعيل وحشة فتحاربا سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) . ولما ظفر اسماعيل باخيه نصر عفا

[١] السرير : الجلوس على العرش ، المنبر : الخطبة يوم الجمعة ، السكة : ضرب اسمه على العملة .

عنه ورده مكرماً الى كرسي امارته بسمرقند واقام هو نائباً عنه في بخارى .
ثم توفي نصر سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) فخلفه اخوه اسماعيل . ولما ضم الخليفة
المعتضد خراسان الى اسماعيل سنة ٢٨٧ هـ . (٩٠٠ م) كان ملك السامانيين قد اتسع
كثيراً وضم — فيما ضمه — خراسان وسجستان وجرجان وسواها .
وكان للسامانيين فضل كبير على السياسة والعلم ، فقد رسخ حكم الاسلام في مسا
وراء النهر في ايامهم ، ثم اصبح بلاطهم في سمرقند وبخارى مركزاً للادب والعلم
والفلسفة . ولكن اتى عليهم — فيما بعد — ما اتى على جميع الدول ، فقد استولى
الغزنويون على عاصمتهم بخارى سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) ، وزالت الدولة السامانية بعد
ذلك ببضع سنوات .

١٤ — الدولة الغزنوية

في العام الذي أسرف فيه ابو فراس (٣٥١ هـ — ٩٦٢ م) نبعت في مدينة غزنة
في بلاد الافغان دويلة على يد رجل اسمه ألب تكين كان من قبل في خدمة السامانيين .
كان ألب تكين اولاً في الجيش ثم تولى خراسان سنة ٣٥٠ للهجرة .
ومع ان هذه الدولة كانت أعظم ما نشأ في المشرق من الدول ، فانها متأخرة في
الزمن عن العصر الذي ندرسه وان كانت قد نبعت قبل وفاة ابي فراس بست سنوات .

*

كانت هذه حال البلاد الاسلامية في آسية وافريقية وفي الاندلس من اوروبة، فما
كانت حال البلاد غير الاسلامية في اوروبة ؟

أ — الامبراطورية البيزنطية

يقع العصر الذي ندرسه في ايام الاسرة المقدونية التي حكمت بيزنطية من عام
٨٦٧ الى ١٠٥٧ م (٢٥٣ — ٤١٦ م) . وقد عاصر ابو فراس من ملوك هذه
الاسرة ستة ، هم .

(١) — قسطنطين السابع (رقي العرش عام ٩١٢ بحق الوراثة) .

(٢) رومانوس الاول (رقي العرش اغتصاباً عام ٩٢٠ م) .

✱ قسطنطين السابع (عاد الى العرش عام ٩٤٤ م) .

(٣) رومانوس الثاني (رقي العرش ٩٥٩ م)

(٥٤) — باسيل الثاني وقسطنطين الثامن (رقا العرش سنة ٩٥٩ م — مع .

رومانوس الثاني)

(٦) — نقفور الثاني الأنطاكي (فوقس ، رقي العرش اغتصاباً من سنة ٩٦٣ الى

٩٦٩ م ، اي ٣٥٩ هـ) .

وضعت هذه الاسرة خططاً للتوسع في ما حولها . وقد بلغت نجاحاً كبيراً في الحوض الشرقي من البحر المتوسط اذ استولت على قبرس واقريطش ومدت حدودها في آسية الصغرى وشمالى الشام الى الفرات . وكذلك حامت بان تستولي على فلسطين . اما في الغرب فقد خابت بيزنطية في الاستيلاء على صقلية من ايدي العرب ، ولكنها اعادت شمالي ايطالية الى سلطانها . واما الموقف في الشمال فكان لا يزال حرجاً ، فان البلغار والمجر لم يفتزوا عن مهاجمة الامبراطورية البيزنطية .

ولا ريب في ان بيزنطية تمتعت في ذلك العهد برخاء ورفاهية لاتساع تجارتها في العالم يومذاك ولترامي حدودها . ولكنها كانت مملوءة بالمشاكل الداخلية وبالفسق والفجور . اما المشاكل السياسية فتبدى في تعاقب الاباطرة على العرش اغتصاباً والتنازع ثم تزولهم عنه خلعاً او اغتيالاً . اضف الى ذلك ان الاحزاب السياسية كانت تتنازع الاباطرة لتنفيذ مآربها . وكانت النساء مدار المكائد والمؤامرات كلها . واما في الناحية الاخلاقية فحسبك ان تعلم ان البطريك ثيوفيلاقطوس استغل منصبه في سبيل ملذاته استغلالاً مشيناً ، وانعكس في الملذات والفجور . وكان مغرماً بالخيل فجمع في اسطبلاته ألفين منها تغذى وتنظف وتعطر بعناية وترف لم يعرفها كثيرون من المتنعين من البشر . وفي يوم من الايام كان على المذبح يقدر ، فانسل اليه احد خدمه وأسر في اذنه ان احدى افراسه تضع . فقطع ثيوفيلاقطوس القداس فجأة وألقى عن عاتقيه الثياب الدينية ثم اسرع الى الاسطبل ليشراف على العناية بالفرس المحبوبة . ولما اطمان .

على الفرس والالدة وعلى المهر المولود عاد الى المذبح ليتم القداس (١). ومن الطبيعي ان يكون عامة البيزنطيين اكثر انغماساً في اللهو والملذات من ثيوفيللاقتوس .

اما ايطالية فكانت منذ مطلع القرن التاسع للميلاد في الدرك الاسفل من الضعف، مقسمة امارات وممالك وجمهوريات لا قوة حقيقية لها . وكانت المؤسسة الوحيدة التي يبدو عليها شيء من القوة هي ايطالية البابوية ، وخصوصاً في ايام البابا نقولا الاول (٨٥٨ - ٨٦٧ م) . على ان الاساقفة كانوا يحاولون في كل مكان ان يستبدوا بما تحت ايديهم من المدن ، بينما كان البابوات يحاولون جهدهم ان يصمدوا في وجه هذا العصيان الذي بدأ يفكك البابوية ويجريء عليها الملوك والنبلاء . ولكن البابوية ضعفت بعد نقولا الاول ضعفاً جديداً وانحدر المركز البابوي الى درك مريع ، حتى ان الحقبة التي امتدت من اواخر القرن التاسع الى اوائل القرن العاشر للميلاد كانت تعرف باسم « عهد المومسات » . تلك كانت احلك العصور جميعها في تاريخ البابوية كله بين عام ٨٩٦ وعام ٩٦٣ للميلاد — وهو العام الذي أُسر فيه ابو فراس — سبعة وستون عاماً تقاب فيها على رومية عشرون باباً أُنزلوا عن سدة البابوية بالخلع وبالاعتقال . وكانت الاحزاب السياسية تتناحر في سبيل السيطرة على البلاط البابوي حتى اضطر البابوات — في سبيل الاحتفاظ بمراكزهم وبرؤوسهم — الى ان يعتمدوا على الاسر النبيلة في رومية . ولقد انقضت مدة كانت البابوية فيها لعبة في يد نبيل توسكاني يسكن رومية اسمه ثيوفيللاكتوس وفي يد زوجته تيودورا . وكذلك اصبحت ابنتها ماروزيا فيما بعد مسيطرة ، كأماها من قبل ، على البلاط البابوي ، حتى ان البابوات الثلاثة : سرجيوس الثالث (٩٠٤ - ٩١١ م) و اناستاسيوس الثالث (٩١١ - ٩١٣ م) ولاندونيوس (٩١٣ - ٩١٤ م) ارتقوا عرش البابوية برغبتها وبنفوذها . وهي التي خلعت البابا يوحنا العاشر وقتلته عام ٩٢٨ م .

(١) History of the Byzantine Empire, by George Finlay (Every man's Library p. 280 - 281 .

وكان ماروزيا ايضاً عشيقته للبابا سرجيوس الثالث فولدت منه غلاماً [١] جعلته
ثلاثاً واثني عشر عاماً فقط، بابا باسم يوحنا الحادي عشر (٩٣١—٩٣٥ م) . ولم
يكن يوحنا الحادي عشر في هذا المنصب الا لينفذ رغبات امه التي جعلته سجيناً في
قصر لاتران .

وكان لهذه المرأة غلام آخر اسمه ألبريك جعلته اميراً على رومية . ولما مات
ألبريك خلفه ابنه اوكتافيان الذي رقي فيما بعد سدة البابوية باسم يوحنا الثاني عشر . وكان
يوحنا الثاني عشر عرياً عن الحزم والقوة والاخلاق فتم في ايامه الاضطرابات السياسي والاخلاقي
في البلاط البابوي . اما في باب الاخلاق فقد جعل يوحنا الثاني عشر من قصر لاتران
مبارة لحفلات الفسق وعاش عيشة كلها فضائح ، وكان اكبر مجرم تربع على عرش البابوية .
واما في السياسة ، فانه لما خشي على منصبه استعان بملك ألمانية أوتو الاول على براونجة
الثاني ملك ايطالية (٢) . فلما جاء أوتو الى رومية توجه يوحنا الثاني عشر بالتاج
الامبراطوري (٩٦٢ م) . ولكن لما انصرف أوتو الى محاربة براونجة انقلب يوحنا الثاني
عشر عليه وخان عهده له . غير ان أوتو تغلب بسرعة على براونجة ثم عاد الى رومية
فخلع البابا يوحنا الثاني عشر ونصب مكانه ليو الثامن (٩٣٦ — ٩٦٤ م) .

ومنذ ذلك الحين بدأ النزاع السياسي والديني بين البابوات وبين اباطرة الجرمان .
ولكن قصة هذا النزاع لا تهمنا في هذا الاطار التاريخي الذي نخطه ، الا انه يهنا ان
نعلم ان أوروبا كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية وان العداء بين البيزنطيين في الشرق
وبين اللاتين في الغرب والجرمان في الشمال كان عظيماً جداً .
واذا نحن اتجهنا غرباً وراء ايطالية لم نجد فرنسا احسن حظاً .

في هذا العصر الذي نصفه كانت الاسرة القارلية المنسوبة الى قارله او شارلمان
(ت ٨١٤ م — ١٩٩ هـ) تحكم فرنسا ، ولكن الخلافات كانت تتنازعها وتتقسمها .
كان أودو ، وهو ابن روبرت القوي دوق فرنسا وقومس باريس ، قد اعلن عام

(1) Enciclopedia Italiana XVII 253, XXXI 433 .

(2) A history of medieval civilization, by Ross William Collins, p. 262 ;
Enc. Britannica, 11 th. ed. XV 435; Larousse du XXème Siècle, 705; The
Byzantine Empire, by George Finlay, (Every man's Library) , p. 280 .

٧٨٨ م (٢٧٥ هـ) ملكا على فرنسا بعد شارل الثالث السمين المخاوع عام ٨٨٧ م لما ابداه من الضعف امام الغزاة النورمانديين . ولكن بعد بضع سنوات وقع نزاع بين اودو هذا وبين شارل بن لويس الثاني انتهى عام ٨٩٣ م (٢٨٠ هـ) بان حكم فرنسا ملكا اودو وشارل الثالث [١] المعروف بالساذج أو البسيط . ولما توفي اودو عام ٨٩٨ م (٢٨٥ هـ) استبد شارل الثالث بعرش فرنسا .

ولكن مجيء شارل الساذج لم يبعد خطر النورمانديين المتزايد . وهكذا اضطر شارل هذا الى ان يزوج رولون (رولف) زعيم النورمانديين بابنته عام ٩١١ م (نحو ٣٠٠ هـ) وأن يعطيه الطرف الشمالي الغربي من فرنسا ، ذلك الجزء الذي عرف من ذلك الحين باسم نورماندية . على ان هذه الخطة الذليلة ايضاً لم تنفع فقد عاد النزاع الداخلي في فرنسا الى مثل ما كان . ثم ان رودولف الثاني ملك بورغندي (في جنوب فرنسا) تغلب على شارل الساذج عام ٩٢٣ م (٣١١ هـ) وخلعه وسجنه ثم استبد بالحكم . مكانه ومات شارل في السجن عام ٩٢٩ م . ولما توفي رودولف عام ٩٣٦ م اراد النبلاء ان ينقلوا التاج الى هوغ الكبير قوس باريس ودوق فرنسا ، ولكن هوغ اصر على رد الاسرة القارلية الى عرش فرنسا فتوج النبلاء لويس الرابع بن شارل الثالث الساذج ملكا على البلاد (٩٣٦ — ٩٥٤ م) ، الا ان الاضطراب ظل سائداً فيها . ثم ما لبثت الوحشة ان وقعت بين شارل وبين هوغ . وتوفي هوغ بعد عامين والاسرة القارلية الضعيفة تحكم فرنسا حتى نهض هوغ كابت (ابن هوغ الكبير) واعلن نفسه ملكا في فرنسا عام ٩٨٧ (٣٧٧ هـ) بعد موت ابي فراس بعشرين سنة .

[١] كان شارل السمين وشارل الساذج يعرفان بشارل الثالث

موجز ترجمته

ابو فراس مُولّد : عربي من جهة ابيه ورومي من جهة امه .
 اما ابوه فهو ابو العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان . ويتصل
 نسبه بتغلب ثم بوائل ثم بربيعة ثم بمضر . واما امه فهي جارية رومية في الاغلب .
 وهو يفتخر بأنه يجمع في نسبه العمومة الاسماعيلية (السامية العربية) والخوولة
 الاسحاقية (من اسحق بن ابراهيم) . وهو يفسر ذلك تفسيراً شبه خرافي حينما يظن
 ان بني اسحق هم بلصفر اي بنو الاصفر او الروم (١٩ : ١١ - ١٢) :

لِاسْمَاعِيلَ بِي وَبَنِيهِ فَخَرُّ ، وفي اسحاق بِي وَبَنِيهِ عُجْبُ .
 وَأَعْمَامِي رَبِيعَةٌ وَهِيَ صَيْدٌ وَأَخَوَالِي بَلَصْفَرٌ وَهِيَ غُلْبُ .
 ثم انه صرح بخوولته الرومية في احدى اخرانياته الى سيف الدولة حينما قال
 معرضاً بتقاعس بني عمه ، وسيف الدولة فيهم ، عن اقتدائه من الاسر (١٩٧ : ٢٠) :
 إِذَا خَشِيتُ مِنْ أَخَوَالِي الرُّومِ مَرَّةً تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِي الْعُرَبِ أَرْبَعًا .
 اما قوله (٢٨١ : ١٨ - ١٩) :

لَمْ تَتَفَرَّقْ بَنَا خُوُول فِي جِذْمٍ عَزٍ وَلَا عُومِ :
 سَمَتْ بَنَا وَائِلٌ وَقَازَتْ بِالْعَزِ أَخَوَالُنَا قَمِيمِ .
 قال التغلب انه يشير فيه الى خوولة امرته في بني تميم لا الى خوولته هو .

مولده

ولد الحارث (ابو فراس) بن سعيد بن حمدان سنة ٣٢٠ للهجرة (عام ٩٣٢ م)
 في الموصل ، ولكنه لم يتمتع برعاية والده طويلاً ، فقد اغتيل والده في رجب سنة ٣٢٣

(حزيران ٩٣٥) ، قتله ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن عبدالله . وكان ناصر الدولة ابن اخي سعيد المقتول وأخا سيف الدولة . وأراد سيف الدولة ان يتحفظ عن الطفل اليتيم وطأة اليتيم وأن ينسبه قبح الجريمة فرعاه بعطفه ونشأه في اكناف نعمته . ويبدو ان أبا فراس نسي فعلاً جريمة ابن عمه ناصر الدولة وصفح عن المجرم بعد ان قام سيف الدولة ، اخو القاتل ، مقام الوالد البار الرؤوف . يشهد على ذلك قول ابي فراس مخاطب سيف الدولة (٢ : ٨٢ ، ٣٦ : ٥) :

إِذْ أَنْتَ سَيِّدِي الَّذِي رَبِّيتَنِي ، وَأَيُّ سَعِيدٍ .
هَيَّاهُ ، لَا أَجْعَدُ النِّعَمَاءُ مِنْعِمَاهُ : خَلَقْتَ ، يَا ابْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ ، فِي أَبِي .

او يتكلم عنه فيقول (١٥ : ٢٨٨ - ١٦) :

أَرَانِي كَيْفَ أَكْتَسِبُ الْمَعَالِي ، وَأَعْطَانِي عَلَى الدَّهْرِ الدَّمَامَا ،
وَرَبَّانِي فَفُتُّ بِهِ الْبَرَايَا ، وَأَنْشَأَنِي فَسُدْتُ بِهِ الْأَنَامَا .

ولكن يبدو ان عداء بني حمدان لفرع ابي فراس لم يتحفظ بمقتل سعيد ، اذ استمر واشتد مع الايام . وما كان عطف سيف الدولة على ابي فراس الا من باب التألف فقط . ان ناصر الدولة ، أخا سيف الدولة ، قد قتل سعيداً والد ابي فراس لأن الخليفة الراضي كان قد منح سعيداً ضمان الموصل وديار ربيعة . وأراد ناصر الدولة ان يستبد فرعه هو بالمقاطعة الجديدة دون فرع ابي فراس فقتل سعيداً . على ان سيف الدولة (ت ٣٥٦ هـ) وناصر الدولة (ت ٣٥٨ هـ) ظلّا ينحشيان من ابي فراس تطلعه الى الحكم ويجولان دونه ودون ان يبرز بروزاً ظاهراً في الحياة السياسية والادبية .

وليس بمستغرب قط ان تكون تهمة ابي فراس لابناء عمه (سيف الدولة واخوته) بأن يظل هو في الاسر وبأن يهلك فيه صحيحة (١ : ٨٩) .

تَمَيَّنْتُ أَنْ تَفْقِدُونِي ، وَإِنَّمَا تَمَيَّنْتُ أَنْ تَفْقِدُوا الْعِزَّ أَصِيدَا .

وحضنت أبا فراس أمه ، ونقلته في موطن الحمدانيين :آمد وميافارقين وماردين والركة . ولعلها اقامت به بين الموصل والركة حقبة [١] . واخيراً استقر أبو فراس في منبج قرب حلب حيث كانت ولايته واقطاعه وداره منذ أيام صباه.[٢]

وتعلم أبو فراس فنون زمانه فتولاه الفرسان يدربونه على اساليب الفروسية واخذهم المعلمون بأسباب الثقافة الراهنة كالشعر واللغة والنحو والفقه والتاريخ . وكان من اساتذته أبو ذر الشاعر وابن خالويه اللغوي [٣] . ولا ريب في ان أبا فراس افاد كثيراً من وجوده في بلاط سيف الدولة ، فقد كان هذا البلاط معموراً بالادباء والشعراء والعلماء والفلاسفة بما لم يجتمع مثله الا في بلاط هرون الرشيد .

ولما بلغ أبو فراس السادسة عشرة من عمره (٣٣٦ هـ) قلده سيف الدولة ولاية منبج وحران واعمالها جميعاً . وكان ولاية منبج ثقيلة الوطأة على الشاعر الشاب . كانت منبج ثغر حلب ، فكان على أبي فراس ان يفتح احدى عينيه على حركات الجيوش الرومية التي لم تكن تترك فرصة لغزو الشام (سورية) الا انتهزتها ، وان يفتح العين الاخرى على قبائل البدو الضاربة في بادية الشام والمتنقلة بعصبياتها من مكان الى آخر ، وخصوصاً بني كلاب وكعب وغير .

ولقد كانت الدعوة القرمطية قد تسربت الى هذه القبائل التي اخذت تهاجم الحمدانيين كلما سنحت لها فرصة .

ومع ميل سيف للدولة عن أبي فراس — تخوفاً من طموحه الى الاستبداد بالامارة — فإنه كان يبعثه بالغزوات المختلفة او يصطحبه معه في غزواته او يستخلفه مكانه اذا اراد ان يغزو وحده . ويبدو لنا ان سيف الدولة كان يختار في مثل هذه الاحوال لأبي فراس ما يأمن معه انتقاضه عليه . لقد كان سيف الدولة يظهر العطف والحب لأبي فراس ، وكان أبو فراس يبدي لسيف الدولة احتراماً وحجاً وعرفاناً للجميل لا مطمع وراءها ، ولكن كل واحد منهما كان غير واثق من صاحبه او

(١) راجع ديوان - ت ٦٠ ، ورقم ٢٦٤

(٢) ديوان ٣٢٦ - ٣٢٩ ، رقم ٢٦٤ : ٤

(٣) راجع ديوان - ت ١١ ، ت ١٨ - ١٩

مطمئن الى وفائه .

وفي العام التالي (سنة ٣٣٧ هـ) التقى المتنبي بسيف الدولة فخلق هذا الاتصال لأبي فراس مشاكل جديدة من المنافسة الادبية والسياسية : لقد اتى سيف الدولة بمنافس هو شاعر وفارس وعالم ثم اقامه في وجه ابي فراس . وصحت سيامة سيف الدولة فانقسم البلاط ادبياً قسيتين : قسماً يناصر ابا فراس ويناهض المتنبي وقسماً يناصر المتنبي ويعرض بابني فراس . ولا ريب في ان هذا اضعف مركز ابي فراس السياسي في بلاط سيف الدولة . والظاهر من الديوان ان ابا فراس قد تعرض لأساءات كثار من بني حمدان بعد اتصال المتنبي ببلاط سيف الدولة ، وهذه زفرة واحدة تدل على ما كان يستشعره ابو فراس من جانب سيف الدولة وتُجمل ثقته منه اجمالاً بيتاً (٢٦٩ : ٣ - ٦)

وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ غَدْرَةٍ ،	وَقَوْلٍ تُكَذِّبُهُ بِالْفِعَالِ ،
وَوَعْدٍ يُعَذِّبُ فِيهِ الْكَرِيمُ	إِمَّا يُخْلَفُ وَإِمَّا مِطَالُ ،
صَبَرْنَا لِسُخْطِكَ صَبْرَ الْكِرَامِ ،	فَهَذَا رِضَاكَ ، فَهَلْ مِنْ نَوَالِ ؟
وَذُقْنَا مَرَارَةَ كَأْسِ الصُّدُودِ ،	فَأَيْنَ حَلَاوَةُ كَأْسِ الْوَصَالِ ؟

ولكن لماذا كان ابو فراس ، مع ثقته الشديدة ، يحافظ على الولاء لسيف الدولة ويتواضع بين يديه ويدل له في كل امر ؟ لقد كان ابو فراس ضعيفاً بجانب سيف الدولة فلم يستطع الانتفاض عليه . ولقد جرب الانتفاض بعد وفاة سيف الدولة ، ولكنه لم ينجح ايضاً .

واخيراً ضاق صدر ابي فراس من سوء معاملة الحمدانيين له فخطر بباله ان يذهب الى اعدائهم المستبدين بمصر ، بني طُغْج . ولا يمكن ان يكون ابو فراس قد فكر في هذه الخيانة العظمى الا اذا كانت أساءة اهله له قد بلغت الذروة . ويبدو ان ابا فراس قد اشر ذلك الى غلامه منصور ، او أنه فرّج كربه باعلان ذلك في شعره على الاقل (٦٠ : ١ - ٢) :

أَيَا مَنْصُورُ ، خَانَتْنِي ثِقَاتِي فَمَهْدٌ لِي عَلَى الْعَدُوِّ سَرَجِي .

(٣ - ابو فراس)

بنو حَمْدَانَ حُسَّادَى جَمِيعاً . فَأَلِي لَا أَرُوزُ بَنِي طُفَحٍ (١) ؟
أُحِبُّ إِلَيْهِمْ حَجَّ أَعْتَصَادٍ بِعَقْوَةِ غُمَرِهِمْ فَيَرَّ حَجِّي !
ولكنه لم يذهب اليهم .

في هذه الحقبة كان الخلاف بين افراد الاسرة الحمدانية قد استفحل ، ولكن ذلك لم ينسهم ان يكونوا كلهم اعداء لابي فراس ، وخصوصاً سيف الدولة . في مثل ذلك يقول ابو فراس (٨٣ : ٣ — ٦٤٤) مخاطباً سيف الدولة :

قَدْ كُنْتُ عُدَّتِي أَلِي أَنْسُطُوبَهَا وَيَدِي إِذَا أَشْتَدَّ الزَّمَانُ وَتَعَادَى .
قَرُمَيْتُ مِنْكَ بَذِيرَ مَا أَمَلْتُهُ ، وَالْمَرْءُ يَشْرِقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ .
فَصَبَرْتُ كَالْوَلَدِ الثَّقِيِّ لِرَبِّهِ (كَذَا) أَنْغَضِي عَلَى الْمِرِّ لَضَرْبِ الْوَالِدِ .

وفي هذه الحقبة ايضاً اصيب ابو فراس — في احدى معاركه — بطعنة في خده بقي لها اثر دائم ذكره الشاعر في ديوانه (١٨١ : ٢ : ١٨٢ : ٣) .

اختلف رواية الادب في اسر ابي فراس ، فقال بعضهم اسر مرة واحدة سنة ٣٥١ هـ . وبقي في الاسر اربع سنوات حتى ٣٥٥ هـ . وبعضهم يقول بل اسر مرتين : مرة سنة ٣٤٨ هـ وبقي في هذا الاسر الاول ثلاث سنوات . ثم ما كاد ينجو من الاسر الاول حتى اسر مرة ثانية سنة ٣٥١ هـ ومكث في الاسر اربع سنوات اخرى .

وراجع الدكتور سامي الدهان ، مستخرج ديوان ابي فراس وناشره ، جميع الاصول وقارن بعض الروايات ببعض (٢) فأتضح له ان الاسر وقع مرة واحدة فقط ودام نحو اربع سنوات من شوال سنة ٣٥١ الى رجب سنة ٣٥٥ (٩٦٢ — ٩٦٦) . وتتلخص قصة اسره فيما يلي :

خرج ابو فراس من منبج في نحو سبعين من رجاله وغلماناه في شوال من سنة ٣٥١ هـ

(١) لا يستقيم الوزن الا اذا قلنا : بني طُفَحٍ ، (بتشديد الجيم ، او بتشديد الياء) وكلا القراءتين لا وجه لها .

(٢) ديوان ، ص ١٤٥ والحواشي على الصفحات ١٤٥ — ١٤٧ .

(تشرين الثاني ٦٦٢) يريد الصيد . فاتفق ان كانت حملة رومنة متجهة الى نواحي منبج فنشبت بين الفريقين معركة اصاب في اثائها ابو فراس بتصل في فخذه فحمله الروم اسيراً الى خرشنة على الفرات . وعرض الروم على ابي فراس ان يطلقوا سراحه اذا اطلق سيف الدولة اسيراً في يديه منذ ٣٤٣ هـ هو اخ للبطريق (القائد) بودرس ابن مرديس (بارداس فوكاس) الذي اسر الآن ابا فراس . وكان ابو فراس قد جزع من الوقوع في الاسر ، فكتب بهذا الى سيف الدولة في اولى قصائده اليه من بلاد الروم (رقم ٨٧) والملحقة بهذه الدراسة :

دَعَوْتُكَ لِلْجَنِّ الْقَرِيحِ الْمَسْهَدِ . لَدَيَّ ، وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمَشْرَدِ .

ولكن سيف الدولة لم يلتفت الى طلب ابي فراس ، لأن سيف الدولة ، فيما قيل ، كان يريد ان يفتدي جميع اسرى المسلمين الذين كانوا في يد الروم لا ان يفتدي ابا فراس وحده . ولم يكن بإمكان سيف الدولة ان يفعل الاولى فلم يفعل الثانية ايضاً . ولعل الاقرب الى المعقول ان سيف الدولة لم يكن يشعر برغبة خاصة في اقتداء ابي فراس كيف دارت الحال .

وكان بودرس بن مرديس يأمل ان يصغي سيف الدولة لطلب ابي فراس فتترك لأبي فراس حريته وسلاحه معه ووضعه في مكان خاص به لا يشرك فيه سائر الاسرى . والى هذا يشير ابو فراس بقوله (١٦٠ : ٤٦-٤٧) :

يَمْنُونُ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ أَنْدَقُ نَصْلُهُ ،
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ
وَأَعْقَابُ رَمَحٍ فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرُ

ولم يطلب ابو فراس في هذه القصيدة من سيف الدولة ان يفتديه ، وان كان قد اظهر الشكوى من حاله وافتخر بإيامه وألمح الى ان بني حمدان سيندمون غداً اذا خاضوا المارك وهو ليس معهم (١٦٠ : ٤٨) :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ، وَفِي أَلْيَةِ الظُّلَمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذْرُ .

ولكن سيف الدولة تغافل عنه ولم يبال شكواه .. وثقلت على ابي فراس الجراح :
 (التي نالته يوم اسره) واشتد عليه الألم منها ، فكتب الى امه العجوز يصبر لها
 ويدعوها الى ان تناسى من قبل باسماء ذات النطاقين لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير
 في حرب الحجاج بن يوسف ثم صلب ، او بصفية بنت عبد المطلب التي قتل أخوها حمزة في
 معركة أحد . وفي آخر هذه القصيدة يوحى اليها بأن تشفع له عند سيف الدولة
 فلعله يقتديه (٢٥٩ : ٤ - ٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٩) .

وَمَا نَالَ مِنِّي الْأَسْرُ مَا تَرَيَانِيهِ وَلَكِنِّي دَامِيَ الْجَوَاحِ عَليْلُ :
 جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاةُ مَخَوْفَةٌ ، وَسُقْمَانٌ بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ .
 فَيَا أُمَّنَا ، لَا تَعْدَمِي الصَّبْرَ ، إِنَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالنُّجْحِ الْقَرِيبِ رَسُولُ .
 أَمَا لَكَ فِي ذَاتِ الْإِطَاقِينَ أَسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبِ الْعَوَانُ تَجُولُ ١
 تَأْتِي كِفَالِكِ اللَّهِ مَا تَحْذَرِيهِ فَقَدْ غَالَ هَذَا النَّاسُ قَبْلَكَ غُولُ (١)
 وَمَا دَامَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْقَرْمُ بَاقِيَاً فَظِلُّكَ فَيَاحُ الْجَنَابِ ظَلِيلُ .
 عَسَاهُ ، وَقَدْ أَحْسَنْتُ ظَنًّا بِفَضْلِهِ ، يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيلُ .

وخرجت والدته ابي فراس من منبج ودخلت على سيف الدولة في حلب تستعطفه
 وتسأله فكأك ابنها من الاسر ، فردها ولم يقض حاجتها . ثم بدأ لسيف الدولة ان
 يتشدد في معاملة اسرى الروم ، فقيد البطارقة (القواد) الذين كانوا عنده في ميفارقين
 وحلب بالسلاسل . « واتخذ الروم بحق الاسرى العرب تدابير ثأرية » فقيدوا كبار
 اسراهم وفيهم ابو فراس ايضاً ، وكان لا يزال في خرشنة . وبلغ ذلك الى امه وراة
 الامر عظم على ابنها فاعتلت من الحسرة . فلما علم ابو فراس بمرض امه ، وبسبب
 ذلك المرض ، كتب الى سيف الدولة يعاتبه عتاباً رقيقاً (رقم ٢٦٥) :

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْمَلُهَا آخِرُهَا مُزِعِجٌ وَأَوَّلُهَا ١

(١) قال الناس غول : اهلكتهم المصائب والمهالك المختلفة .

بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَا مُعْلِلُهَا .
 عَلَى حَبِيبِ أَمْوَادِ أَثْقَلُهَا .
 أَنْتَ - عَلَى يَأْيَمِهَا - مُؤَمِّلُهَا .
 فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَا .
 وَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تُوصِلُهَا (١) .

عَلِيلَةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ
 يَا مَنْ رَأَى لِي الْفِيوَدَ مَوْثِقَةً ،
 سَمَحْتَ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمْتَ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ الْقِدَاءَ لَهَا
 أَرْحَامُنَا مِنْكَ لَمْ تُقْطِعْهَا

ولكن هذه القصيدة الوجدانية الرائعة لم تحرك سيف الدولة قط . واشتدت العلة
 أيام أبي فراس حسرة على ابنها فماتت . فوثاها أبو فراس بقصيدة رقيقة (١٠١٦٣ :
 ١٤ ، ١٥ - ١٩ ، ٢٠) :

بَكْرُهُ مِنْكَ مَا أَقْبَى الْأَسِيرُ !
 وَلَا وَلَدٌ ، لَدَيْكَ ، وَلَا عَشِيرُ (٢) .
 بِقَلْبِكَ ، مَاتَ ، لَيْسَ لَهُ ظُهُورُ !
 أَتَتَكَ وَدُونَهَا الْأَجَلُ انْقِصِيرُ !
 إِلَى مَا صِرْتَ فِي الْأُخْرَى نَضِيرُ .

أَيَا أُمِّ الْأَسِيرِ ، سَقَاكَ غَيْثُ .
 وَقَدْ ذُقْتَ الْمَنَايَا وَالرَّزَايَا
 أَيَا أُمَّاهُ ، كَمْ سِرٍّ مَصُونُ
 أَيَا أُمَّاهُ ، كَمْ بُشْرَى بِقُرْبِي
 نَسَلِي عَيْنِكَ أَنَا عَنْ قَلِيلِ

وهر عامان على أبي فراس في الأسر وهو لا يزال في خرشنة . ويظهر ان ابا
 فراس اتفق مع ملك الروم نقفور الثاني الفقاس (فوكاس) ، الذي تولى العرش عام
 ٩٣٦ م بعد اسر ابي فراس بقليل ، على طريقة لتبادل كبار الاسرى من الجانبين .
 فكتب ابو فراس بذلك الى سيف الدولة ، ولكن سيف الدولة لم يعر كتاب ابي فراس
 شيئاً من الاهتمام . فاعاد ابو فراس الكرة وكتب الى سيف الدولة ، يعتب عليه
 ويستبطن أمره . فغضب سيف الدولة وكتب الى ابي فراس يقرعه على حاجته .

(١) اقرأ : ولم تزل دائماً توصلها ، او يكون المعنى : لماذا تقطع ارحامنا الآن مع انك كنت من قبل
 تدأب في توصيلها .

(٢) زوج .

حيثُ أرسل أبو فراس الى سيف الدولة قصيدة منها (١٩٧ : ١٩ — ٢١ ، ٢٥) :

أَقْتُ بَارِضِ الرُّومِ عَامِينَ لَا أَرَى مِنْ النَّاسِ تُحْزِنُونَا وَلَا مُتَصْنِعًا (١).
ذَا خِفْتُ مِنْ أَخَوَالِي الرُّومِ مَرَّةً تَخَوَّفْتُ مِنْ أَعْمَامِي الْعُرَبِ أَرْبَعًا.
وَإِنْ أَوْجَعْتَنِي مِنْ أَعَادِي شَيْمَةً لَقِيتُ مِنَ الْأَحْبَابِ أَذْهَى وَأَوْجَعًا.
تَنَكَّرَ سَيْفُ الدِّينِ لِمَا عَتَبْتُهُ وَعَرَّضَ بِي تَحْتَ الْكَلَامِ وَقَرَعًا.

وفقد الروم الأمل من أن يقبل سيف الدولة الفداء الجزئي (فداء أبي فراس بابن اخت ملك الروم) ، لأن سيف الدولة ظن متمسكا برأيه الأول ، وهو ألا يقوم بفداء إلا إذا استطاع أن يقتدي جميع من بأيدي الروم من المسلمين دفعة واحدة . عندئذ نقل الروم أبا فراس من خرشنة الى القسطنطينية ، أيذاثا منهم بأنهم هم أيضا بدلوا رأيهم في الفداء الجزئي ، وأنهم سيعاملون الأمير أبي فراس معاملة سائر الأسرى ، وإن أسره سيطول أيضاً . فقال أبو فراس قصيدته السادسة عشرة في الديوان ، وفيها تعريض ظاهر بسيف الدولة . ولكن سيف الدولة استمر في تجاهله أمر أبي فراس . غير أن ملك الروم عاد الى ملاينة أبي فراس ، ذلك لأن أسرى الروم في يد المسلمين كانوا قليلين جداً ، بينما كان أسرى المسلمين عند الروم ثلاثة آلاف . من أجل ذلك أضرب ملك الروم عن الاهتمام بخروج جميع المسلمين من يده ، بل كان يود أن يخرج الأمير أبو فراس وحده إذا كان بالامكان أن يخرج ابن اخته (٢) بهذه الطريقة . ولقد أعفى أبو فراس وهو في القسطنطينية من أمور كثيرة كانت تفرض على الأسرى . ثم إن ملك الروم اتفق مع أبي فراس على صورة للفداء ذكرها ابن خالويه في مقدمة القصيدة ٢٦١ من الديوان وذكر قول أبي فراس (ص ٣٢٣ — ٣٢٤) : « فكان في أيديهم (أي في أيدي الروم) ثلاثة آلاف أسير .. فابتعتهم بمأتي ألف دينار رومية وخرجت بهم من القسطنطينية . ثم اني تقدمت بوجوههم (بأشرافهم) الى خرشنة .

(١) لا أرى أحداً يحزن فلأنا أصابني أو يتصنع الحزن على الأقل .

(٢) لما أسر أبو فراس كان على عرش القسطنطينية ثلاثة ملوك . والمملوح أن ابن اخت ملك الروم هذا

هو أخو بودرس بن مرديس القائد .

ولم يُعقد قبلها فداء مع اسير ولا (عُقدت) هدية . ولكن يبدو ان هذا المشروع لم يتم فلم يوقع سيف الدولة الفداء وبقي المسلمون وابو فراس في الاسر امدأ جديداً . على ان الدكتور سامي الدهان (١) يقول : «وفي اليوم الاول من شهر رجب سنة ٣٥٥ (حزيران ٩٦٦) خرج ابو فراس بثلاثة آلاف اسير الى خرشنة ، ووصل اليها سيف الدولة باسراه فدفع ستائة الف دينار رومية . وتم الفداء بعد اربع سنوات من اسر ابي فراس » ، مما يوحي بأن مشروع ابي فراس الاخير قد تم ، او ان الفداء حدث في ذلك الحين على الصورة التي رآها ابو فراس لأنها كانت الصورة المألوفة في الفداء بين الروم والمسلمين .

وبعد مدة يسيرة من خروج ابي فراس من الاسر مرض سيف الدولة — واشتد عليه المرض فيها يُروى — وساءت حالة الدولة الحمدانية . ويبدو لنا ان سيف الدولة كان ايضاً قد تناسى تلك الجفوة التي كانت بينه وبين ابي فراس فولى ابا فراس على حمص . الا ان سيف الدولة لم يعثر بعد ذلك طويلاً ، فقد توفي في صفر من سنة ٣٥٦ (كانون الثاني ٩٦٧) فخلفه ابنه ابو المعالي ، وكان سيف الدولة قد جعل الوصاية على ابي المعالي — لصفر سنة — الى حاجبه الغلام التركي قرغويه . طمع الآن ابو فراس بالاستبداد بحمص طموحاً الى التغلب على الدولة الحمدانية واعتقاداً منه بانه يستطيع ان ينال من ابي المعالي بالمطاولة والدهاء ، ما لم يستطع نيله من سيف الدولة . ولكن قرغويه حارب ابا فراس على ذلك عند قرية قريبة من حمص تدعى صدد . فسقط ابو فراس قتيلاً في المعركة (٢) يوم السبت في الثالث من جمادى الاولى ٣٥٧ (٤ نيسان ٩٦٨) .

(١) الديوان ، ت ١٤

(٢) الديوان ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .

عناصر شخصيته *

وصف أبو فراس نفسه في شعره بصفات جميلة جداً ، فهو حازم ، أبيض ، صبور ، جريء في الأقوال والأعمال ، وقور ، ذكي ، أريب ، عفيف ، شجاع ، ودود ، شهم يبذل نفسه دون قريبه وصديقه ومولاه . ثم هو بشوش ، دمث الاخلاق و«ابن نعمة» لا يبطر بالغي ولا يحمل الفقر على أن يبخل ، بما تملك يداه ، على المحتاجين . وهو يجعان ماله وقاية لعرضه وسمعته (١) . ويظهر ان ابا فراس كان جميلاً (٢) حسن القوام ، اسود الشعر ، فقد قال يصف شبيهه (٦٢: ١) «حل رأسي جيشان روم وزنج» ، فالزنج كناية عن شعره الأصلي الاسود ، والروم كناية عن شعره الذي شاب فابيض أو صهب (٣) قبل أن ينقلب أبيض خالصاً . هذا ما لم يكن المتنبي قد عرض به في إحدى قصائده فذكر انه قصير ، بطين ، جاهل ، مغرور . قال المتنبي مخاطب سيف لدولة ويعرض باعدائه (٤) :

أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِي مَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ
وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَفَمٌ .

والمفهوم عن ابي فراس انه شاب باكراً ، فقد بدأ شبيهه في العشرين ثم شط رأسه

(٥) نشر هذا الفصل في مجلة العرفان ، صيدا ، المجلد ٤١ ، الجزء الخامس (رجب ١٣٧٣) — آذار (١٩٥٤) ، ص ٤٩٧ — ٥٠٨ .

(١) راجع القصيدة ١٦ في ديوانه

(٢) ١٦٠ : ٣٤ — ٣٧

(٣) صهب : مال الى الحمرة او الشقره (القاموس)

(٤) البيان ٣ : ٣٦٦ و ٣٦٨

في الخامسة والعشرين (١) :

أَخَا عِشْرِينَ شَيْبَ عَارِضِيهِ
— وَمَا زَادَتْ عَلَيَّ الْعِشْرِينَ سِنِي
— شَعْرَاتٍ فِي الرَّأْسِ يَبِضُ وَغُنْجُ (٢)
أَيُّهَا الشَّيْبُ ، لِمَ حَلَلْتَ بِرَأْسِي ؟
مَرِيضُ اللَّحْظِ فِي الْحَدَقِ الصِّحَاحِ .
فَمَا عُذْرُ الْمَشَيْبِ إِلَى عَذَارِي
حَلَّ رَأْسِي جَيْشَانِ : رَوْمٌ وَزَنْجٌ .
إِنَّمَا لِي عَشْرٌ وَعَشْرٌ وَبَنْجٌ (٣) .
ولما كان أبو فراس في الأسر (في أوائل الثلاثين من عمره) كان الشيب قد عم
أكثر رأسه (١٩٧ : ١٤) :

وَمَا أَنَا قَدْ حَلَّى الزَّمَانُ مَفَارِقِي وَتَوَجَّيْتُ بِالشَّيْبِ تَاجًا مُرَصَّعًا
وإذا نحن قلنا ان أبا فراس كان فقيراً فليس معنى ذلك انه كان معدماً أو معوزاً ،
ولكننا نعني انه ، لمكانه من الامارة والوجاهة ، كان يحتاج الى مال كثير ، وهو
لم يكن يجد مقداراً منه عظمياً في يديه . ولذلك قال (٤) :

وَمَا لِلْمَالِ يُزَوَّى عَنْ ذَوِيهِ وَيُصْبِحُ فِي الرِّءَاذِيدِ الشِّحَاحِ (٥)
و أبو فراس لم يكن يريد المال حتى يجمع منه مبالغ يتدخرها ، بل كان يريده
لينفقه في وجوه حاجاته : يفدي الأسرى او يرد فضوله على المحتاجين ، أو يجعله سبباً
لحفظ كرامته والدفاع عن شرفه (١٦٠ : ٣٦ — ٣٧) :

وَلَا رَاحَ يُطْفِئَنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى وَلَا بَاتَ يَشْنِي عَنِ الْكُرْمِ الْفَقْرُ .

(١) شمت الرأس : خالط سواده يابض . راجع ٦٥ مكررة : ٧ (ص ٦٣) ، ١٧٣ : ١٦٢ : ١ — ٢

(٢) وغنج «؟» : هل الواو حرف عطف ام حالة ؟

(٣) بنج بالفارسية خمسة

(٤) ٢٠ : ٦٥ (ص ٦١)

(٥) يروي في الاصل يروي . الرعيد : الجبان

وما حَاجَتِي لِلَّيَالِ بَغْيُ وَفُودِهِ، إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرِ

ومع العلم ان ابا فراس لم يعمر الا جيلا واحداً من الدهر او اكثر قليلا فانه كان واسع الاختبار بلا ريب ، فهو يقول (٢٠:١-٣) :

وَلَا تَصِفْزُ الْحَرْبَ عِنْدِي، فَإِنَّهَا طَعَامِي مَذِيَّةٌ الصَّبَا وَشِرَاطِي.

وَقَدْ عَرَفْتُ وَقَعَ الْمَسَايِرِ (١) مُهْجَتِي وَشَقِيقَ عَنْ ذُوقِ النُّصُولِ إِهَابِي

وَلَجَّجْتُ (٢) فِي حُلُوِّ الزَّمَانِ وَمُره وَأَنْفَقْتُ مِنْ عُثْرِي بَغْيَ حِسَابِي.

ولا غرابة في ان يقول ابو فراس عن نفسه انه عالم ثم يفتخر بذلك (٣٠٦:١٥) :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْتَخِرْ بِحَيْدٍ فَخْرٍ فَخَرٍ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْطِقْ بِحَيْدٍ نَطَقٍ عَالِمٍ.

فانه واسع المعرفة بالاخبار والتاريخ سعة تدعو الى الدهشة فعلا ، وخصوصاً في ما يتعلق من الاخبار بايام العرب والفرس وبتاريخ قومه هو على الاخص . ثم انه واسع المعرفة ايضاً بابواب اخرى من العلم كالفلك مثلاً . وانا لا احب ان استعرض تفاصيل معرفته هذه فان ذلك يحتاج الى صفحات كثار ويخرج بنا عما نحن في سبيله (٣) . على ان الذي يلفت النظر ليس احاطته بتلك المعارف بل حسن تصريحها في شعره . اما كثرة مطالعته للشعر فظاهرة في اسلوبه ومعانيه ظهوراً كبيراً .

*

في ايام ابي فراس كان الشعور (بالرابطة العربية) قد برز بروزاً ظاهراً . لقد

(١) المسبار : آلة تختبر بها الجروح .

(٢) خاض

(٣) [٩٠٨،٤:٢٢] راجع في ذلك كله ٢٨:٨٨ وما بعده ، ٣٦ وما بعده ، رقم ١١٨ و ١١٨ مكررة

[ص ١٠١-١٧٠] مع مقدمتها ١٨:١٢٦، ١٧:٢٥٩، ٢٣:٢٤-٢٤ [ص ٣١٥، ٣١٦] ٢٨٣:٦٩

٢٠١، ٥٨ : ٨ وما بعده ١٨:٣٠٧، ٣٣٢:٥٤-٣٤٥، ١١:١٣-١٩، ٢٤٠-٢٤٠ . وفي الفلك

خاصة ١٧٤:١٧٤-٣٠٤٠٣:٧ .

رأينا ذلك من قبل عند أبي تمام ثم عند المتنبي بعد نحو قرن من الزمن . وينتظم ابو فراس في سلك الشعراء الذين اخذتهم العزة العربية فاقتخروا بها ورأوها ذات قيمة في المجد وفي العاطفة أيضاً (١١: ١١٨، ١٨٠ - ١٢٤: ١١٨، ١١٨) :

يُنَادِين بَيْنَ خِلَالِ الْيَوْمِ ت: لَا يَقْطَعُ اللَّهُ نَسْلَ الْعَرَبِ .
 - أَسِيفَ الْهُدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبِ
 وَإِنَّكَ لِلْجَبَلِ الْمَشْخِرُ (م) لِي؛ بَلْ لِقَوْمِكَ، بَلْ لِلْعَرَبِ .
 - إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ تَبْنِي عِمَادَهُ

على ان شعوره بالرابطه الاسلاميه كان أقوى وأبرز ، وشرف النسب العربي لا يتقدم على الانتماء الى محمد رسول الله بالاسلام ، والنجدة الصحيحة انما تجب للاسلام لا للعروبة ، والفخر الصحيح انما هو بالاسلام وحده (٤٣: ١٩، ١١٨: ١١٩) :

وَلَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ أَعْتَزَّأُونَا لَا أَشْرَفَ يَتُّ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
 - قَفِينَا لِدِينِ اللَّهِ عِزُّ وَمِنْعَةٌ وَفِينَا لِدِينِ اللَّهِ «سَيْفٌ» وَنَاصِرٌ .

وابو فراس متدين جداً ، عظيم الاعتقاد بالله والاتكال عليه ، لا يرى ان النجوم تستطيع ان تنبئ بشيء ولا أن تجلب للانسان سعداً او نحساً ، ولا هو يرى الناس ايضاً قادرين على ان ينفعوا أحداً او يضرّوه (رقم ٨٥، ٨٨: ٢٧، ٣١، ٣٣) :

يَا مُعْجَبًا بِنُجُومِهِ ، لَا النَّحْسُ مِنْكَ وَلَا السَّعَادَةُ
 اللَّهُ يَنْقُصُ مَا يُرِيدُ دُ ، وَفِي يَدِ اللَّهِ الزِّيَادَةُ .
 دَعِ « مَا أُرِيدُ » وَ« مَا تُرِيدُ » دُ ، فَإِنَّ لِلَّهِ الْإِرَادَةَ .
 - إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْفَوَائِدِ

عسى الله أن يأتي بخير فإن لي
عوائد من نعماء غير بوائد
فكم شائي من قعر ظلماء لم يكن
لنقذني من قعرها حشد حاشد

والحمية الدينية في شعر ابي فراس بارزة جداً، فهو لا يكتفي بان يطمئن الى الاسلام ويتمدح به ، بل هو ينفر من النصارى نفرة شديدة مصحوبة بالتحدي . وليس ذلك غريباً في ديوان شاعر مثل ابي فراس ، فان عصره كان عصراً فرق الناس بحسب ادیانهم ومذاهبهم الدينية ايضاً في الشرق والغرب معاً (٨٧ : ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٠٧ : ٤٠ ، ٣٣٢ ، ٤٧ : راجع ما بعدها ايضاً) :

ولكنني أختار موت بني أبي علي صهوات الخيل غير مؤسد (١)
وتأبى (٢) وآبى أن أموت مؤسداً بأيدي النصارى موتاً أكمد أكبد (٣)
أناديك ، لا أني أخاف من الردى ولا أرتجي تأخير يوم إلى غد
ولكن أنفت الموت في دار غربة بأيدي النصارى الغلف (٤) ميتة أكدي
فقل لابن قنّاس (٥) دع الحرب جانباً فإنك رومي وخصمك مسلم
أسيف أهدى (٦) من حد سيفك يرتجي يوم يذل الكفر للإيمان .

*

ان بني حمدان كلهم شيعة ، ولكن تشيع ابي فراس بارز جداً . ثم ان في تشيعه قضية تستحق التأمل . لقد حرص الحمدانيون على ان يكونوا درءاً للدولة العباسية

(١) المؤسد : اي في فراشه

(٢) يخاطب سيف الدولة

(٣) حزين مغناظ

(٤) الاغلف : الذي لم يختن : كناية عن النصارى

(٥) تقفور فوقلس قائد للجيش الرومية

(٦) سيف للدولة

وخلافة بغداد متناسين في سبيل الدفاع عن بلاد الاسلام كل اختلاف في الرأي . ويبدو ان ابا فراس شرك قومه في رأيهم السياسي ، ولكنه لم يشركهم في رأيهم المذهبي (السكوت عن موقف العباسيين من آل اليب قديماً وحديثاً) فقد ندد بافاعيل العباسيين بآل البيت تنديداً شديداً (١) . ان هجاء ابي فراس للمبرقع الخارجي قرمط الذي ثار ، على العباسيين ، يدل على ان ابا فراس قد فرح بمقتله . ولكن هذا لم ينسه ان يهجو العباسيين ويذكر ما ألحقوه بآل البيت من الظلم .

ولا ريب في ان ابا فراس كان ، كسائر بني حمدان ، من الشيعة الامامية (الاثني عشرية) مما هو باد في اماكن مختلفة من ديوانه . ولكن بينما كان بنو حمدان عموماً لا يتظاهرون بمذهبهم الشيعي ، أو لا يحفلون بان يظهر عليهم اثر التشيع ، لأن جهودهم كانت موجهة في الدرجة الاولى الى بلوغ مآربهم السياسية ، فان ابا فراس كان شديد التظاهر بالمذهب الشيعي : في التمدح باملائه او في مهاجمة خصومه .

*

على ان ابرز عناصر الشخصية في ابي فراس أنه فارس شجاع ، فيه جميع معاني « الفروسية والفئتوة » من كرم وشهامة ووفاء للصدیق وللعَدُو ، ومن احترام للمرأة وعفة بالغة وكتان للسر . وحسبك ان تعلم انه لما تبين له يوم اسره ان « الفرار ينجيه من الموت » فضل أن يظل في الميدان يقاتل مع قلة من كان معه من الجند على ان يهرب بنفسه فينجو (١٦٠ : ٤٠ - ٤١) :

وَقَالَ أَصِيحَابِي : « الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى » ،

فَقُلْتُ : « هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مَرٌّ » .

وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيبُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْإِسْرُ

والتهور ظاهر في شجاعة ابي فراس ، ولكنه هو يذكر دائماً عن نفسه انه بصير بالعواقب . اما انهزامه احياناً واسره فانها كانا مقدرين عليه بقضاء الله (٢٢ : ٢٢) ،

(١) راجع ايضاً ت ١٧ « من مقدمة الجزء الثاني »

— وَمَا أَدْعِي أَنْ الْخُطُوبَ فَجَأَنِي ،
— أَيْرَتْ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي
— تَكَارَّرَ لَوَامِي عَلَى مَا أَصَابَنِي ،
يَقُولُونَ : « لَمْ يَنْظُرْ عَوَاقِبَ أَمْرِهِ »
أَلَمْ يَعْلَمْ الذُّلَّانُ (٣) أَنْ بَنِي الْوَعَى
أَرَى مِلَّةَ عَيْنِي الرَّدَى فَأَخُوضُهُ ،
وإنَّ وَرَاءَ الْحَزْمِ فِيهَا وَدُونَهَا

لقد خَبَّرْتَنِي بِالفراق التَّوَاعِبِ (١)
ولا فَرَسِي مُهَرٌّ وَلَا دَبُّهُ غَمْرٌ (٢) .
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ .
كَأَنَّ لَمْ تَلُبْ إِلَّا بِأَسْرِي النَّوَائِبُ
وَمِثْلِي مِنْ تُجْرِي عَلَيْهِ الْمَوَاقِبُ
كَذَاكَ سَلِيبٌ بِالرَّمَا حِ وَسَالِبٌ ؟
إِذِ الْمَوْتُ قُدَّامِي وَخَلْفِي الْمَعَايِبُ
مَوَاقِفَ تُنْسَى دُونَهُنَّ التَّجَارِبُ .

ومع كل شجاعة ابي فراس وتهوره فانه كان يخاف الموت . غير انني لا ارى انه
كان يخاف ألم الموت فيجبن عن لقائه ، ولكنه كان يرى ان انتهاء حياة الانسان «امراً
فطبيعاً» . ان الشجاعة والرئاسة والفخر والسرور ، كل هذه تنتهي اذا حمل الانسان
الى التراب ، فاي قيمة اذن لهذا الجهاد المستمر ؟ (١ : ٢٠١ — ٥) :

أَيَا قَلْبِي ، أَمَا تَخْشَعُ ؟
أَمَا حَقِّي بَأَنْ أَنْظَأْ
أَمَا شَيْعْتُ أَمْثَالِي
أَمَا أَعْلَمُ أَنْ لَا بُدَّ

وَيَا عِلْمِي ، أَمَا تَنْفَعُ ؟
رَ لِلدُّنْيَا وَمَا تَصْنَعُ ؟
إِلَى ضَيْقٍ مِنَ الْمَضْجَعِ ؟
لِي مِنْ ذَلِكَ الْمَضْرَعِ ؟

١ . الناعب : الغراب ينذر الناس بالفراق والشتات

٢ . أعزل : بلا سلاح المهر : ولد الحصان كناية عن صغر السن وقلة الاختبار . غمر : جاهل .

٣ . النليل

أَيَا غَوْنَاهُ ، يَا اللَّهُ هَذَا الْأَمْرُ مَا أَفْظَرُ .

وابو فراس فوق ذلك كله عظيم الوفاء للصديق والعدو ، كتوم السر ، بعيد عن الغدر ، فهو يقول في ذلك كله (رقم ٣٢١ ، ٣٣٤ : ١ - ٣ : ٥٢) :

وَيَعْتَابُنِي مَنْ لَوْ كُفِيتُ اغْتِيَابَهُ (١) لَكُنْتُ لَهُ أَلَمٌ الْبَصِيرَةُ وَالْأَذْنَا.
وَعِنْدِي مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَوْ ذَكَرْتُهُ إِذَا قَرَعَ الْمُغْتَابُ مِنْ نَدَمٍ سِنًا.
- وَإِنِّي لَا أُوِي هَجْرَهُ فَيَرُدُّنِي هَوَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الضُّلُوعِ دَفِينُ.
فَيَغْلُظُ قَلْبِي سَاعَةً ثُمَّ أَنْشِي وَ (أَقْسُو) عَلَيْهِ تَارَةً وَأَلَيْنُ.
وَقَدْ كَانَ لِي عَنْ وَدِّهِ كُلُّ مَذْهَبٍ وَلكِنْ مِثْلِي بِالْإِخَاءِ ضَنِينُ
- فَدَيْتُكَ مَا الْعَذْرُ مِنْ شِيَمَتِي قَدِيمًا ، وَلَا الْعَجْزُ مِنْ مَذْهَبِي .

ويرى ابو فراس ان يظل على وفائه حتى لأولئك الذين يخونون عهده ويحولون عن صداقته أو يغدرون به ، سواء أكان هؤلاء من الذين احبهم أو من الذين صافاهم المودة والاخاء (١٦٠ : ١٣ ، ٩٦ : ٣ - ٥ : ٧٠) :

- وَفَيْتُ وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ لَأَنْسَى فِي الْحَيِّ شِيَمَتَهَا الْعَذْرُ .
- وَلَمَّا أَسَاءَ الظَّنُّ بِي مِنْ جَعَلْتُهُ وَإِبَائِي مِثْلَ الْكَفِّ نَبَطَتْ إِلَى الزَّنْدِ
حَمَلْتُ إِلَى ضَنِّي بِهِ سُوءَ ظَنِّهِ (٢) وَأَيَقَنْتُ أَنِّي بِالْوَفَاءِ أُمَّةٌ وَحْدِي
وَإِنِّي عَلَى الْحَالِينَ فِي الْعُتْبِ وَالرِّضَى مَقِيمٌ عَلَى مَا كَانَ يَعْرِفُ مِنْ وَدِّي
- جَازَيْتَنِي بَعْدًا بِقُرْبِي فِي الْهَوَى وَمَنْحَتَنِي غَدْرًا بِحُسْنِ وَقَائِي

(١) اختار الناشر « كفاني غيه » في المتن . وقد أثبت في الحاشية قراءتين ، من مخطوطين آخرين ، هما

« كفاني اغتياه » و « كفيت اغتياه » وهي اصح وزنًا .

(٢) غفرت له سوء ظنه اضني به (حباً به وبالإبقاء على صداقته)

على انه قد يرى احيانا انه لا يجوز لانسان ان يبلغ به الحلم مبلغ الجهل ، ولا كثرة الوفاء الى ان يوصم بالغباوة او ان 'تتزع منه الكرامة الانسانية (٨٦ : ١١ ، ١٢٤ : ٥) :

— وَإِنَّا لَنَرِمِي الْجَهْلَ بِالْجَهْلِ حَرَّةً إِذَا لَمْ نَجِدْ مِنْهُ عَلَى حَالَةٍ بُدَاءَ

— هَبَّاتٍ ، لَسْتُ أَبَا فَرَسٍ سِرٌّ إِنْ وَقَّيْتُ لِمَنْ غَدَرَهُ

وهناك أمر يحتاج الى تأمل كبير . ان ابا فراس يتمدح بالعفة كثيراً في شعر وجداني صادق ، ولكن له اشعاراً يستهتر فيها في طلب اللهو . فأي هذين الوجهين من السلوك اصح في شأن ابي فراس ؟ انك بينما ترى ابا فراس يقول (١٦٠ : ٣٤ — ٣٥) :

وَسَاحِبَةُ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيَتْهَا فَلَمْ يَلْقَها جَهْمُ الْإِلْقَاءِ وَلَا وَعْرُهُ

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ وَرَحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَيَّاتِهَا يَسْتَرُهُ

وسوى ذلك مما يتصل بهذا المعنى ، اذ تراه يقول (٢٨٧ : ٨ ، ١٥٩ : ٢ — ٣) :

فَمَا فِي طَلَبِ اللَّهِوِ عَلَى الشُّبَّانِ مِنْ عَارِهِ

— وَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّبِيَّ يُجْ لَمْ تُحَوِّنَا حَوْاً وَحُوراً (١)

فَتُخَارُ مِنْهُ الْعَادَةُ أَلْ حَسَنَاءُ وَالظَّبِيَّ الْفَرِيدَ .

او تراه يستهتر في غزله المذكر حتى يبلغ شيئاً كالكفر (١٢٠ : ١ — ٣) :

قَالَ لِي مَوْلَايَ لِمَا أَنْ طَغَى وَجْدِي وَجَارُهُ

وَتَشَكَّيْتُ عَلَيْهِ أَنْ فِي الْأَحْشَاءِ نَارًا :

« لَا تُطِلْ » لَسْتُ تَرَانِي أَوْ تَرَى اللَّهَ جِهَارًا .

(١) الحوة . ميل الشفتين الى السمرة . الحور . شدة يياض العين وشدة سواد سوادها .

ولما بسط ابو فراس غايته من الحياة ، كما فعل طرفة في معلقته (١) ، اقتصر على شرب الخمر واللهو بالنساء (رقم ١٨٨) :

لولا الغُبوقُ وَحَثُ الكَأْسِ مُصْطَبِحاً

والجَاشِرِيةَ بَيْنَ الصُّبْحِ والغَلَسِ (٢)

وَمَا أَرْجِيهِ مِنْ وَصْلِ الحِسانِ بِهَا لَمَّا شَكا هَزْ أَطرافِ القَنَا فَرَسِي .
مَا كُنْتُ أَنْبِذُ نَفْسِي لِلرَّماحِ وَلَا أَلْقَى الكَمِيَّ بِقَافٍ غَيْرِ مُخْتَّاسِ (٣)

والذي يلفت نظرنا ان غزل ابي فراس العفيف يأتي في ثنايا قصائده الطوال بينما غزله المستهتر يأتي في مقاطعه المستقلة مما يدل عادة على ان غزله العفيف عنده غزل تقليدي وان الاستهتار في اللهو اقرب الى نفسه .

ثم يبدو لنا بوضوح ان وجود الروم في الشام (سورية) خاصة ، كوجود الفرس في العراق خاصة (٤) ، جعل الوصول الى اللهو يسيراً على الشبان . فعيد الميلاد كان من مناسبات اللهو (رقم ١٣٣) :

يا طيِّبَ لَيْلَةٍ مِيلادٍ لَهَوْتُ بِهَا بِأَحْوَرِ سَاحِرِ العَيْنَيْنِ مَمْكُورِ (٥)

واما الاديرة فقد كان كثير منها ، منذ امد طويل قبل ابي فراس ، مراتع للهو . ويظهر ان ابا فراس ايضاً كان يرتادها امثل ذلك (١٦٨ : ٩-١٢) :

سَقَى اللهُ أَيَّاماً ، بِسِبطانِ فالِوَيَ إِلَى بَلَدٍ غَيْثاً تَهَلَّلَ بِالْقَطَارِ ،

إِلَى دَيْرِ سابَا - وَالصَّوامِعِ حَوْلَهُ - إِلَى دَيْرِ مَتَّى كُلِّ مُنْبَجِسٍ يَسْرِي (٦)

(١) ولولا ثلاث من من لذة القتي ...

(٢) الغُبوق : شرب الخمر مساء . الجاشرية : شرب الخمر .

(٣) غير مختلس : واع ، كناية عن الشجاعة ،

(٤) راجع : ابو نواس للدكتور عمر فروخ (الطبعة الثالثة) ص ٨٢ وما بعدها

(٥) الممكور : حسن القوام مع امتلاء الجسم

(٦) «كل» في الاصل مرفوعة ولعل النصب اصح فتكون حيثن مفعولاً به متعدياً من «سقى» في البيت الاول

فَدِيرُ الشَّيَاطِينِ الَّذِي لَمْ أَزَلْ بِهِ أَوَاصِلُ لَذَائِي عَلَى سَايِفِ الدَّهْرِ .
مَنازِلُ كُنَّا نَعْمَدُ اللَّهْوَ وَالصِّبَا بِهَا وَنُدِيمُ السُّكْرَ سُكْرًا عَلَى سُكْرِ .

على اننا لو رجعنا الى مجموع شعر ابي فراس ، والى مجموع عناصر شخصيته ، لوجدنا ان العفة احق بالنسبة اليه . ومع اننا لا نبرئه من شيء من اللهو الذي كان سائداً في زمانه ، فاننا نرى ان هذا التمدح باتيان اللهو لا يعدو في الحقيقة ان يكون « مجازاة لفظية » لروح عصره : انه اراد الا يخلو ديوانه من اغراض كانت موجودة عند انداده من الشعراء ، وان كان قد خلا سلوكه منها . فالعفة التي تبدو اذن تقليدية عند ابي فراس هي الوجدانية ، والتهتك الذي يبدو لنا أحياناً صادماً هو التقليدي .

اما فيما يتعلق بالجر فأبو فراس يبدو انه شربها ، لا شك في ذلك ، تناسياً لهوميه ، او للهو فقط او في رحلات الصيد (١٧٣ : ١٣ ، ٣٥٤ : ٢) :

وَكَنتُ إِذَا أَلْهُومُ تَذَاوَبْتَنِي فَرِغْتُ مِنْ أَلْهُومٍ إِلَى الْعُقَارِ .
— بَاتَتْ وَبَتْ وَبَاتَ الْكَأْسُ ثَالِثَنَا إِلَى الصَّبَاحِ نُسَقِّينِي وَأُسْقِيهَا .
— فَأَمَ نَزَلَ نَقْلِي وَنَشْوِي وَنَصُبْ حَتَّى طَلَبْنَا صَاحِباً فَلَمْ نُصِبْ .

ثم له القطعة البارعة المشهورة في الجر ، تلك التي يقول فيها (١٧٨ : ١ — ٨٦٦ ، ٢) :

تَوَاعَدْنَا بِأَذَارِ بِمَسْمَى غَيْرِ خُتَارِ .
وَقُنَّا نَسَحَبُ الرِّيطَ إِلَى حَانَةِ خَمَارِ .
وَقُنَّا : أَوْقِدِ النَّارَ لَطْرَاقِ وَزُّوَارِ .
فَمَا فِي طَلَبِ اللَّهْوِ عَلَى الْفِتْيَانِ مِنْ عَارِ .

أما الغناء فلا ريب في انه كان يميل الى صمائه ويطلب ذلك اشد الطلب ، بينما كان

سيف الدولة لا يشرب النبيذ ، ولا يتسع وقته لسماع الغناء لاشتغاله بامر الدولة وبالفتوح (ص ٢٤١-٢٤٢ ، راجع ص ٥-٦). ومثل سيف الدولة كان المتنبي ، مع انه عاش زمناً في البيئة التي عاش فيها ابو فراس . وكذلك الصيد كان من ملاهي ابي فراس . ويبدو لنا انه كان يكثر الذهاب الى الصيد لما يذكر في شعره من آلاته وادواته واسبابه واسماء الطير والوحش ومن اساليب الصيد المختلفة . ونحن واجدون كل ذلك أو أكثره في أرجوزته في الطرد ، رقم ٣٦٤ ، وتعرف بالمزدوجة الطردية (راجع صفحة ٤٣٥ في الحاشية) .

ويلحق بهذا الباب ميل ابي فراس أحيانا الى الهزل على ان يكون مقتصداً فيه عاقلاً (٢٥٨ : ١-٢) :

أَرْوَحُ الْقَلْبَ بِبَعْضِ الْهَزْلِ تَجَاهِلًا مِنِّي بِغَيْرِ جَهْلِ
أَمْزَحُ فِيهِ مَزْحَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْمَزْحُ أَحْيَانًا جَلَاءُ الْعَقْلِ .

ولا يجوز لنا ان 'ننهي الكلام على عناصر الشخصية عند ابي فراس قبل ان نذكر موقفه من أهله وموقف أهله منه .

يخبرنا ابو فراس في كل مناسبة انه يحسن لقومه وأهله بينما كان قومه وأهله يسيئون اليه أو يهملونه ، وخصوصاً في أثناء اسره . ألا ان له الزفرة الحزينة التي لا (زفرة بعدها) (٨٩ : ٣) :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُصْبَةً مِنْ عَشِيرَتِي يُسَيِّئُونَ لِي فِي الْقَوْلِ غَيْبًا وَمَشْهَدًا

اما موقفه هو منهم فظاهر في المقطوعة التي منها هذا البيت ، فهو يقول (٨٧ : ٤-٥) :

وَإِنْ حَارَبُوا كُنْتُ أَلْمَجَنُّ أَمَامَهُمْ ، وَإِنْ ضَارَبُوا كُنْتُ أَلْمُهَنْدُ وَالْيَدَا .

وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمْتُ مُلَمَّةً جَعَلْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ فِدَا .

وشكوى ابي فراس من أهله ترد في قصائد كثر 'تذكر بحال طرفة بن العبد وعنترة بن شداد في قوميها . وان هذه المראה التي يستشعرها ابو فراس من معاملة

اهله له تشيع في جميع شعره، ولكن يره بهم منعه من ان يُضارهم بمثل الذي اضروه به..
 إن فهم هذه العناصر في شخصية ابي فراس الحمداني يفتح لنا على شعره نوافذ كثيرة
 ويجلو من حياته جوانب غامضة . لماذا يقول ابو فراس يخاطب قومه (١: ٨٩) «تمنيتم
 ن تفقدوني» !

على ان نقمة ابي فراس العظمى كانت من سيف الدولة. إن ابا فراس مقتنع بأن سيف
 الدولة لم يكن راعياً رغبة صادقة في ان يخرج هو من الاسر . وتعريض ابي
 فراس بسيف الدولة في هذا المقام جليّ جداً . يقول ابو فراس : إن سيف الدولة
 « يُنهب امواله للشعراء والمقربين ويضن علي بقليل من مال يفتديني به . فاذا كان سيف
 الدولة لا يرعى ودادي القديم ولا نسي في بني حمدان فايدكر انني فارس شجاع اذافع
 عن الاسلام وادافع عن ملكه هو ايضاً (١٦: ٣١-٣٦) :

وما أدعي ما يعلم الله غيره : رحابُ عليّ للعفا رحابُ (١)
 وأفعاله للراغبين كريمة ، وأمواله للطالبن نهابُ .
 ولكن نبا منه بكفي (٢) صارمُ وأظلم في عيني منه شهابُ ،
 وأبطأ عني والمنايا سريعةُ وللموت ظفرٌ قد أطل ونابُ .
 فألا يكن ودٌ قديم عهدته ولا نسبٌ بين الرجالِ قرابُ (٣)
 فأحوطُ للإسلام ألا يضيعني ولي عنه فيه حوطةٌ ومنابُ .

لا ريب ابداً في ان سبب الوحشة بين ابي فراس وبين اهله ثمينه وبين سيف الدولة
 خاصة ، قبل اسره وفي اثناء ذلك الاسر، تعود الى اسباب عدة :

١ - كان سيف الدولة يخاف ابا فراس على امارته ، إذ يبدو ان ابا فراس كان
 طموحاً الى الملك وكان سيف الدولة يعرف هذا منه . ولقد صدق حدس سيف الدولة

(١) رحاب الاول : ساحات منازل . رحاب الثاني واسعة . علي : اسم سيف الدولة . العفا : الطالون العطاء .

(٢) بكفي ، كذا بالافراد في الاصل . ولعل التشبة ابلغ للتخلص الفتحة الرائدة وللموازنة مع عني .

(٣) قراب ، بكسر القاف رضمها : المناسبة بين الشين . يقول نسبي في الشرف لا يقل عن نسب سيف الدولة .

فان ابا فراس نازع ابا المعالي ابن سيف الدولة على الامارة ولكن سقط قتيلاً في المعركة.
٢ — كان ابو فراس صريحاً قليل الكياسة يعلن ما يضر في وجه أصدقائه
واعدائه . اما سيف الدولة فيبدو لنا انه كان سياسياً حنكاً يداري العباسيين والقرامطة
والبيزنطيين ولا يناوشهم الا في نطاق طاقته وخطته .

٣ — اتنا على ثقة من أنه كان لأبي فراس آراء يخالف فيها بني حمدان وسيف الدولة ،
فلم يكن بالامكان ان يسود الاتفاق بين رجلي دولة يذهب كل واحد منها في السياسة
والاجتماع مذهباً خاصاً .

٤ — ان القلاقل الداخلية في اماره بني حمدان والحروب الخارجية مع الروم
جعلتهم في حاجة ملحة الى المال ، والمال كان قليلاً في ايديهم . فلما اسر ابو فراس ثم
جعل يطلب من سيف الدولة ان يفتديه جعل سيف الدولة يدافعه ويؤجل موعد
اقتدائه تمللاً بانه يريد ان يفتدي جميع الاسرى الذين كانوا في ايدي الروم مرة واحدة
ولكنه عاجز عن ذلك لقلة المال في يديه . وكان سيف الدولة يعتذر لعمله هذا بانه ليس
من الشهامة ان يفتدي ابا فراس وحده او مع نفر آخرين ثم يدع عامة المسلمين اسرى
في ايدي الروم . وما دام الامر كذلك فيجب ان يبقى جميع الاسرى بلا فداء حتى
يتيسر فداؤهم كلهم مرة واحدة .

اما ان سيف الدولة كان يرغب ان يبقى ابو فراس في الاسر وان يموت اسيراً
ايضاً فظاهر في ديوان ابي فراس ظهوراً جلياً ، وانا اميل الى ان في ذلك شيئاً
من الحقيقة .

خصائصه الفنية

ان اشهر الاقوال في خصائص ابي فراس قول الثعالبي المتوفى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٣٧ م). قال الثعالبي (١) عن ابي فراس انه :
« كان فرد دهره وشمس عصره ، ادبا وفضلا وكرماً ونبلاً ، وبلاغة وبراعة ،
وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ،
والعدوية والفخامة ، والحلاوة والمتانة . ومعه رواء الطبع وسعة الظرف وعزة الملك .
ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . و ابو فراس يعد اشعر منه
عند اهل الصنعة ونقدة الكلام ».

وخصائص ابي فراس عظيمة الشبه بخصائص عصره ، وخصوصاً بخصائص المتنبي ،
الا انه كان أدنى درجة من المتنبي . ان المتنبي كان اعمق منه تفكيراً واجمع حكمة
وامتن تركيباً واكثر تصرفاً في فنون الشعر واعظم أثراً في عصره وأوسع شهرة . ولم
يفضله ابو فراس الا بالعاطفة التي كانت مفقودة عند المتنبي ، بينما كانت عند ابي فراس
تشيع في كل شعره . وانما خلد شعر ابي فراس لما فيه من العاطفة الرقيقة حيناً والحياسة
أحياناً . لقد اصاب ابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) لما ذكر المتنبي
فقال (٢) : « اما ابو الطيب (المتنبي) فلم يذكر معه شاعر الا ابو فراس وحده .
ولولا مكانه من السلطان لأخفاه » .

فأرى ابن رشيق هنا واضح ، انه يدل على ان شهرة ابي فراس تستند الى عوامل
سياسية (في نسبه الحمداني وقرابته لسيف الدولة) لا الى عوامل ادبية (من تفوقه
الادبي على المتنبي او بلوغه الى المستوى الادبي الذي كان يتمتع به المتنبي) . واما
قول صاحب بن عباد (٣) : « وكان المتنبي يشهد له (لابي فراس) بالتقدم والتبريز

(١) يتيمة الدهر

(٢) العدة ١: ٨٣

(٣) يتيمة الدهر

ويتعاضى جانه ، فلا ينبري لمباراته ولم يجترى على مجاراته ، وانما لم يمدحه ومدح من
دونه من آل حمدان (١) تهيئاً له وإجلالا ، لا اغفالا واخلاقا ، فهو قول يخالف
وجه الحق . وقد علق السيد محسن الامين (٢) على قول الثعالبي تعليقا واعياً
صادقاً ، فقال :

« واما انه كان لا يمدحه تهيئاً وإجلالا فقير صواب . والعجب صدور مثل [هذا
القول] من الثعالبي مع معرفته وفضله ، فانما لم نر ولم نسمع ان شاعراً ترك مدح احداً
تهيئاً وإجلالا . والصواب ان [المتنبي ترك مدح ابي فراس] اغفالا واخلاقا (تجاهلاً
منه لقدر ابي فراس وتقصيراً منه في ان يمدح شخصاً خليقاً بالمدح) » .

ولا ريب في ان ترك مدح المتنبي لابي فراس راجع الى امرين مهمين : اولهما واولاهما
بالنظر تعاظم المتنبي وذهابه بنفسه فوق كل شاعر آخر ، ولا سيما شاعراً دونه سناً ودونه
— فيما كان المتنبي يعتقد بلا ريب — شاعرية ومقاماً . وثاني ذنبك الامرين ان المتنبي
جاء الى بلاط سيف الدولة ليغض من مقام ابي فراس الادبي والسياسي ، فليس من
المنتظر ان يمدحه وينوه باسمه ويشهر مناقبه ويرفع مقامه في ذلك البلاط الذي كان
اهله لا يحبون ابا فراس بل كانوا يحشونه على سلطانهم . ثم ان المنافسة كانت عظيمة بين
الشاعرين ، وفي ديوان كل واحد منها تعريض بالآخر . ألم يقل المتنبي :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَبْنِي شُويعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يَطَاوِلُ؟
— أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِي مَنْ شَحْمُهُ وَدَمٌ
وَجَاهِلٌ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضِحْكِي حَتَّى أَتَهُ يَدُ « فَرَّاسَةٍ » وَفَمٌ
— خَلِيلِي ، مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ ؟ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِ الْقَصَائِدُ؟

هذه الابيات وما يماثلها قالها المتنبي في ابي فراس بلا ريب ، فليس من المعقول
ان يمدحه بعد ان هجاه . واما شهادة صاحب بن عباد فشهادة مجروحة لأن صاحب كان من

(١) مدح المتنبي ابا العتاش قبل اتصاله بسيف الدولة

(٢) ابو فراس الحمداني ، الطبعة الاولى (دمشق ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م) ص ٤٨ - ٤٩ .

خصوم المتنبي الالقاء . وكان صاحب هذا قد طلب من المتنبي لما ورد المتنبي الى المشرق سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ، ان يمدحه وبذل له في ذلك عشرين الف دينار ، فلم يقبل المتنبي لأن صاحب بن عباد كان يومذاك شاباً ناشئاً لم يبلغ الثلاثين من عمره ، ولم يكن قد ولي الوزارة بعد .

أ - خصائصه المعنوية

ابو فراس شاعر وجداني مطبوع مشبوب العاطفة يقول الشعر ارضاء لنفسه وتعبيراً عن آرائه لا صناعة او حرفة . وكان لا يحب لنفسه لقب شاعر بل يحب لها لقب فارس . وهذا الميل والتعالي ظاهران في اماركن كثيرة من ديوانه (١١٨ : ٢٦ : ٧ : ١١٨ : ٢٢٥)

وَصِنَاعِي خَرَبُ السُّيُوفِ ، وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ فِي الشِّعْرِ بِالشُّعْرَاءِ (١)
— نَطَقْتُ بِفَضْلِي وَأَمْتَدَحْتُ عَشِيرَتِي — وَمَا أَنَا مَدَّاحٌ وَلَا أَنَا شَاعِرٌ.

وكان ابو فراس ، كما يبدو من ديوانه ، كثير المطالعة ، عرف كثيراً من التاريخ كما مر معنا في الفصل المخصوص بعناصر شخصيته (٢) كما عرف شيئاً من الفلك . ثم انه كان كثير المطالعة للشعر ، وليس ذلك بمستغرب . ويظهر ان ادمانه قراءة الشعر قد طبعت اقساماً من شعره بخصائص عدد كبير من الشعراء ، وحملته على الاعجاب بهم ، نعد من هؤلاء : طرفة وعنترة والخنساء وعمر ابن ابي ربيعة والاخلط والفرزدق وجريزاً وابانواس وابا تمام . اما شبه شعره بشعر المتنبي فيمكن ان يدل على تقليده المتنبي أو على ان لغته ولغة المتنبي كانتا تمثلان لغة العصر الذي عاشا كلاهما فيه .

أعجب ابو فراس بنفر من الشعراء فقرن اسمه باسمائهم او رفع قدره فوق قدرهم صراحة (١٦٨ : ٧) :

[١] لعلها ، متعرض للشعر في الشعراء . اجاري الشعراء اذا كنت فيهم .

[٢] ص . ع — ٥٣

ولاني لأبكي للفراق ، كما بكيت .

خُنَّاسٌ وَقَدْ أَمَسَتْ نَجْنٌ إِلَى صَخْرٍ (١).

ثم هو يذكر شعر أبي زهير . هليل بن نصر بن حمدان ، أحد أبناء عمه ، فيصفه بقوله (١٢٢:١٦) :

مَحْكَمٌ قَصْرُ الْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْطِ لُ عَنْهُ وَفَاقَ شِعْرَ جَرِيرٍ .

أما تأثره بالشعراء فباد في أماكن كثيرة من ديوانه ، فقد اقتبس في إحدى قصائده (١١١:٣) بيتاً من معلقة طرفة بن العبد (بعد أن بدل الكلمة الأولى فيه) :

عَدَاوَةُ ذِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْنَدِ .

ثم أنه أعاد معنى هذا البيت في مكان آخر من ديوانه (٦٥:٢٨ ، ص ٦٢) :

عِتَابُكَ يَا أَبْنَ عَمٍّ ، بَغَيْرِ جُرْمٍ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ وَخْزِ السَّلَاحِ .

وكذلك اقتبس من شعر الأخطل والفرزدق (٢٤٦:١٨ ، ٢٣٣:٣٠) :

إِنْ أَبْنُ عَمِّكَ لَيْسَ يَغْفُلُ ، إِنَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَفَكَكَ الْأَغْلَالِ (*)

لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالشَّرَفُ الَّذِي أَحَاطَ بِرُكْنَيْهِ تَمِيمٌ وَوَاهِلٌ (*)

أما أبيات أبي فراس التالية فلنسنا نخطيء فيها نفس الشعراء الذي تأثر أبو فراس بهم ، سواء كانوا بعيدين عن زمانه أو قريبين منه أو معاصرين له . ان قصيدته :

« آيت عبراته الا انسكابا » والتي يقول فيها (٩:٧ ، ٨ ، ٥٥) :

أَلَمْ تَرَنَا اعَزَّ النَّاسِ جَاراً وَأَمْنَعَهُمْ وَأَمْرَعَهُمْ جَنَاباً ؟

لَنَا الْجَبَلُ الْمِطْلُ عَلَى رِزَارٍ حَلَلْنَا أَنْجَدَ مِنْهُ وَالْمِضَابَا .

أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقّاً بَأْنِي كُنْتُ أَثْقَبَهَا شِهَاباً ؟

(١) خناس تصغير تعجب للخناس . صخر اخوها . مات فوقفت شعرها على رثائه .

• قال الأخطل ، أبي كليب ، ان عمي اللذا قتل الملوك وفككا الأغلالا

• قال الفرزدق ، لنا العزة القعساء والعدد التي طيه اذا عد الحصى يتخلف

اننا لا نخطيء فيها نفس جرير في قصيدته المشهورة: «أقلى اللوم، عاذل، والعتابا»
وخصوصاً حيث يقول (ديوان جرير ٧٢، ٦٦) :

وما وَجَدَ الْمُلُوكُ أَعَزَّ مِنَّا وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَادِسِنَا أُسْتَلَابَا.
أَنَا الْبَازِي الْمُدُّ عَلَى نَمِيرِ أَتَحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَابَا.
أَلَسْنَا أَكْثَرُ الثَّقَايِنِ رَجُلًا بِيْطُنٍ مِنِّي وَأَعْظَمَهُ قِبَابَا ؟
ولا نفسه في قصائد أخرى من البحر نفسه وعلى الروي نفسه ايضاً (ديوان جرير،
ص ١٧، راجع ص ٨١، ٦١، ٢٢) :

إِذَا سَعَرَ الْخُلَيْفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الْحِجَاجَ أَثْقَبَهَا شِهَابَا.
واما مقطوعة ابي فراس القصيدة (١: ٦٤-٣) :

قَامَتْ إِلَى جَارِئِهَا تَشْكُو بِذِلٍ وَشَجَا :
أَمَّا تَرَيْنَ ذَا الْفَتَى مَرًّا بِنَا مَا عَرَجَا ؟
إِنْ كَانَ مَا ذَاقَ الْهَوَى فَلَا تُجَوِّتُ إِنْ نَجَا !

فلا نخطيء فيها نفس عمر بن ابي ربيعة . اما اذا نحن قرأنا مقطوعة ابي فراس
التالية (١: ١٥٥-٤) :

مَا آنَ أَنْ أَرْتَاغَ لِلشَّيْبِ الْمَقُوفِ فِي عَذَارِيْ
وَأَكْفَ عَنْ سُبُلِ الضَّلَا لِوَ أَكْتَسِي ثَوْبَ الْوَقَارِ ؟
أَمْ قَدْ أَمِنْتَ الْحَادِثَا تِ مِنْ الْغَوَادِي وَالسَّوَارِي .
إِنِّي أَعُوذُ بِحُسْنِ عَفَا وَبِاللَّهِ مِنْ سُوءِ اخْتِيَارِي .

فانها تذكرنا بما قاله ابو نواس في زهدياته من الندامة على ما فعله في شبابه ومن
ثقتة بعفو الله .

أما صلة أسلوبه بأسلوب المتنبي فتحتاج إلى بسط أوفى . إذا قرأنا ديوان المتنبي وأبي فراس أدركنا أن بينهما تشابهاً في المعاني والتراكيب والنفس . ولكن من الصعب أن نرد ذلك إلى أن يكون المتنبي قد أخذ من أبي فراس ، لما نعلم من تعاظم المتنبي . ثم إن المتنبي لما جاء إلى حلب كان عمره خمساً وثلاثين سنة بينما كان أبو فراس في التاسعة عشرة فقط . ثم إن خصائص المتنبي الأدبية كانت أوضح وأوسع بينما كانت خصائص أبي فراس لا تزال في طورها الأول . ولكن ليس من الضروري أن نرد كل شبه في المعنى أو اللفظ عند أبي فراس إلى أنه مأخوذ من المتنبي مباشرة . إن هذه المعاني والألفاظ والتراكيب كانت شائعة في بيئة المتنبي وأبي فراس . ولكن المتنبي أجاد إبرازها والتعبير عنها أكثر من أبي فراس ، وهذا راجع بلا ريب إلى أن المتنبي كان أعمق تفكيراً وأوسع علماً وأكثر اختباراً وأقدر على الشعر من معاصره ومنافسه أبي فراس . لقد كان من المنتظر والمعقول — إذا اصررنا على أن يكون أحدهما قد أخذ من الآخر — أن يأخذ أبو فراس من المتنبي . فمن الأبيات التي نراها عند أبي فراس بعد أن رأينا مثلها عند المتنبي قول أبي فراس (٧: ٢٣، ١٥: ٥ — ٦، ١١٨: * : ١٢٢، ١٩٧: ٢٣٣، ٢٩: ٢٥٩، ١١: ٣٠١، ٤: ٣٠٥، ١٣: ٣٠٧، ٧: ٣١٠، ٤:) :

مَنْ مُبْلَغُ النَّدَمَاءِ أَنِي بَعْدَهُمْ	أَمْسِي نَدِيمَ كَوَاكِبِ الْجَوَازِءِ ١
— وَأَعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ ثِقَاتُهَا ،	وَأَهْوَنُ مِنْ عَادِيَتِهِ مِنْ تُحَارِبُ .
وَشَرُّ عَدُوِّكَ الَّذِي لَا تُحَارِبُ ،	وَجَيْرُ خَلِيلِكَ الَّذِي لَا تُنَاسِبُ .
— وَسَامَا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ سِيَاسَةً	لَهَا اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ وَالْدِينُ شَاكِرُ .
— وَلَا تَتَّقِلْ مَا يَرُوعُكَ حَلِيهُ ،	تَقْلُدْ ، إِذَا حَارَبْتَ ، مَا كَانَ أَقْطَعَا .
وَمَا أَنَا إِلَّا بَعْضُ مَنْ قَدْ فَقَدْتُهُ	لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ قَلَائِلُ .
— وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنُ	وَأَنَّ صَدِيقًا لَا يَضُرُّ خَلِيلُ .
— صَدُودٌ مَا يَبِيدُ وَلَا يَحُولُ	وَوَصْلٌ مِثْلَمَا يَهَبُ الْبَخِيلُ .

- وَإِنِّي لِلصَّابِرِ عَلَى الرِّزَايَا
 - لَقَدْ جَارَتْ الْأَيَّامُ فِينَا بِحُكْمِهَا،
 - يَسْتُ مِنْ الْأِنْصَافِ يَنِّي وَيِنَّةَ
 - وَظَلَامَةٍ قَلَدْتُهَا حُكْمَ مُهْجَتِي

ونجّيل إلى أن هذه الأبيات في ديوان أبي فراس صدى لأشبابها في ديوان المتنبي.
وان أيسر موازنة بين المجموعتين ترينا قوة أبيات المتنبي وصحة التعبير فيها وأثر الاختبار
الجلي والتفكير العميق . لقد ساق المتنبي هذه المعاني في الأبيات التالية (ج ١: ص ١٧٠ ،
٣: ١١٧: ٣٦١: ٣٦٢: ٣٦٩: ٣٦٨: ٣٦٦):

من مُبْلَغُ الْأَعْرَابِ أَنِي بَعْدَهَا
 - وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
 - هَنِيئًا لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
 - وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَّهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ
 - لَيْلِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ
 - إِنَّا لَقِيَ زَمَنَ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ
 - فَوَادُّ مَا تُسَلِّيهِ الْمَدَامُ
 - رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
 - فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ
 - وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا
 - يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي

ويبدو ان ابا فراس كان كثير التلاوة للقرآن الكريم ، فقد رأينا أثر القرآن بارزاً في شعره ، معنى ولفظاً ، نذكر من ذلك هذه الآيات الكريمة (٣: ٤٠ ، ٥: ٣٢ ، ٥: ٦٥ ، ٦٣ و ٦٢ ، ٥: ٣٠٧ ، ٤: ٣٢٧ ، ٥: ٣٠٣ ، ٣: ٢٠) ، فتأمل الجمل المحصورة بين الالهة :

— وَكُنْتُ أَقِيكَ إِلَى أَنْ رَمَتْ... كَيْدَ الدَّهْرِ (مِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ)
— أَظُنُّ ؟ (إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) . وَمَزْحًا ؟ رَبِّ جَدِّ فِي مُزَاحٍ
ولو يَشْتُ الجوابَ أَجَبْتُ لَكِنْ (خَفَضْتُ لَكُمْ عَلَى عِلْمٍ جَنَاحِي)
— فَإِنْ تَرَعَبُوا فِي الصُّلْحِ فَالصُّلْحُ صَالِحٌ

(وَإِنْ تَجَنَّعُوا لِلسَّلَامِ) فَالسَّلَامُ أَسْلَمٌ .
— (مَا كَلَّفَ الْإِنْسَانَ إِلَّا وُسْعَهُ) وَاللَّهُ نَصْرٌ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ .
— لَا أَثْمِلُ الْهَجْرَ مِنْهُ وَالْغَرَامَ بِهِ (مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ مَا تَسَعُ)
ان في هذه الايات اقتباساً تاماً او غير تام من القرآن الكريم (١) بما نرى من الآيات التالية :

يزيد في الخلق ما يشاء (١: ٣٥) — ان بعض الظن إثم (١٢: ٤٩) — وانخفض لها جناح الذل من الرحمة (٢٤: ١٧) — وانخفض جناحك للمؤمنين (٨٨: ١٥) — وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥: ٢٦) — وان جنحوا للسلم فاجنح لها (٨ : ٦١) — لا يكلف الله نفساً الا وسعها (٢٨٦: ٢) — لا تكلف نفس الا وسعها (٢: ٢٣٣) — لا تكلف نفساً الا وسعها (١٥٢: ٦ و ٤٢: ٧) — ولا تكلف نفساً الا وسعها (٦٢: ٢٣) .

يغلب على سلوك ابي فراس وعلى شعره شيء كثير من الجدة . ان روح العصر ومقام بني حمدان على التخوم الغربية للامبراطورية الاسلامية في حذاء الروم وكثرة المعارك التي خاضوها لم تكد تترك لاحد من أحياء ذلك العصر فرصة للهزل . ثم ان

(١) راجع ايضاً ديوان ٩: ٦ ، ٢٢: ٢٢ ، ٢٤: ٢٥ ، ١٣: ١٧١ ، ٦: ٣٣٩ ، ٢٨: ٣٤٥ الخ .

حياة ابي فراس الشخصية من خصام مع اسرته وحروب مع الروم، ومن اسر، ومن نزاع بعد الاسر مع ابي المعالي بن سيف الدولة، كل تلك قد جعلت الهزل في افعال ابي فراس واقواله امراً لا تجري به العادة. على اننا واجدون له شيئاً يسيراً من الهزل في ديوانه لم يكن منه بد في مطلع شبابه او في لياليه الحوالك، فإن الانسان اذا استمر به الجد واحاطت به المضلات والرزايا احتاج الى شيء من الهزل يروح به عن نفسه ليشدد من عزائها فيحملها على الاستمرار في احتمال تكاليف الحياة الباهظة. فمن اقوال ابي فراس التي يميل فيها الى الهزل قوله (رقم ١٥٢، رقم ١٩٣، ٢١١ : ١٢) :

أَتْنِي عَنْكَ أَخْبَارُ	وَبَأَنْتَ مِنْكَ أَسْرَارُ.
وَلَا حَتَّ لِي مِنَ السُّلُو	قَ آيَاتُ وَآثَارُ.
أَرَاهَا مِنْكَ بِالْقَلْبِ،	وَلِلْأَحْشَاءِ إِبْصَارُ.
إِذَا مَا بَرَدَ الْحَبُّ	فَمَا تُسَخِّنُهُ النَّارُ
— تَحْلُكَ الْجُوزَاءُ بَلَّ أَرْفَعُ،	وَصَدْرُكَ الدَّهْنَاءُ بَلَّ أَوْسَعُ.
وَقَلْبُكَ الرَّحْبُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ	لِلْجِدِّ وَالْهَزْلِ بِهِ مَوْضِعُ.
رَفَقَ بِقَرْعِ أُمُودِ سَمَاءٍ غَدَا	قَرْعُ أَلْوَالِي جُلٍّ مَا يُسْمَعُ.
فَجُودُكَ الْغَامِرُ مَا يَنْقُضِي	وَفَضْلُكَ الْبَاهِرُ لَا يُدْفَعُ.
— كَأَنَّ آدَمَ أَوْصَى قَبْلَ مِيتِهِ	بَأَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ النَّاسُ أَضْيَافاً.

طول النفس

ابو فراس شاعر مقطعات وقصائد قصار، ولكن له احياناً مطولات. في ديوان ابي فراس ثلاثمائة وست وتسعون قطعة منها مائتان وتسع وسبعون قطعة لا تبلغ اطولها عشرة ابيات. اما القصائد التي تزيد على خمسين بيتاً فانها اثنتا عشرة فقط، منها

قصيدتان رويت كل واحدة منها على نسق مع اختلاف في الابيات احياناً ، فتكون القصائد الطوال عند ابي فراس عشرأ فقط اطولهن القصيدة التي تحمل الرقم ١١٨ ، (ص ١٠٣-١٢٣) :

لَعَلَّ خِيَالَ الْعَامِرِيَّةِ زَائِرُ فَيْسَعَدَ مَهْجُورٌ وَيُسَعَدَ هَاجِرُ

فانها تبلغ مائتين وخمسة وعشرين بيتاً . على ان هذه القصيدة لا تعد في باب النفس الطويل على الحقيقة لانها مجموع أغراض كثيرة لا يحسن الشاعر عادة التخلص من بعضها الى بعض ، فجاءت القصيدة مجزأة مقطعة الاوصال فيها غزل وحماسة وعتاب وفخر وتاريخ ومديح . وبعض هذه الاغراض تدور في القصيدة فتكرر مرة بعد مرة . ومع ان ابا فراس يردد الاغراض الواحدة في قصيدة واحدة أحياناً فانه يردد للمعاني ايضاً ، وهذا من عيوبه البارزة . فلنقتصر على المظان الآتية :

— وَلَوْ أَنِّي أُمْلِكُ فَيْكَ أَمْرِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ (٣:٧١)

أَقَمْتُ وَلَوْ أَطَعْتُ رَسِيسَ شَوْقِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ (٤:٧٣)

— فَكَيْفَ وَفِيَا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَرٍ وَلَلْبَحْرِ حَوْلِي زُخْرَةٌ وَعُجَابُ (٤٣: ١٦)

فَكَيفَ وَفِيَا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَرٍ وَلَا أَمَلٌ يُجِيبِي النَّفْثِيسَ وَلَا وَعْدُ (٢: ٨٤)

— إِنْ لِي مُعْجَبْنِي إِذَا عَايَنْتُهُ أَثَرُ السِّينَانِ بَصَحْنِ خَدَّيَ الْفَارِسِ (٣: ١٨١)

إِنْ لِي مُعْجَبْنِي إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا أَثَرُ السِّينَانِ بَصَحْنِ خَدَّيَ الْفَارِسِ (٣: ١٨٢)

— خُطِبْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى زُوِّجْتُ

كُرْهًا ، وَكَانَ صَدَاقُهَا لِلْمُتَشِمِ (٢: ٢٩٢)

رَاحَتْ وَصَاحِبُهَا بَعْرُسَ حَاغِرٍ يُرْضِي الْإِلَاحَ وَأَهْلَهَا فِي مَأْتَمٍ (٣: ٢٩٢)

— خُطِبْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى زُوِّجْتُ كُرْهًا وَكَانَ صَدَاقُهَا لِلْمُقَسِّمِ (٢٣: ٣٠٤)

بَانت وصاحبها بعرس حَاضِرٍ يرضي الاله وأهلها في مأتم (٢٣: ٣٠٤).
— وَقَالَتْ : « مَاذَا دَهَاكَ » تَعَجُّبًا ١

فقلت لها : « يَا هَذِهِ ، أَنْتِ لَا الدَّهْرُ » (٧: ١٢٨).
أَبَاهُجِرِ أُمُّ الْبَيْنِ ، أُمُّ يَكْلِيمَا

تَشَارَكَ فِيهَا مَا سَاءَ فِي الْبَيْنِ وَالْهَجَرِ ؟ (٨: ١٢٨).
— فَقَالَتْ : لَقَدْ أَرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا ،

فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ ، بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ (١٨: ١٦٠).
وَتَهْلِكُ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدْمِ هَجَّةٌ إِذَا مَا عَدَاهَا الْبَيْنُ عَذَّبَهَا الْهَجَرُ (١٦٠:).

ب — خَصَائِصُهُ الْلَفْظِيَّةُ .

أبو فراس من أتباع المذهب الشامي ، أولئك الذين يتأقنون في الفاظهم ويتكلفون أوجه البلاغة في أشعارهم . على أن هؤلاء قد يتكلفون المعاني أيضاً قليلاً أو كثيراً.. ثم إن في تأنيقهم في الالفاظ وفي تكلفهم أوجه البلاغة يزيد بعضهم على بعض . من أجل ذلك كله لم يكن من المستغرب أن يكون أبو فراس معجباً بابي تمام (٧: ١٦٠ — ١٧) :

وَإِذَا أَدْرَنْ عَلَى النَّدَامَى كَأَسْهَا غَنِينَا شِعْرَ ابْنِ أَوْسٍ الطَّائِي .
(رَاحُ إِذَا مَا الرَّاحُ كُنْ مَطِيَّهَا كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ) .

والفاظ أبي فراس في أغراضه الوجدانية فصيحة (اني مألوفة مأثومة) . غير أنه أحياناً يحب — لأنه من أتباع المذهب الشامي — أن يأتي بالالفاظ الغريبة التي تمت إلى البادية والناقة بسبب . ولكن هذه كانت تأتي في أغراض يبدو عليها أنها تقليدية (٩٢ : ١٤ ، ١٧٣ : ٢٥ — ٢٦ ، ٣٣٣ : ١٨ — ٢٠) :

وَإِذَا الْهُمُومُ تَكَاثَرَتْ لَمْ يُفْنِهَا
 - عَلَى لِكْلِ هَمٍّ كُلِّ عَيْسٍ -
 وَخَرَّاجٍ مِنَ الْغَمَرَاتِ خَرَقٍ
 - وَتَنُوفَةٍ قَذَفٍ يَجَارِبُهَا الْقَطَا -
 تَطْوِي الْقَلَاةَ بِأَرْبَعِ مُجْدُولَةٍ
 هَذَا وَكَمْ مِنْ عُمَّةٍ كَشَفَتْهَا
 إِلَّا الْعَذَافِرَةُ الْأُمُونُ الْجَلْعَدُ
 أُمُونُ الرِّحْلِ مُوَخْدَةُ الْقِفَارِ -
 أَبُو شَبَلَيْنِ قَحْمِيٌّ الذِّمَارُ -
 جَاوَزَتْهَا بِجِلَالَةٍ مِذْعَانٍ
 وَتَبْدُ شَأْوُ الرِّيحِ بِالذَّمْلَانِ
 بِشَبَا الظُّبَا وَتَوَقَّدَ الْخَرْصَانُ

ومن المنتظر أيضاً ان يأتي ابو فراس بالالفاظ الغريبة في اراجيزه لانه ينحو فيها نحواً بدوياً، وخصوصاً حينما يتكلم على الصيد فيذكر أدواته وآلاته وأماكنه وطرائده.
 قال يصف المطر (٢١٢ : ١٠ - ١٣) :

ثُمَّ أَطْبَاهُ ضَارِجٌ فَبَارِقُهُ
 مِنْ أَنْفِ الْوَسْمِيِّ نَوْءٌ صَادِقُهُ
 إِذَا أَذْلَهُمْ أَوْ أَضَاءَ بَارِقُهُ
 أَهْلَتْ إِلَى أَرْبَعِهِ وَدَائِعُهُ
 إِلَى مُلِثٍ لَمْ يَكُنْ يَفَارِقُهُ
 مُنْبَجِسٌ مَرْتَجِسٌ صَوَاعِقُهُ
 وَهَدَرَتْ عَلَى الثَّرَى شَقَاشِقُهُ
 قَشِيبَ رَوْضٍ دُجِجَتْ تَمَارِقُهُ

وقال يصف بازاً (٣٦٤ : ٦٨ - ٧٣) :

جِئْتُ بِيَّازٍ حَسَنٍ مُبْهَرَجٍ
 زَيْنٍ لِزَانِيهِ وَفَوْقَ الزَيْنِ ،
 كَانَ فَوْقَ صَدْرِهِ وَالْهَادِي
 ذِي مَنْسَرٍ فَخْمٍ وَعَيْنٍ غَائِرَةٍ
 دُونَ الْعُقَابِ وَفَوْقَ الزُّمَجِ -
 يَنْظُرُ مِنْ نَادَيْنِ فِي غَارَيْنِ -
 آثَارَ مَشْيِ الذَّرِّ فِي الرَّمَادِ ،
 وَفَخَذٍ مِلُّ الْيَمِينِ فَاخِرَةٍ ،
 يَلْقَى الَّذِي يَحْمِلُ مِنْهُ كَبْدًا
 ضَخْمٍ قَرِيبِ الدُّسْتَبَانِ جِدَا

والتر اكيب عند ابي فراس سهلة واضحة ولكنها ضعيفة أحيانا ، وذلك أنه يجيء مرة بكلمة في غير موضعها أو يأتي بكلمة اجنبية أو يُسهّل الهجزة أو يخطئ صيغة من صيغ الجمع أو من صيغ الاناث أو يحذف رابطاً أو يحلّ بلام التعريف لفظاً لا يتعلّق بها . من ذلك أنه استعمل .

— الحيا (٨:٧) مكان الحياء

— رؤياك (٥١:٨٧) مكان رؤيتك (الرؤيا : الحلم)

— كلمات اجنبية : بنج (٢:٦٢) اي خمسة بالفارسية . ثم بهار (٢:١٩٦) اي

الزهر الاصفر بالفارسية (الربيع) .

— نشا (٣٩:٦٥ ، ص ٦٢) ، بني ورقا (٤٦:٣٩ ص ٦٣ ثم ٥١:١١٨ ،

ص ١٠٨) ، بالوفا (٤:٩٦) ، يتهى (٢:٢٥٦) ، واستلاما (١٠:٢٨٨) مكان نشا ، ورقاء ، بالوفاء ، يتهياً ، استلام .

— هبوات بسكون الباء (٢٣:٢٣٠) مكان هبوات بفتح الباء . ثم مواتات

(٣٧:٢٣٠) مكان ميتات .

— المأمون نبوته (٤١:١٢٧) مكان المأمونة نبوته .

— أجرته وأغثته (١١:١٦٣ و ١٢) مكان أجرته وأغثته .

— وتُحببن عنك السيئات (١٦:٢٤٢) وينادينه النسوان (١١٨ : ١٣٠ ، ص

١٦٠) وما انا راض ان كثرن مكاسبي (٤١:٢٢) . مكان تُحببت عنك السيئات وتناديه النسوان وكثرت مكاسبي . ولغة « اكلوني البراغيث » تكثر في شعر ابي فراس .

— يا من وهبت له روحي تملكها (١:٢١٤) وصبغ الحيا خديه لون مدامعي

(٨:٧) مكان وهبت له روحي فتملكها ثم صبغ الحياء خديه بلون او مثل لون .

— ادخل لام التعريف على « كل » و « بعض » (٣:٢١٤) .

هذه الخصاص التي مورت بنا تجعل شعر ابي فراس سهلاً عذباً يدرك القارىء

معناه بادنى تأمل ، مثل قوله (رقم ٤٠) :

أُبْنِيَّتِي ، لَا تَجْزَعِي ، كُنْ الأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ .

أَبْنَيْتِي ، صَبْرًا جَمِيًّا لَا تَجْلِيلَ مِنَ الْمَصَابِيحِ .
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خَلْفِ يَثْرِكَ وَالْحَبَابِ .
قُولِي ، إِذَا نَادَيْتَنِي وَعَيَّيْتُ عَنْ دَدِ الْجَوَابِ :
زَيْنَ الشَّبَابِ ، أَبُو فَرَا سِ ، لَمْ يَمْتَعِ بِالشَّبَابِ !

على ان هذه الخصائص نفسها قد تجعل أسلوب الشاعر ضعيفاً ركيكاً ، وخصوصاً إذا كان الغرض غرضاً وصفيًا بعيداً عن المنحى الوجداني وبعيداً عن بيئة القارئ . قال أبو فراس يشبه نفسه برجل من العامة يتقدم من دوائر الحكومة « بمعروض » ، ولكن معروضه يُرفض (رقم ٢٥٦) :

ضَمَنْتُ حَالِي قِصَّةً فَرَفَتْهَا ، فَأَتَيْتُ دِيوانَ أَلْهَوَى ، فَلَكَثَرَةُ الـ
حَتَّى إِذَا أَوْصَلْتُهُ نَظَرُوا إِلَى فَمَرَضْتُ ، ثُمْتُ وَقَعُوا : هَذَا فَتَى
فَأَجَابَ هَذَا خَطَهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْهِلِ أَلَّامَ الدَّقِيقِ يَمِينُهُ

فَأَتَانِي التَّوْقِيعُ : يَخْرُجُ حَالُهُ مُشَاقٌّ لَمْ يَتَّهِيَ لِي إِيْصَالُهُ
جَسْمٌ تَبَقَّى فِي أَلْعْيُونِ خَيَالُهُ وَجِدَ أَسْمُهُ لَمْ يَوْجِدِ اسْتِقْبَالُهُ
صَبٌّ تَمَكَّنَ وَجْدُهُ وَخَيَالُهُ وَثَقُلَ قِرْطَاسُ الْكِتَابِ شِمَالُهُ

أوجه البلاغة

إذا كان أبو فراس من أصحاب المذهب الشامي فلا بد من ان تكون الصناعة فاشية في شعره . فالبديع والمجازات والتشبيه والاستعارات وسوى ذلك من أوجه البلاغة بارزة في أشعاره بروزاً يدل على ان بعضها مقصود اليه متكلف . حتى أوصافه تنكشف عن مقدرة اعظم على التأنيق في تصريف أوجه البلاغة منها على اجادة الوصف الحسي . قال يصف جليئاراً فابدى في التأنيق حتى قارب ابن المعتز في مقطعاته التي يصف فيها أسباب الترف ، ولكنه لم يُقرب الجليئار (زهر الرمان) إلى أذهان الناس (رقم ١٤٠) :

وَجُلُنَارِ مُشْرِقِ
كَأَنَّ ، فِي رُؤُوسِهِ ،
عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ .
أَصْفَرُهُ وَأَحْمَرُهُ
قُرَاضَةٌ مِنْ ذَهَبٍ
فِي خِرْقٍ مُعَصْفَرَةٍ .

ومثل هذا في البراعة والتأني وصفه لنهر يسير في مرج منور بالودود المختلفة
فيشبهه ببساط مطرز وقد ألقى عليه القين (صانع السيوف) نصلا مصقولا ماء.
(١٢ : ٢٦٤ - ١٢) :

وَالْمَاءُ يَفْصُلُ بَيْنَ زَهَبِ
كَبِطَاطٍ وَشَيْءٍ جَرَدَتْ
وَالرَّوْضُ فِي الشَّطِّينِ فَصْلًا
أَيْدِي الْقِيُونِ عَلَيْهِ نَصْلًا .

ولا ريب في أن أبا فراس كان يتكلف أوجه البلاغة ، وإلا فكيف تبور وجود مثل
هذه الأبيات في ديرانه وليس فيها من براعة الا حشد هذا الجنس والطباق والموازنة
(١٢٧ : ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١) :

الْحُبُّ أَمْرُهُ وَالصُّونُ زَاجِرُهُ
مَنْ لَا يَنَامُ فَلَا صَبْرٌ يُوَازِرُهُ
وَالصَّبْرُ أَوَّلُ مَا يَأْتِي وَآخِرُهُ .
وَلَا خَيَالٌ عَلَى شَحْطٍ يُزَاوِرُهُ .
وَلَسْتُ وَاجِدَ شَيْءٍ أَنْتَ عَادِمُهُ ،
أَيُّنَ الْخَلِيلِ الَّذِي يَرْضِيكَ بَاطِنُهُ ،
فَكَيْفَ تَتَصَيَّفُ الْأَعْدَاءُ مِنْ رَجُلٍ
الْقَائِلُ الْفَاعِلُ الْمَأْمُونُ نَبْوَتُهُ .
وَالْعِزُّ أَوَّلُهُ وَالْمَجْدُ آخِرُهُ ،
وَالسَّيِّدُ الْأَيْدِ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ .

ومثل ذلك في التكلف ولكن ابرع منه في الصنعة (١٢٨ : ١٤ ، ٢٤) :

وَسُمُرُ أَعَادٍ تَلْمَعُ الْبَيْضُ بَيْنَهَا
قَهْلٌ عَرَفَاتٌ عَارِفَاتٌ بِزَوْرِهَا
وَبَيْضُ أَعَادٍ فِي أَكْفِهِمُ السُّمُرُ .
وَهَلْ شَعَرَتْ تِلْكَ الْمَشَاعِرُ وَالْحَجَرُ ؟

ومن أجل ما قاله أبو فراس في البديع — لفظاً ومعنى — قوله الذي يعاتب به
سيف الدولة والذي يجري فيه على السليقة بلا تكاف أبدأ (١٦: ٤٥-٤٦) :

فَلَيْتَكَ تَحَلَوُ وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي يَبْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَيَبْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ !

وله اللمعة البارعة في رد الإعجاز على الصدور في البيت الثاني من المقطوعة التالية
المؤلفة من بيتين فقط (رقم ١٩٥) :

كَيْفَ أَرْجُو الصَّلَاحَ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ ضَيَّعُوا الْحَزْمَ فِيهِ أَيُّ ضَيَّاعٍ ؟
فَمُطَاعُ الْمَقَالِ غَيْرُ سَدِيدٍ ، وَسَدِيدُ الْمَقَالِ غَيْرُ مُطَاعٍ !

أما الاستعارات التي تلفت النظر في شعر أبي فراس فمنها (١٢٢ : ٥ ، ١٤٧ :

٤ - ٥) :

يَا كَيْبِيَا مِنْ تَحْتِ غُصْنِ رَطِيبٍ يَتَشَنَّى مِنْ تَحْتِ بَدْرِ مَنِيرٍ .
— وَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ دَيْجِهَا صَوْبُ الْقَرَائِحِ لَا صَوْبُ مِنَ الْمَطَرِ .
مِثْلًا نَشَرَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِهَا ثَوْبًا مِنَ الْوَشْيِ أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبْرِ .

فنونہ واغراضہ

أراد ابو فراس ان يعد الفنون التي جاءت في شعره وان يذكر الفنون التي ينزه نفسه عنها ، ذهاباً بنفسه ان يحصى في الشعراء الذين تكسبوا بالشعر فحطوا من قدر انفسهم ، فقال مقطعته المشهورة (رقم ٨) :

الشعرُ ديوانُ العربِ ، أبداً وعُنوانُ الأدبِ
لم أعدُ فيه مفاخري ومديحَ آبائي النُجبِ ،
ومقطعاتٍ ربما حُلّيتُ مِنْهُنَّ الكتبُ .
لا في المديحِ ولا الهجاءِ ولا أُلجُون ولا الكذبِ !

رأينا (١) ان ابا فراس كان يأتي من ان يسمى شاعراً ، بل كان يجب لنفسه لقب « فارس » . واما الذين كانوا يأتون من قول الشعر جملة (٢) ، قبل ابي فراس ايضاً ، فهم كثار ، وان لم يكونوا على حق ، كما ذكر ابن رشيق . غير ان الاجماع كان واقعاً على الأنفة من التكسب بالشعر . قال ابن رشيق (٣) : « واما اكثر من تقدم فالتألب على طباعهم الانفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما في ايدي الناس ، الا في ما لا يزري بقدر ولا مروءة كالفلة النادرة والمهمة العظيمة ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : « نعم ما تعلمته العرب الايات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته » .

والسبب في موقف العلماء من التكسب بالشعر هذا الموقف ان الشاعر كان يمثل كبرياء قومه ويتكلم بلسانهم ويروي مفاخرهم ، ولذلك وجب ان يترفع عن مد يده الى ما في ايدي الناس من عرض الحياة الدنيا لئلا يذهب في ذلك شيء من كرامته فيذهب بها شيء كثير من كرامة قومه ، ولئلا يقل احترام الناس له فيقل احتفالهم بما يذكره من مفاخر قومه (٤) .

(١) راجع باب « عناصر شخصيته » ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) العمدة ، راجع ١٤:١ - ١٩ . (٣) العمدة ٦٥:١ (٤) راجع العمدة ٦٦:١ .

يريد ابو فراس ان يوهنا انه قصر شعره كله على الفخر بنفسه وباهله ، ثم على « إخوانيات » ، اي اشعار كان يجعلها رسائل الى أهله وأصحابه ، او يضمها الى الرسائل التي كان يبعث بها اليهم .

غير ان ديوان ابي فراس ينطق بخلاف ما أراده ابو فراس ، فأبو فراس مدح وهجا ورثى وعاتب وشكا وتغزل ومجن أيضاً . اما اذا كان ابو فراس قد قصد بقوله هذا انه لم يتكسب بشعره فيكون حيثئذ قد صدق . ومع كثرة اغراض ابي فراس ، كثرة اغراض شعراء آخرين ، فان أكثر ديوانه يدور على غرضين اساسيين : الغزل والحماسة . وسنبداً اولاً بعرض هذين الغرضين الاساسيين ثم "نتم" هذا الفصل بعرض سائر الاغراض .

١ - النسيب والغزل

نحن نعلم ان النسيب هو تذكر ايام الصبا والتشوق الى لقاء الاحبة مع الشكوى من ألم الفراق ، بينما الغزل هو وصف أعضاء المرأة الظاهرة (١) . ولكن يندر ان يأتي احد هذين الفنين مستقلاً عن الآخر ، وان كانت العادة قد جرت بأن يزيد احدهما على الآخر ، في القصيدة الواحدة ، في معظم الاحيان .

(أ) لأبي فراس نسيب وغزل مؤنثان ومذكران . وهو يجري في غزله ونسيبه عموماً على النهج القديم ، الجاهلي البدوي : يقف على الاطلال ويذكر ايامه الماضية ثم يتشوق الى الحبيبة ويظهر الشكوى والالام ويتعلل بالامل ، ويذكر كيف ان النساء ملن عنه بعد ان رأين الشيب قد بدا في رأسه . ثم هو يبدي ايضاً آراء في الحب . والحب عند ابي فراس يأسر الشجاع ويذل العزيز ويجعل السيد عبداً . ولكن المحب يرضى ذلك كله ويشكر للحبيب المحسن ويعفو عن الحبيب المسيء . وكثيراً ما يتمدح ابو فراس بعفته ، وربما ذكر انه غامر مرة بعد مرة . والنسيب في شعر ابي فراس

(١) راجع ابو نواس للدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٠ - ٨١ .

على كل حال ، أكثر من الغزل ضعافاً .

وابو فراس في نسبه وغزله وجداني صادق ، مرهف الحس ، رقيق العاطفة .
وغزله هذا رقيق تتضاءل فيه عزة الملك امام سلطان العاطفة ، فيكون ذلك اتم جلالة
واشد روعة (١) . الا ان ابافراس يتذلل احياناً امام محبوبه تذلاً لا يحط من قدره (١١٨
١٢-١٣، ١٥-١٧، ٢٦) :

لَعَلَّ خَيَالَ الْعَامِرِيَّةِ زَائِرُ فَيُسَعَّدَ مَهْجُورٌ وَيُسَعَّدَ هَاجِرُ
وَإِنِّي عَلَى طَوْلِ الشَّمْسِ عَنِ الصَّبَا أَحِنُّ، وَتُصَيِّبُنِي إِلَيْكَ الْجَاذِرُ (٢) .
وَفِي كِلْمَنِي ذَلِكَ الْحَبَاءُ خَرِيدَةٌ لَهَا، مِنْ طِعَانِ الدَّارِعِينَ، سَتَائِرُ (٣) .
تَقُولُ ، إِذَا مَا جِئْتُهَا ، مَتَدَرِعاً :

« أَزَائِرُ شَوْقٍ أَنْتَ ، أَمْ أَنْتِ تَائِرُ ؟ » (٤)
تَثَلَّتْ فَنُصْنُ نَاعِمٌ أَمْ شَمَائِلُ وَوَلَّتْ فَلَيْلٌ فَاحِمٌ أَمْ غَدَائِرُ
فَيَا نَفْسُ مَا لَا قَيْتَ مِنْ لَا عِجِ الْهُوَى وَيَا قَلْبُ مَا جَرَّتْ عَلَيْكَ التَّوَاظِرُ
وَيَا عِفَّتِي ، مَا لِي وَمَا لَكَ ؟ كَلَّمَا هَمَمْتُ بِأَمْرِهِمْ لِي مِنْكَ زَاجِرُ (٥) .

(١) تاريخ الادب العربي ، لاحمد حسن الزيات ، الطبعة السادسة (مصر ١٣٥٤ هجري ، ١٩٣٥ م) ص ٢٩٩ .

(٢) مع انني قد تركت احوال الشباب منذ زمن بعيد فاني لا ازال احن (الى الحسان) ، وكلما رأيت ظلي صغيراً تشوقت اليك .

(٣) الكلمة : الستار على الهودج (مركب النساء) . الخريدة : الجميلة . لها من طعان .. الخ : اهلها غيارى يقاتلون دونها فلا يجبر احد على ان يتطلع اليها .

(٤) (يعاجلني الشوق اليها) فأزورها احياناً ولا يزال درعي علي فتقول لي : اعجب انت ام محارب (حتى تلبس في جيئك الي درعا) ؟

(٥) كلما دعاني الشباب اليها زجرتني عفتي عما أريد (لا خوفاً من اهلها ولا عجزاً عن الوصول اليها)

كَانَ الْحِجَاوُ الصَّوْنَ وَالْعَقْلُ وَالتَّقَى ، لَدَيَّ ، وَزَبَاتِ الْخُدُورِ ضَرَائِرُ (١) .
 وَكَمْ لَيْلَةٌ خُضْتُ الْأَيْسَنَةَ نَحْوَهَا ، وَمَا هَدَّأَتْ عَيْنٌ وَلَا نَامَ سَامِرُ .
 يُصَاحِبُنِي فَضْفَاضَتَانِ وَصَارِمٌ وَقَلْبٌ عَلَى خَوْضِ الْخُتُوفِ مُوَازِرُ (٢) .
 فَلَمَّا خَلَوْنَا ، يَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَقَدْ كَرَّمْتَ نَجْوَى وَعَفَّتْ سَرَائِرُ ،
 وَبِتُّ ، يَظُنُّ النَّاسُ فِي ظَنُونِهِمْ ، وَثَوْبِي مِمَّا يَرْجُمُ النَّاسُ طَاهِرُ .
 وَكَمْ لَيْلَةٍ مَاشَيْتُ بِدَرْ تَمَائِمِهَا إِلَى الصُّبْحِ لَمْ يَشْعُرْ بِأَمْرِي شَاعِرُ
 وَلَا رِيَّةٌ إِلَّا الْحَدِيثُ ، كَأَنَّهُ جُمَانٌ وَهْيٌ أَوْ لَوْلُو مُتَنَازِرُ (٣) ،
 أَقُولُ وَقَدْ ضَجَّ الْحَلِيُّ وَأَشْرَفْتُ - وَلَمْ أَزَوْ مِنْهَا - لِلصَّاحِ بِشَائِرُ (٤) ،
 « أَيَا رَبِّ ، حَتَّى الْحَلِيُّ مِمَّا تَخَافُهُ ، وَحَتَّى بَيَاضُ الصُّبْحِ مِمَّا تُخَافِرُ » (٥) ،
 وَلِي فِيكَ ، مِنْ قَرَطِ الصَّبَابَةِ ، أَمِيرُ ،

وَدُونِكَ ، مِنْ حُسْنِ الصِّيَانَةِ ، زَاجِرُ (٦) .

عَفَافُكَ غَيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ .

(١) الضرائر جمع ضر (بالكسر) وضرة (بالفتح): كل زوجة بعد الزوجة الأولى. والضرائر يكره بعضهن بعضاً. - يقول: اخلاقي الحسنة لا تأتلف ومعاشرته الحسان .

(٢) علي درعان ومعني سيف قاطع ، وقلبي شجاع يساعدهني على خوض المهالك .

(٣) يشبه الحديث بينه وبين محبوبته ، لجماله وهذوبته وبهولته ، بالجمان (الخور من الفضة) التي ضعف خيطه فانقطع فجعل الجمال يتساقط منه او كاللؤلؤ المنفرد من خيطه ايضاً .

(٤) ضج الحلي : تملل الحلي وتحرك في يديها وعتقها لطول جلوسنا . اشرف : حلا . بشائر : علامات . - اقرب طلوع الصبح .

(٥) كل شيء اصبح يخيفنا بحي صوت الحلي وطلوع الصبح .

(٦) شدة حي لك تأمرني بأن آتي اليك ، وحب المحافظة على سمعتك تمنعني من ان ازورك .

وكانت عاطفة ابي فراس صادقة ، إلا ان تذله — على ما يبدو من قوله هو في ديوانه — كان تعللاً فقط : كان يتألم من امر — من ظلم اهله له مثلاً — فینفت ذلك في قصائد ومقطعات عليها طابع الغزل . فشكواه الحقيقية ليست من ظلم الغواني له ، بل من ظلم سيف الدولة في الاغلب (٣٠٧ : ١ ، ٣٤ — ٩) . تأمل البيت الاخير :

نَفَى النُّومَ عَنْ عَيْنِي خَيَالٌ مُسَلِّمٌ

تَأْوِبٌ مِنْ أَسْمَاءٍ وَالرَّكْبُ نَوْمٌ (١).

ظَلِمْتُ وَأَصْحَابِي عَبَادِيدَ فِي الدُّجَى الَّذِي يَجْوَالُ الْوِشَاحَ وَأَنْعَمُ (٢).

وسائلة عني فقلتُ تعجباً : كأنك لا تَذَرِينِ كَيْفَ الْمَتِّمِ .

أَعِرْنِي ، أَقِيكَ أَلْسُو ، نَظْرَةً وَامِقٍ (٣) لَعَلَّكَ تَرْنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ تَرْحَمُ !

فَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدُكَ الْفَنُّ (٤) فِي الْهَوَى ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُتَحَكِّمُ .

وَأَرْضِي بِنَا تَرْضَى عَلَى السُّخْطِ وَالرِّضَا وَأَغْضِي (٥) عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّكَ تَظْلِمُ .

يَسِيتُ مِنَ الْإِنْصَافِ يَتْنِي وَيَتْنَهُ ، وَمَنْ لِي بِالْإِنْصَافِ وَالْخَصْمِ يُحْكَمُ ؟

وخطب من الأيام أنساني الهوى

وَأَحْلَى بِنِي الْمَوْتَ ، وَالْمَوْتُ عَلَقَمُ (٦).

وَوَاللَّهِ مَا شَبَّيْتُ إِلَّا عُلاَةً ، وَمَنْ تَارَ غَيْرَ الْحُبِّ قَلْبِي يُضْرَمُ (٧) .

(١) تأوب : عاد مرة بعد مرة . الركب : الراكبون ، المسافرون معاً في قافلة واحدة .

(٢) العباديد جمع لا مفرد له : جماعات الناس . جوال الوشاح كناية عن المحبوب الالهيف غير السمين .

— يقول : كنت واصحابي فرقاً نضرب في ذلك الليل في كل وجه ، وانا كنت ألد .. الخ .

(٣) محب . (٤) العبد المملوك مع الارض (لا يمكن تحريره) .

(٥) أغضى : تغافل ، اظهر الغفلة والجهل .

(٦) الخطب : المصيبة . أحلى (فعل ماضٍ مزيد بالهمزة) الموت بغي : جعل الموت في فمي حلواً . العلقم :

نبات مر .

(٧) إلا علاة : إلا لأنسى ما انا فيه . يضرم : يوقد (بالبناء للمجهول) .

وليس جميع نسيب ابي فراس شكوى ، بل فيه ايضاً صور جميلة تنطوي على
مرح وعلى إشارات لطيفة الى مغامراته الصحيحة او المزعومة . على ان الشاعر صادق
في الكلام على امثال هذه المغامرات ، سواء لدينا أوقعت ام لم تقع : انها صورة نفسه
التواقة الى اللهو ، على الرغم من الرقابة الشديدة التي عليها من اخلاقه الكريمة وعفته
الخالصة . يقول ابو فراس في احدي قصائده التي يفخر فيها (١٢٦: ٩-١٣) :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لَمْ أَزَوْ مِنْهَا	حَنَنْتُ لَهَا وَأَرْقَنِي أَذْكَارُ .
قِضَانِي الدِّينَ مَاطِلُهُ ، وَوَافِي	إِلَيَّ بِهَا الْفُؤَادُ الْمُسْتَطَارُ (١) .
قَبِيتُ أَعْلَى خَمْرًا مِنْ رُضَابِ	لَهُ سُكْرٌ وَلَيْسَ لَهُ خُمَارُ (٢)
إِلَى أَنْ دَقَّ ثَوْبُ اللَّيْلِ عَنَّا	وَقَالَتْ : « فَمَ فَقَدْ بَرَدَ السَّوَادُ » (٣) .
وَوَلَّتْ تَسْرِقُ اللَّحَظَاتِ تَحْوِي	عَلَى فَرْقٍ كَمَا أَلْتَقَتِ الصُّوَارُ (٤) .

ولابي فراس غزل ونسيب محدثان في الغرض والاسلوب معاً يغلب عليها الوصف
الحسي والتحليل النفسي ، وفيها احياناً صناعة . وابو فراس يذكرنا في هذه الابيات
احياناً ببشار و احياناً بعمر بن ابي ربيعة (٦٣: ١) ، رقم ٦٤ ، رقم ٧٤ ، راجع ٧٣ ،
رقم ٩٨) :

جَارِيَةٌ كَحَلَاٍّ مَمْشُوقَةٍ	فِي صَدْرِهَا حَقَّانٍ مِنْ عَاجٍ .
— قَامَتْ إِلَى جَارَتِهَا	تَشْكُو ، بِذُلٍّ وَشَجَا :
« أَمَا تَرَيْنَ ذَا الْفَتَى	مَرًّا بَنَا مَا عَرَجَا .
إِنْ كَانَ مَا ذَاقَ الْهَوَى	فَلَا نَجَوْتُ إِنْ . نَجَا ١ »

- (١) بورت بوعدها لي (بوصالي) بعد ان دافعتي مراراً ، وجاءت الي استطار الفؤاد : اشتد فرحه .
- (٢) السكر : النشوة واللذة . الخمار : الدوار والصداع (الاذى الذي يلحق الرأس من شرب الخمر) .
- (٣) دق ثوب الليل : اوشك الليل ان ينتهي . برد السوار : اشتد البرد (٤) .
- (٤) الفرق : الخوف . الصوار : القطيع من الغزلان .

— أغصُ بذكرِهِ أبداً يَريقِي
 وتَمَنُّني مُراقِبَةً الأَعادي
 ولو أَنِّي أَمَلَكُ فيه أَمري
 — وزيارَةٍ من غير وعدٍ
 باتَ الحبيبُ إلى الصبا
 يَمْتارُ في وناظري
 قد كان مولايَ الأجلُ
 ليست بأولِ مِنَّةٍ
 وأشرقُ منه بالماء القراح (١).
 غَدُوِّي الزِيارَةِ أو دَواحي (٢).
 رَكِبْتُ إِلَيْهِ أعناقَ الرِياح (٣).
 في ليلة طَرَقَتْ بِسَعْدٍ .
 حِـ مُعانِقِي خِداً لِحَدٍ .
 ما شئتُ من خَمَرٍ وَوَرْدٍ (٤).
 فَصِيرَتُهُ الرَاحُ عِبدِي ٥ .
 مَشكُورَةٌ لِلرَاحِ عِندِي .

وتكاد تنحصر صفات المرأة عند أبي فراس في أشياء مألوقة لدى الشعراء، ليس فيها ابتكار أو براعة توجب أن ينحصر الدارس بالذكر. وأكثر هذه الأوصاف لا تخرج عن تشبيه المرأة بالبدر والشمس والغزال والغصن، أو أنه يشبه ريقها بالعسل وشعرها بالليل وبياض وجهها وعنقها واسنانها بالصبح. وأبو فراس يحب المرأة القليلة السن التي يجول الوشاح على كتفيها، أي يتحرك الوشاح ويدور عليها لتعاطف جسمها. كل هذا وما يتعلق به، من قرب أو من بعد، تراث الشعراء منذ أقدم العصر الأدبية في تاريخ العرب. علي أن بعض هذه التشابيه محدث وإن كانت كلها قديمة في مادتها.

- (١) شرق يشرق (يؤذن سمع يسمع) : غص يريقه ، دخل شيء من ريقه أو من الماء في مجرى النفس .
 القراح : الخالص ، الصافي ، غير المزوج بشي .
 (٢) مراقبة الأعادي : حذري منهم . الغدو والرواح : المجي صباحاً ومساءً .
 (٣) ركب أعناق الرياح : كناية عن الأسراع لما فيه من الشوق .
 (٤) يمتار : يتزود ، يتمتع . في : فمي (وهو فاهل) . ما اسم موصول في محل نصب مفعول به .
 حرف جر زائد . خمر وورد مجروران لفظاً منصوبتان محلا على أنهما تمييز من « ما » .
 (٥) مولاي : سيدي . الراح : الخمر .

وفي أكثر صورها . من ذلك كله آياته التالية (٧:٣٨ ، ٧:٦١ ، ٩:٦٥ ، ٣:٤٧٨ ، ٢:٩١ ، ٧:٩٢ ، ١٢:١٢٧ ، ٥:٣٠٢ ، ٧:٣٠٨ ، ١٣:٣٣٣ ، ٨:١٣) :

لك جسمُ الهوى وتغرُّ الاقاحي	ونسيمُ الصبا وقدُ القضيبي .
— عَليّنا بطيب ريقك يا من ،	يَجَنِّي النَّخْلَ رِيْقُهَا مَمزُوجُ .
لم يَزِدْكَ الْخَلْخَالُ حُسْنًا ، ولكن	بكِ زَيْنَ الْخَلْخَالِ وَالْدِّمْلُوجِ (١) .
وَكَاَنَّ الْحَسَاءَ لَمَّا تَشْتَتِ	بين اثرايها أَلَمَّا عُسْلُوجِ (٢) .
— أسكرى القدرِ طَيِّبَةَ الثَّنَايَا ،	وقَتَرَى اللَّحْظِ جَائِلَةً الْوَشَاحِ ...
— وشادنِ يُعْطِيكَ من ريقهِ	وخَدِهِ وَرَدًا وَتُقَاحَا .
— إِنَّ الْغَزَالَ وَالْغَزَا	لَ لَفِي ثَايَاهُ وَجِيْدَةٍ .
— من كلِّ شمسٍ في الحدودِ إِذَا بَدَتْ	كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ تَسْجُدُ .
— وهل رأيتَ أَمَامَ الْحَيِّ جَارِيَةً	كَالْجُودْرِ الْفَرْدِ تَقْفُوهُ جَاذِرْدُ (٣)
— غَرَاءَ تَبْسِيمٍ عَنْ صَبَاحٍ طَالِعٍ	من ثَغَرِهَا فِي جَنَحِ (٤) لَيْلٍ مُظَاهِرٍ .
— تَجْلُو الظَّلَامَ بِبَسِيمٍ يَجْلُو الدُّجَى	بَابِي وَأُمِّي طَيِّبُ ذَاكَ الْمَبْسِمِ .
— بَيْضٌ كَأَمْثَالِ الدَّمَى فِي حُسْنِهَا (٥)	أَقَارُ لَيْلٍ فِي ذُرَى أَغْصَانٍ .

*

(١) الدملوج : سوار يلبس في العضد « القسم الاعلى من الذراع »

(٢) الاتراب : المتقاربون في السن . الما جمع مائة : بقرة الوحش ، الغزال ... العسلوج : الغصن الطري .

(٣) الجارية : الفتاة الصغيرة . الجودر : الظبي الصغير . الفرد : المفرد الذي لا شبيه له في جماله . قفاه يقفوه : تبعه يتبعه .

(٤) جنح الليل [بكسر الجيم او بضمها] : قسم من الليل .

(٥) الدمى جمع دمية : الصورة المنقوشة في الرخام ، والمفروض ان تكون جميلة جداً .

وكذلك لابي فراس غزل مذكر كثير لا يخرج في نطاقه عن الاوصاف المألوفة
في الغزل المؤنث من تشبيه بالغصن والورد وبالبدر او بالغزال . و ابو فراس شديد
المعاطفة في غزله المذكر ، وان كان غزله هذا ضعيف التركيب بالاضافة الى نسيبه
وغزله المؤنثين . وهو نفسه يجبرنا انه مسرف في القول في الغزل المذكر ، ولكنه
لا يقصد كل ما يقوله ، يمثل هذا قوله (رقم ٢١٠) :

كأنَّ قوَامَهُ أَلِفٌ .	غُلامٌ فوقَ ما أَصِفُ ،
أَخَافُ عَلَيْهِ يَنْقُصُ .	إِذَا مَا مَالٌ يُدْعِي (١) :
أَخَافُ يُذِيهِ التَّرَفُ (٢) .	وَأَشْفِقُ مِنْ تَأَوُّدِهِ ،
ودَهْرِي كُلُّهُ أَسْفُ (٣) .	سروري عنده لَمَعُ
وحي وحده سرف (٤) .	وأمرِي كُلُّهُ أُمَمٌ

على ان القطعة التالية (رقم ١٧٠) ليس فيها اكثر من صناعة ، وليس فيها
عاطفة ابداً :

أَيَا مَنْ وَجْهُهُ بَدْرٌ	وفي الحَاظِلِهِ سِخْرُ ،
وَيَا مَنْ جِسْمُهُ مَاءٌ ،	وَيَا مَنْ قَلْبُهُ صَخْرُ ،

(١) يخيفني

(٢) أشفق : اخاف : تأوده : اهتزازه ، ميلاته . اخاف يذيه الترف : اخشى (لما هو عليه من ثين ورقة)
ان تضيق كثرة الحركة .

(٣) فرحي به قليل (لقلّة اجتماعي به) واكثر وقتي حزن لطول غيابه عني .

(٤) وأمرِي كُلُّهُ أُمَمٌ : مرادي منه شيء يسير . وحي وحده سرف : انا مسرف ومغال في اظهار حي له .
وفي رواية : وحي وحده شرف : حي شريف لا اتلوث من جرائه بما يتلوث به سائر المحبين .

راجع في ذلك كله ١:٢ - ٢:٥٤ ، ١:١٠٤ - ٢:١٤٩ ، ٢:١٨٠ - ٣:٢ .

لقد قام لدى العاذر
وما بُجْتُ بما ألقا
لِ مِنْ وَجْهِكَ لِي عُذْرُ . (١)
هُ حَتَّى عَزَّنِي (٢) الصَّبْرُ .

وكان لأبي فراس غلمان منهم فاتك وصاف ومنصور . والغلام رقيق بمملوك يتخذه الرجل لخدمته في البيت او في الحرب . وربما يكون منهم حرس للامير او جيش للقتال ايضاً . وتنشأ عادة بين الغلمان وبين سيدهم صداقة تصبح مع الايام اوثق من القرابة . وربما شكوا الرجل ما يمه الى غلمانه كما كان يفعل ابو فراس ، اذ كان يشكو الى هؤلاء الغلمان ما يلقاه من ميل بني حمدان عنه ، وكان يفضلهم على عشيرته . اما اسم فاتك فانه ورد مرة واحدة في ديوان ابي فراس (ص ٤٨) واما فاتك الذي ورد ذكره في شعر ابي فراس (١٨١ : ٦١ ، ص ١٥٥) فهو غير الذي ورد على الصفحة الثامنة والاربعين ، وان كان ناشر الديوان قد جمع بينها في الفهرست (ص ٥٦٧) . وكذلك ورد اسم صاف مرة واحدة ايضاً (ص ٢٦٨) . اما الذي ورد اسمه بضع موات من غلمان ابي فراس فهو منصور . وكان ابو فراس قد ربي منصوراً وصافياً وبرهما . ولا ريب في ان هؤلاء الثلاثة كانوا لا يزالون في ملك ابي فراس لما اسروا وحملوا الى بلاد الروم ، فقد كان يكتب اليهم يشكو حاله ويعتب على آله واقاربه (راجع ص ٤٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٨) . من ذلك انه كتب الى غلاميه صاف ومنصور ، وهو في الاسر ، ، يبيها ما يثقل صدره من انصراف بني حمدان عن اقتدائه (رقم ٢١٧ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩) :

يا خليلي بالشَّام ، أفيقا
هل تُجَسِّن لي رفيقاً رفيقاً ؟ (٣)
دُبِّرَ الغَدْرُ والخِيانَةُ في النَّا
س ، نَأْ إِن أَرَى صَدِيقاً صَدُوقاً (٤) .
قُلْ أَهْلُ الوَفاء ، وَأَتَّبِعِ النَّا
سُ مِنْ الغَدْرِ والجَفاء طَريقاً .

(١) اذا رأى النبي يلومني في هواك جمال وجهك عندي في حي لك .

(٢) غلبي .

(٣) رفيقاً رفيقاً : صديقاً او صاحباً لطيفاً او رفيقاً ، حسن المعاملة لصديقه .

(٤) صدوق : ثابت في صداقه .

لا زعي الله ، يا خلي ، دهرأ فرقتنا صروفه تفريقا (١) .
كنت مولا كما ، وما كنت إلا والدأ حسناً وعمأ شفيقا .
فأذكراني ، وكيف لا تذكراني ، كأمأ استخون الصديق الصديقا .
بت أبكيك ، وإن عجيبا أن يبت الأسير يبكى الطليقا .

ولكن يظهر ان صلة ابي فراس بعلامه منصور كانت أوثق ، فقد ورد ذكره في ديوان الشاعر سبع مرات في احوال مختلفة . لقد كتب اليه من الاسر كما كتب الى فاتك وصاف . ثم هو كان يشكو اليه ظلم بني حمدان ، قبل الاسر ، ويسر اليه بانه سيخون بني حمدان ، بما يدل على ان مقامه عنده كان اثراً جداً . قال ابو فراس (رقم ٦٠) :

أيا منصور ، خانتني ثقاتي ، فهد لي على العدوي سرجي .
بنو حمدان حسادي جميعاً ، فإلي لا أزور بني () طنج ١
ثم ان ابا فراس ، كما يبدو لنا من ديوانه ، كان يعشق غلامه منصوراً هذا .
واتفق ان صد عنه منصور وهجره ، فقال ابو فراس (١ : ٥١ - ٢) :

ألزمني ذنباً بلا ذنب ، ولج في الهجران والعتب .
أحاول الصبر على هجره ، والصبر محظور على الصب .

ومن غزل ابي فراس في منصور هذا (١ : ١٣١ - ٤ ، راجع رقم ١٣٢) :

سبق الناس في الهوى منصور ، فسواه مكلف مفروز (٢) .
لحق العود ناعماً فشاء (٣) ، وهو صعب على سواه عسير (٣) .

(١) الصروف (جمع صرف بفتح الصاد) : الحوادث والمصائب .

(٢) المكلف : الذي يحاول ما لا يستطيع الوصول اليه .

(٣) البيت خامض . ناعماً : حال صاحبها القائل في «لحق» . والعود «بالضم» : القضيبي اليابس او العود

«بالفتح» : الجمل المسن . ثناء : تلاء . كان مثله — وهذا لم يتيسر لغيره .

ان حُبَّ الصِّبَا ، وإن طال ، لا يَهْـ دَحُ فِيهِ عَلَى الدُّهُورِ دُثُورُ (١)
فَهْوَ فِي أَضْلَعِ الصَّغِيرِ صَغِيرٌ ، وَهْوَ فِي أَضْلَعِ الْكَبِيرِ كَبِيرٌ .

وتغزل ابو فراس بن اسمه احمد ، كما ان له غزلا مذكراً في غلام فارسي (رقم ١٦٢، ١٧٤) . ولقد خربج ابو فراس هواه بهذا الغلام الفارسي تخريباً مبتكراً : ان هذا الغلام ابتلاه بحبه ، فهو يعذبه انتقاماً لما فعله العرب بالفرس في معركة ذي قار الشهيرة (رقم ٢٥٠) . والبيت الاخير من هذه المقطوعة مشهور يستشهد به :

قَاتِلِي شَادَنٌ بَدِيعُ الْجَمَالِ	أَعْجَبِيْهُ الْهَوَى فَصِيحُ الدَّلَالِ .
سَلَّ سَيْفَ الْهَوَى عَلَيَّ وَنَادَى :	« يَا لَثَارِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ .
كَيْفَ أَرْجُو ثَمَنَ يَرَى الثَّأَرَ عِنْدِي	خُلُقًا مِنْ تَعَطُّفٍ وَوَصَالِ (٢) .
بَعْدَمَا كَرَّتِ السُّنُونُ ، وَحَالَتْ	دُونَ ذِي قَارِ الدُّهُورِ الْخَوَالِ .
مَا دَرَّتْ أُسْرَتِي بِذِي قَارَ أَنِي	بَعْضُ مَنْ جَنَذَلُوا مِنَ الْأَبْطَالِ (٣)
أَيُّهَا الْمُلْزَمِي جَرَائِرَ (٤) قَوْمِي	بَعْدَ مَا قَدْ مَضَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِ ،
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلِمَ إِلَّا	هـ - وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ (٥) .

٢ - الحماسة والفخر

الحماسة ، كما في القاموس ، هي الشجاعة . اما في الشعر فهي وصف الشجاعة

-
- (١) المعنى الملموح : الحب عاطفة صحيحة ليست مقصورة على الشبان فقط .
(٢) كيف انتظر ان ينطف علي ويواصلني من يرى ان له عندي ثأراً ؟
(٣) ان قومي [العرب] لا حاربوا الفرس في ذي قار اوجدوا عند الفرس عداوة احمل انا اليوم نتائجها
(٤) ألومه الجريرة : اتهمه بالذنب وعاقبه عليه .
(٥) لم اكن انا من مسيبي (معركة ذي قار) ، ولكنني أذوق اليوم عواقبها الوخيمة علي . صلي النار : مسه حرمها .

والقتال . واذا نحن راجعنا ديوان الحماسة لابي تمام (١) خاصة ، وكتاب الحماسة للبحري (٢) رأينا ان اشعار الحماسة تنطوي عادة على تمديح بالنفس وبالاسلاف . والحماسة في الحقيقة قسم من الفخر ، ولما تأتي الحماسة مستقلة عن التمدح بالنفس وبالاسلاف كما ندر ان يأتي الغزل مستقلاً عن النسيب (٣) . والحماسة هي احد الفنين العظيمين اللذين ملأ ابو فراس بهما ديوانه . ثم ان اعظم خصائص ابي فراس تظهر في هذا الفن . فأبو فراس ، كما مر معنا من قبل (٤) ، يحب ان يدعى فارساً لا شاعراً . يرى ابو فراس ان بني حمدان قد جمعوا طرفي الحماسة ، او طرفي الفخر كله ، الشجاعة والكرم (٢٩١ : ١ - ٢) :

لنا بيتٌ على عُتُقِ الثُرَيَّا بَعِيدُ مَذَاهِبِ الْأَطْنَابِ سام (٥)
تُظِلُّهُ الْفَوَارِسُ بِالْعَوَالِي وتفرشه الولائدُ بالطعام (٦)

ولا ريب عنده في ان بني حمدان يفضلون الناس كلهم ، ثم ان الناس انفسهم يغترفون لبني حمدان بهذا السبق والفضل والشرف (١١ : ١ - ١٤ ، ٩ : ٧ - ١٠) :

أَيُّهَا الْمُبْتَغِي مَحَلِّ بَنِي حَمْدَانَ دَانْ مَهْلًا ، أَتَبْلُغُ الْجُوزَاءَ (٧) ؟
فَضَّلُوا النَّاسَ رُفْعَةً وَسُمُوءًا ، وَعَلَوْهُمْ تَكْرُمًا وَوَفَاءً .
يَا مُجِيلَ الْأَفْكَارِ فِيهِمْ ، إِلَى كَمْ تُشِيبُ النَّفْسَ : هَلْ تَنَالُ السَّمَاءَ ؟
أَسْرَتِي ، لَا أَقُولُ فَخْرًا ، سَرَانًا ، حَسْبُهُمْ ذَاكَ مَفْخَرًا وَسَنَاءً .

- (١) : ديوان الحماسة لابي تمام ، الباب الاول .
- (٢) كتاب الحماسة للبحري ، بيروت المطبعة الكاثوليكية « بلا تاريخ » .
- (٣) راجع باب « فنه واغراضه » ، ص ٧١ .
- (٤) راجع ص ٥٦ .
- (٥) الثريا عنقود نجوم . العتب : العمود الذي ترفع عليه الخيمة . — يتنا حال جداً (اصيل كريم) .
- (٦) العوالي الرماح . الولائد جمع وليدة : الجارية الخادمة . — تدافع الفوارس عنه وتعد فيه الولائد الطعام للضيوف .
- (٧) الجوزاء : برج من ابراج السماء « كناية عن العلو واستحالة البلوغ اليه » .

— أَلَمْ تَرَنَا أَعَزُّ النَّاسِ جَاراً
لَنَا الْجِبِلُ الْمَطْلُ عَلَى زَارِ
تُقَضِّئَنَا الْأَنَامُ وَلَا تُحَاشِي ،
وَقَدْ عَلِمْتَ رَبِيعَةً ، بَلْ يَرَارُ ،
وَأَمْنَهُمْ وَأَمْرَهُمْ جَنَاباً (١)
حَلَّلْنَا النِّجْدَ مِنْهُ وَالْمَضَابَا (٢) .
وَنُوصَفُ بِالْجَمِيلِ وَلَا نُحَاسِي (٣) .
بِأَنَّا الرُّؤُسُ وَالنَّاسُ الدُّنَابِي (٤) ۱

ويشرح ابو فراس فضائل بني حمدان ويخص بذلك عمود نسبه هو : انهم في السماء
شرفاً وخير من وطىء الارض . انهم كرماء أغنياء ، قد ينقطع السحاب عن المطر ولا
ينقطعون هم عن الكرم والضيافة ، ويوتهم نبيلة عفيفة . اما الفخر فهو فيهم دون
سائر الناس (٩٢ : ١٧ — ٢٣) :

وَأَنَا ابْنُ مَنْ شَادَ الْمَكَارِمَ وَأَبْتَنِي
وَأَنَا الَّذِي عَلِمَ الْأَنَامُ بِأَنَّهُ
حَمْدَانُ جَدِّي خَيْرٌ مِنْ وَطِئِ الثَّرَى
أَعْلَى لَنَا لَقْمَانُ أَيْيَاتِ الْعُلَى ،
يُعْطَى إِذَا ضَمِنَ السَّحَابُ تَكْرُمًا ،
خِطَطَ الْمَعَالِي حَيْثُ حَلَّ الْفَرْقَدُ (٥)
لَمْ يَنْبِهِ إِلَّا كَرِيمٌ سَيِّدُ .
وَأَبِي سَعِيدٌ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحَدُ :
وَأَنَافَ حَمْدَانُ ، وَشَيْدَ أَحَدُ (٦) .
وَيُجِيرُ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ (٧)

(١) أمرهم جناباً : أخصهم بقاع ارض .

(٢) النجد : الارض المنبسطة في الجبل . الهضبة : المكان المرتفع والمنفرد والمتع من الجبال . —
يقول الشاعر : نحن نسكن جميع هذا الجبل العظيم الذي يشرف « بالقوة والسودد » على نزار
« جميع عرب الشمال » .

(٣) في الاصل : ولا نحاشي ، ولكن ما ائبتاه أصبح في المعنى . — الناس يفضلوننا على كل انسان ولا
يقولون : « حاشا احداً » .

(٤) الدنابي : الذنب « كناية عن الاتباع من المحكومين » . ربيعة قسم من نزاز « نحن يعرفنا العرب
كلهم ، لا ربيعة فقط » .

(٥) الفرقد : نجم ثوأم من عنقود مؤلف من نجمين يسمى الفرقدين [كناية عن العلو] .

(٦) أناف : زاد عليه « في إعلاء بيوتنا » . شيد : بالغ في رفع « بناتنا علواً » .

(٧) اقرأ : نعطي ... نجير ...

وَالْمَجْدُ يُوجَدُ عِنْدَنَا بِأَرْوَمِهِ (١) ، وَالْفَارُ وَالْقَحْشَاءُ مَا لَا يُوجَدُ .
وَالْمَخْرُ يُقْسِمُ أَنَّا أَرْبَابُهُ دُونَ الْبَرِّيَّةِ ، وَالْمَكَارِمُ تَشْهَدُ .
ولبني حمدان فضل على العرب جميعهم الا على اسرة بني هاشم التي ولد فيها محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣ : ١٨ - ١٩) :

وإِنِّي لِنَ قَوْمٍ كِرَامٍ أَصُولُهُمْ بِيَهَائِلٍ أَبْطَالٍ كِرَامٍ الْمُنَاسِبِ (٢) .
وَلَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ أَعْتَرَاؤُنَا لَا شَرَفَ بَيْتٍ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ (٣) .
اما الشجاعة والنجدة فمعروفتان في بني حمدان الذين هم دائماً على استعداد لرد كل
مهاجم . ولا ينسى ابو فراس ان يقرن الكرم بالشجاعة حتى عند لقاء العدو
(٢٨٠ : ١ - ٤) .

إِنَّا إِذَا أَشْتَدَّ الزَّمَا نُونَابَ خَطْبٍ وَأَدْلَهُمْ (٤)
أَلْقَيْتَ حَوْلَ يُونَتَنَا عُدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ (٥) ؛
لَلْقَا الْعِدَا بِيضُ السَّيَوِ ف ، وَلِلنَّدَى حَمْرُ النِّعَمِ (٦) ؛
هَذَا وَهَذَا دَائِبُنَا يُوْدَى دَمٌ وَيُرَاقُ دَمٌ (٧) ؛

وبنو حمدان لم يحاربوا العدو الخارجي ، اي الروم فقط ، بل قاوموا الغزبيات
الداخلية في القبائل التي كانت تعيش في ملك بني حمدان الواسع والتي كانت تلتقي
بهم في عمود نسب واحد . وكان بنو حمدان يتألمون لذلك ولكنهم لم يجدوا بداً من
محاربة تلك القبائل وخصوصاً بعد ان انتشرت فيها الدعوة القرمطية (٩ : ١١ - ١٣) .

١ — الاروم جمع أرومة (بفتح الهمزة وضماً) : الاصل

٢ — البهاليل جمع بهلول « بضم الباء » : السيد المتصف بجميع المحاسن . المناسب : أصول القرابة .

٣ — اعتراؤنا : اتسبنا . لؤي بن غالب : جد في نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ — ناب خطب : نزلت مصيبة . ادلهم : اسود « عظمت المصيبة »

٥ — ألفى : وجد . العدد : الاسباب والوسائل . ٦ — حمر النعم : اجود انواع الابل والشاء .

٧ — دأبنا : عادتنا . يودى دم : نعطى ديتة . يراق : يسفك (في الحرب) . نحن دائماً في احد حالين :

مؤاساة او قتال .

فَلَمَّا أَنْ طَفَتْ سُفَهَا كَعْبٍ فَتَحْنَا بَيْتَنَا لِاحْرَبِ بَابَا .
 مَنَحْنَاهَا الرِّغَابَ ، غَيْرَ أَنَا إِذَا جَارَتْ مَنَحْنَاهَا الْجَرَابَا (١) .
 وَلَمَّا تَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَا كَمَا هَيَّجَتْ آسَادُ غَضَابَا .
 ويفتخر أبو فراس بنفسه وبما يتصل بها فخراً كبيراً ، ففضائله كثيرة جداً من
 كرم وشجاعة ونجدة وصبر في الحوادث وثبات في المصائب . هذه الفضائل يبتها من
 ديوانه في قصائد مختلفة . غير أن المقطوعة التي تحمل الرقم ٢٠٦ (ص ٢٥٦—٢٥٧)
 تجمع كثيراً من هذه الصفات في حسن أسلوب ورقة عاطفة . قال أبو فراس :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْفَعَالُ الْجَانِي وَيَجُولُ عَرْشِيَمِ الْكَرِيمِ الْوَافِي .
 لَا أُرْتَضِي وَدًّا ، إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ الْجَفَاءِ ، وَقِلَّةِ الْإِنْصَافِ .
 تَعِسَ الْحَرِيصُ ، وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عَوَضًا مِنَ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْخَافِ .
 إِنَّ الْغَنَى هُوَ الْغَنَى بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَنَازِكِ حَافِي .
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا ، فَإِذَا قَنِتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ .
 وَتَعَافُ لِي طَمَعُ الْحَرِيصِ أَبُوتِي وَمُرُوءَتِي وَفُتُوَّتِي وَعَفَافِي .
 مَا كَثَرَةُ الْخَيْلِ الْجِيَادِ بِزَانِدِي شَرَفًا ، وَلَا عَدَدُ السَّوَامِ (٢) الضَّافِي .
 خَيْلِي ، وَإِنْ قَلَّتْ ، كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الرَّعَافِ (٣) .
 وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ .
 لَا أَقْتَنِي لَصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً ، حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَحْلَافِي .
 شَيْمٌ عَرَفْتُ بَيْنَ مَذَا نَا يَافِعٍ ، وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي .

١ — أحسن إليها كثيراً فلما أصرت على عداوتنا جاربناها .

٢ — الماشية ، الحيوانات التي ترمى .

٣ — الصارم : السيف . القنا : الرماح . الرعاف : الذي يمج دماً ، الذي يسفك الدماء .

وابو فراس يفتخر بأنه شجاع مجرب في الحرب ، ولكنه لا يستطيع ان ينجو من قضاء الله اذا قضى الله عليه بهزيمة او اسر او موت في المعركة . ويفتخر بأنه تغلب على ملوك الروم وقادتهم .

وابو فراس يحب السلم ويكره الظلم (الابتداء بالحرب) فهو يدعو قومه ، اذا شذوا ، الى الرشد والسلم . فان لم ينفع ذلك فيهم اضطر الى حربهم . ثم هو لا يحارب قوماً حتى يقدم بين يديه النذر اليهم ولا يغدر بهم ابداً . واذا حارب قومه خاصة ثم قدر عليهم فك اسراهم وعفا عنهم . وهو ايضاً يفك الاسرى حتى لو كانوا في اسر غيره (١٠ : ١ - ٣ ، ٥٧ : ١ - ٣ ، ١٦٠ : ٣١ ، ٢٣٢ : ١٤ ، ١٨٠ : ١) :

رَدَدْتُ عَلَى بَنِي قَطْنٍ بِسَيْفِي أَسِيرًا غَيْرَ مَرْجُورٍ إِلَّا يَابِ .
سَرَزْتُ بِفِكَهِ حَيِّيْ غُمَيْرٍ وَسُوَّتُ بَنِي رَبِيعَةَ وَالضَّبَابِ .
وَمَا أَبْغِي سِوَى شُكْرِيْ ثَوَابًا وَإِنَّ الشُّكْرَ مِنْ خَيْرِ الثَّوَابِ .
— أَلَا لَيْتَ قَوْمِيْ — وَالْأَمَانِيْ كَثِيرَةٌ —

شُهُودِيْ ، وَالْأَزْوَاحُ غَيْرُ لَوَايِثٍ (١) ،
غَدَاةٌ تَنَادِينِي الْفَوَارِسُ ، وَالْقَنَا تَرُدُّ إِلَى حَدِّ الظَّبَا كُلَّ نَاكِثٍ (٢)
أَحَارِثٌ ، إِنْ لَمْ تُصْدِرِ الرُّمَحَ قَانِيَا وَلَمْ تَدْفَعْ الْجُلَى فَلَسْتَ بِحَارِثٍ (٣)
— وَلَا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي الْنُّذُرُ (٤)

١ — والازواح غير لوابث : تخرج من الابدان « اي كثر القتل »

٢ — تناديني : تستجد بي . والقنا ترد الى حد الظبا كل ناكث : يهرب الغادرون « الاعداء » من الرماح فيقتلون بالسيوف .

٣ — حارث اسم ابي فراس . اذا انت لم تكثر القتل في الاعداء وترد المصيبة فليست ابا فراس المشهور بالشجاعة والتجدة .

٤ — صبح القوم : جاءهم في الصباح . الحي الخلوف : الحي الذي غاب رجاله وبقي فيه النساء .
النذر جمع نذير : التي يحمل الى القوم خبراً سيئاً .

— وَقَدَّمْتُ نُذْرِي أَنْ يَقُولُوا غَدَرْتَنَا ،

وَأَقْبَلْتُ لَمْ أَزْهِقْ وَلَمْ أَتَحِيلْ (١) .

وَلَمَّا أَطَعْتُ الْجَهْلَ وَالْقَيْظَ سَاعَةً دَعَوْتُ بِجِلْمِي : أَيُّهَا الْجِلْمُ ، أَقْبِلْ (٢)

وكذلك لم تذهب هيبة ابي فراس من نفوس خصومه ، حتى في اثناء اسره :
لقد كان الروم يحترمونه ويهابونه وهو في اسرهم ويديهم كما لو انهم هم الذين كانوا
اسرى له (٢٦١ : ٣٠١) :

وَلِلَّهِ عِنْدِي فِي الْإِسَارِ وَغَيْرِهِ مَوَاهِبُ لَمْ يُنْصَبْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي .

إِذَا عَايَنْتَنِي الرُّومُ كَفَّرَ صَيْدُهَا كَأَنَّهُمْ أُسْرَى لَدَيَّ وَفِي كَيْبِي (٣)

حتى مهره كان يعرف له مقامه هذا فيزهي بنفسه اذا كان هو على ظهره (٢٣٠ : ٣٤ - ٣٥) :

وَمُهْرِي لَا يَمْسُ الْأَرْضَ زَهْوًا . كَأَنَّ تَرَابَهَا قُطْبُ النِّبَالِ (٤) .

كَأَنَّ الْخَيْلَ تَعْرِفُ مِنْ عَلَيْهَا ، قَفِي بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ تَعَالِ (٥) .

ويفتخر ابو فراس احياناً بشعره ، فهو شعر محبر يشبه الجبر (اثواب الحرير)
وعقود اللؤلؤ والزبرجد لما هو عليه من رونق وجمال . و ابو فراس يصيب مواقع
الكلام ، سواء اجاء به مبتكراً او معاداً . ولعله كان كثير التنقيح لشعره ، وليس
هذا بمستغرب فانه على المذهب الشامي (٩٢ : ٢٤ ، ١١٨ * : ٦٢) :

هَذِي مُحَبَّرَةٌ يُشَاكِلُ نَظْمُهَا عِقْدًا عَلَيْهِ لَوْلُوٌّ وَزَيْرَجْدٌ .

١ — في حروبي لا اشتط في الظلم ولا احوال . حتى انتصر .

٢ — اطعت جهلي ورضي حيناً فقاتلت القوم اشد القتال ، ثم رجعت الى عقلي فكففت عن قتالهم .

٣ — اذا رأني عظمااء الروم سجدوا لي كأنهم هم الاسرى المقيدون عندي .

٤ — مهري لا يستقر على الارض من خيلاتي كأن الارض تحته تنصب اليها النبال من كل ناحية .

٥ — بعض الخيل تفتخر على بعض كأنها تشع بقيمة من على ظهرها .

— علي لأبكار الكلام وعونه مفاخر تُقْنِيهِ وَتَبْقَى مَفَاخِرُ (١)

٣ — الادب والحكمة

الادب او الحكمة ، في الشعر ، اقوال صائبة يأتي بها الشاعر منشورة في قصائده . على ان بعض هذه الآراء تكون احياناً عامة مجموعة من اختبارات الشعوب وحوادث الايام لا اثر للعنصر الشخصي فيها ، ولا ابتكار او عمق يميزها من غيرها . والحكم عند ابي فراس تلفت النظر لتردها في شعره ، لأن بعضها ينكشف عن اتجاه شخصي في تأمل الحياة . واذا نحن ادر كنا ان ابا فراس عاش معذباً بعداوة اهله حينما كان حراً طليقاً ، وبشاته اعدائه حينما كان اسيراً ، ادر كنا انه قد مر في ادوار من الحياة تصهر النفوس وتستخرج الحكمة من اعماق نفسه المتألمة . ثم يجب ألا ننسى ان ابا فراس عاش في عصر اشتهر بالحكمة ، وانه كان معاصراً للمتنبي وهو الشاعر الحكيم المشهور .

لاي فراس آراء عارضة في الحياة والموت والقضاء والقدر ليس فيها براعة خاصة ولا روعة ، لكثرة ما ترددت في الشعر من قبل ومن بعد (٢٤٢ : ٨ ، ١١٨ : ٤٦ ، ٣٠٧ : ٢٠ ، ٢٦ ، ٣١) :

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَشْهَإْ
— لَعَمْرُكَ مَا الْأَبْصَارُ تَنْقَعُ أَهْلَهَا
حِرْصُ الْحَرِيسِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ (٢)
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ (٣)
— نَصَاحَتُنَا الْأَيَّامُ فِي ثَوْبِ نَاصِحٍ
وَيُخِيلُنَا مِنْهَا عَلَى الْأَمْنِ ، أَرْقَمُ (٤)

١ — ابتكار الكلام : الكلام البكر ، المبتكر . العون جمع عون : الحرب التي حدثت مرة بعد مرة ، والحيوانات التي ولدت مراراً د وهنا : الكلام المردد المعاد ، — مفاخري كثيرة جداً ينتهي الشعر كله ولا تنهي هي .

٢ — ثأرها : ردها . الحرص : البخل بالحياة ، حب المنفعة لنفسنا او لغيرنا .

٣ — البصيرة : التفكير ، العلم ، الفطنة .

٤ — ختل : غدر . اغتال : قتل غيلة . على الامن : ونحن نظن اننا آمنون منها . ارقم : ثعبان .

وَإِنِّي لَغَرٌّ إِنْ رَضِيتَ بِصَاحِبٍ يَيْشٌ وَفِيهِ جَانِبٌ مُتَجَبِّمٌ (١)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى عَلَى حَالَةٍ فَالصَّبْرُ أَرْجَى وَأَحْزَمٌ .
 على ان عدد آمن حكمه يسو الى مرتبة عالية . فيكون موضع استشهاد او ينكشف
 عن فكر عميق (١١٨ : ٢٧ ، ٢٥٧ : ١ - ٢)

عَفَاكَ عَجْزٌ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرٌ .
 — عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِشَرِّهِ م لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ .
 وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ م مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ .
 على ان القسم الاوفر من حكمه يتكشف عن « فكرة عامة واساس واضح » ،
 حتى لكأنه يمثل اتجاهاً فلسفياً مقصوداً لا رأياً صحيحاً عارضاً فقط . لاي فراس في
 الخير والشر ، مثلاً ، رأي يشبه آراء الفلاسفة . ان ابا فراس متشائم يرى ان الناس
 في كل عصر فاسدون : انهم يجهلون طرق الخير والعلو ويعرفون طرق الشر والدناءة .
 ولكن الغريب ان ابا فراس يلزم نفسه ، على الرغم من رأيه الصحيح في الناس ، عمل
 الخير مع انه واثق بأنه لن يجد منهم شكراً على ذلك (٢٣٣ : ٣٣ - ٣٦ ، ١١٩ : ٩ - ٢) :
 لَقَدْ قَلَّ أَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ نَجِماً ، وَأَخْشَى قَرِيباً أَنْ يَقِلَّ الْمَجَامِلُ (٢)
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا قِطْمَةٌ مِنْ زَمَانِهِمْ لَهُمْ وَلَهُ تَحْتَ التُّرَابِ حَبَائِلُ (٣)
 حَرِيُونَ إِلَّا يَعْرِفُوا طُرُقَ الْعَلَا وَلَكِنْ طُرُقَ اللُّومِ فِيهِمْ شَوَامِلُ (٤)
 فَإِذَا عَدُوُّ الزَّمَانِ وَأَهْلُهُ وَإِذَا جَبَانٌ — لَا أَبَا لَكَ — بَاخِلٌ .

١ — الغر : الجاهل الذي لا تجرب له . ييش : يدي لطفاً وحفاوة . متجهم : عابس ، مقطب الوجه .

لا أرضى صديقاً يلاطني في أمور ويعبس في وجهي في أمور أخرى .

٢ — المجمل : الذي يصنع الجميل اجتقاداً . المجامل : الذي يداري الناس ثقافاً او استغلالاً .

٣ — هنالك اسباب مادية « تحت التراب » ؟ تجذب الناس الى الشر . او « موجودة تحت التراب » بحياة
 لاصطياد بعضهم بعضاً .

٤ — من المعقول اذن ألا يعرف الناس الخير ، وان يكون الشر عاماً فيهم . في الاصل : طرق اللوم .

— وما نعمة مشكورة قد صنعتها إلى غير ذي شكر بما نعتي أخرى .
 سأتي جيلًا ما حيت ، فإنني إذا لم أفد شكرًا أفدت به أجرًا (*)
 ومن حكمه البارعة ان الفساد الذي يصلح الفساد ليس بفساد ، اي ان قتل القاتل
 صلاح لأنه يزجر الاشرار عن القتل ويحقق دماء الضعفاء الخيرون (٧٦ : ٤٢) :
 جَزَيْتُ سَفِيهَهُمْ سُوءًا بِسُوءٍ ، فَلَا حَرَجًا أَتَيْتُ وَلَا جُنَاحًا (١) .
 وَلَسْتُ أَرَى فُسَادًا فِي فُسَادٍ يَجْرُ عَلَى فَرِيقَيْهِ صَلَاحًا .
 ولأبي فراس قصيدة في الصداقة والصديق « نعد فنا في هذا الباب » ، ذلك
 لأنها غرض واحد يعالجه الشاعر معالجة شاملة . قال (١٤٣ : ٨ — ١٥٩ — ٢١) :
 وَخَبَرْتُ هَذَا الذَّهْرَ خَبْرَةَ نَاقِدٍ حَتَّى أَلَيْسْتُ بِمُحِيرٍ وَبَشْرِهِ .
 لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَرُّبِ صَاحِبًا إِلَّا وَدِدْتُ بِأَنِّي لَمْ أَشْرِهِ .
 وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ فِي أَرْضِهِ كَالصَّقْرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ .
 أَنْفَقَ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْحَسْ فَقَرَأَ مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ .
 وَأَحْلَمَ وَإِنْ سَفِهَ الْجَلِيسُ وَقُلَّ لَهُ حُسْنُ الْمَقَالِ إِذَا أَتَاكَ بِهِجْرِهِ (٢) .
 وَأَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَبَشْهُمَ بِصَدِيقِهِ فِي يَرِهِ أَوْ جَهْرِهِ .
 لَا خَيْرَ فِي بَرِّ الْقَتَى مَا لَمْ يَكُنْ أَصْفَى مَشَارِبِ بَرِّهِ فِي بَشْرِهِ (٣) .
 أَلْقَى الْقَتَى فَأَرِيدُ فَائِضَ بَشْرِهِ ، وَأَجَلُّ أَنْ أَرْضَى بِفَائِضِ بَرِّهِ (٤) .

١ — الحرج : ضيق الصدر وقلق الضمير . الجناح : الاتم والذنب .

٥ — راجع الجانب الفلسفي من فساد الطبيعة البشرية ، وفعل الخير للخير في كتاب حكيم المعرة للدكتور
 عمر فروخ ، الطبعة الثانية « بيروت ١٩٤٨ » من ٧٥ — ٧٨ و ١٠٢ — ١٠٦ .

٢ — هجر القول : قيحه أو ما فيه استهزاء .

٣ و ٤ — لا أريد خير الرجل اذا كان لا يلقاني بوجه طلق بشوش .

يَا رَبِّ مُضْطَّعِنِ الْقُوَادِ لَقِيْتُهُ بِطَلَاقَةٍ فَسَلَّتُ مَا فِي صَدْرِهِ ۱

ولعل أروع ما لأبي فراس في هذا الباب قوله الذي يدل على اختبار طويل — على قصر عمره هو — وعلى ملاحظة دقيقة وعلم ايضاً ، وذلك قوله (٣٤٠ : ١) :

أَطِيرَتِي بِالصُّدَاعِ نَالَتْ فَوْقَ مَنَالِ الصُّدَاعِ مِنِّي .

هذا القول في الدرجة الاولى يدل على حقيقة ثابتة ، هي ان الصداع يبعث التشاؤم والجزع في المريض . ان الصداع ظاهرة مؤلمة مقلقة لاخطرابات مختلفة الخطورة تبدأ بعسر الهضم وتنتهي بالسل والسرطان . ثم ان قول ابي فراس هذا يمس ناحية نفسية يعالجها الاطباء اليوم اكثر مما يعالجون الامراض نفسها ، اذ يبدو ان هذا القلق المرضي (١) يعرض أصحابه لاخطرابات مستجدة ويضعف مناعة اجسامهم حتى انهم يتقنون احياناً فريسة امراض اشد خطراً من الامراض التي يتوهمونها .

٤ — المدح

إذا كان المدح للتكسب فليس لأبي فراس مديح في احد . واما اذا كان المدح للاعجاب فلا يبي فراس مديح كثير في سيف الدولة وابني سيف الدولة وفي نفر آخرين من بني حمدان . ان أبا فراس يمدح بالشجاعة والنجدة وبالكرم والعلو وبالنسب الثابت البعيد . وهو يقرن نفسه دائماً بالمدوح لأنها ينحدران من اصل واحد ويشتركان في مجد واحد . اما أسلوبه في هذا الباب فهو متين فخيم احياناً مملوء دائماً بالفخر وممزوج بالعتاب المر (١١٨ : ١٣٢ — ١٣٨ ، ١٤١ ، ٤٣١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ — ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٧ — ١٦٩ ، ١٧٨ — ١٧٩ ، ١٨٨) :

أَلَا قُلْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرَمِ (١) إِنِّي

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ وَصْفِكَ قَادِرٌ .

1) — phobia, phobie .

٢ — السيد الماجد .

فَلَا تُلْزِمَنِي خُطَّةً لَا أُطِيقُهَا ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فُخْرِي وَفُخْرُكَ وَاحِدًا
وَلَكِنِّي لَا أَعْضِلُ الْقَوْلَ عَنْ فَتَى
وَعَنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ مَضَتْ وَمَوَاقِفٍ
مَسَاعٍ يَضِلُّ الْقَوْلُ فِيهِمْ جَهْدُهُ
بَنَاهُنْ بَابِي الثَّغْرِ وَالثَّغْرِ دَارِسٌ ،
وَشَقَّ إِلَى ثَغْرِ الدُّمُسْتَقِ جَيْشُهُ
وَبَاتَ يُدِيرُ الرَّأْيَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
فَلَا هُوَ فِيهَا سَرٌّ مُتَطَاوِلٌ ،
فَلَمَّا رَأَى الْإِخْشِيدُ مَا قَدْ أَظْلَهُ
وَلَمَّا وَرَدْنَا الدَّرْبَ وَالرُّومَ فَوْقَهُ ،
ضَرَبْنَا بِهَا عُرْضَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا

فَمَجْدُكَ غَلَابٌ ، وَفَضْلُكَ بَاهِرٌ .
لَمَّا سَارَ عَنِّي بِالْمَذَاحِ سَائِرٌ .
أَسَاهِمٌ فِي عِلْيَانِهِ وَأَشَاطِرُ (١) .
مَكَانِي فِيهَا بَيْنَ الْقَوْلِ ظَاهِرٌ .
وَتَهْلِكُ فِي أَوْصَافِهِنَّ الْخَوَاطِرُ (٢) .
وَعَامِرُ دِينِ اللَّهِ وَالِدَيْنِ دَائِرُ (٣) .
بِأَرْضِ سُلَامٍ وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ (٤) .
وَذُو الْحَزْمِ نَاهِيهِ ، وَذُو الْعَزْمِ أَمِيرُ .
وَلَا هُوَ فِيهَا سَاءٌ مُتَقَاصِرُ .
تَلَافَاهُ يَثْنِي غَرْبَهُ وَيُكَاشِرُ (٥) .
وَقَدَّرَ قُسْطَنْطِينُ أَنْ لَيْسَ صَادِرُ (٦) .
تَسِيرُ بِنَا تَحْتَ السُّرُوجِ جَزَائِرُ (٧) .

- (١) عضل : منع ، ترك — لا أضن على سيف الدولة بذكرى قتت أنا معه بتخليدها .
(٢) مهما كثر القول لا يوفيها حقها ولا يستطيع الخيال أن يحيط بها .
(٣) الثغر : المكان الذي يخشى منه جحى العدو برأ أو بحرأ — وهو هنا البلاد التي كان يجتازها الروم للوصول إلى شمالي الشام .
(٤) الدمستق : قائد جيش الروم . سلام : مكان وقعت فيه المعركة المذكورة سنة ٣٢٦ هـ — كان عمر أبي فراس في ذلك الحين ست سنوات .
(٥) وقعت بين الأخشيد « محمد بن طنج المستبد بامر مصر » وبين سيف الدولة حروباً كانت سجلاً .
ثم طلب الأخشيد الصلح فأجابه سيف الدولة إلى طلبه .
(٦) الدرب : عمر بين سورية وآسية الصغرى يعرف اليوم باسم مضيق ييلان ، وكان قسطنطين بن الدمستق قد أحاط به جيش سيف الدولة ، ثم نجا الجيش من التطويق .
(٧) بها : بالخليل — أي سبجنا بالخليل في الفرات .

وَحَسْبِي بِهَا يَوْمَ الْأَحْيَادِ وَقَعَةٌ عَلَى مِثْلِهَا فِي الْعِزِّ تُثْنَى الْخَاصِرُ (١)
عَدَلْنَا بِهَا فِي قِسْمَةِ الْمَوْتِ يَتَنَّهُمْ وَالسَّيْفُ حُكْمٌ فِي الْكُتَيْبَةِ جَائِرُ
إِذِ الشَّيْخُ لَا يَلْوِي وَتَقْفُورُ مُجَجَّرُ

وَفِي الْقَيْدِ أَلْفُ كَالْيُوثِ ، قَسَاوِرُ (٢) .
شَرَيْنَا وَبِعْنَا بِالسُّيُوفِ نُفُوسَهُمْ وَنَحْنُ أَنْاسُ بِالسُّيُوفِ نَتَّاجِرُ .
وَصُنَّا نِسَاءً ، نَحْنُ أَوْلَى بِصَوْنِهَا ، رَجَعْنَ وَلَمْ تُكْشَفْ لَهُنَّ سَتَائِرُ .
بِنَا وَبِكُمْ يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ يَطُولُ بِنَا أَعْمَامُنَا وَيُفَاخِرُ ١
ومدح أبو فراس ابني سيف الدولة ، أبا المكارم وأبا المعالي ، وحرص على أن
يتنبأ لهما بمستقبل عظيم لمكانهما من أبيهما سيف الدولة ومن جديهما : جدهما لأبيهما أبي
الهيضاء عبدالله وجدهما لامها أبي العلاء سعيد ، والد أبي فراس (لأن أبا فراس
خالهما) . ولا ريب في أن من تحكم الزمن أن يسقط أبو فراس صريعاً في حرب نازع
فيها أبا المعالي على الملك . قال أبو فراس (٢٨٥ : ٢ - ٦٤٤) :

تُنْبِي الْفَرَاثَةَ أَنَّ فِي ثَوْبَيْتَيْهَا لَيْثَيْنِ تَجْتَبِ أَلْيُوثُ جَاهِمَا .
لَمْ لَا يَفُوقَانِ الْأَنَامَ مَكَارِمًا وَالسَّيْدَانِ كِلَاهُمَا جَدَاهُمَا ؟
تَلْقَى أَبَا الْهَيْجَاءِ فِي هَيْجَاهُمَا وَيُرِيكَ فَضْلَ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَاهُمَا .
مَرَّزَتْ بَيْنَهُمَا فَلَمْ تَفَاضِلَا كَالْفَرَقْدَيْنِ تَشَا كَلَّتْ حَالَاهُمَا .
وكذلك مدح أبو فراس ابن عمه أبا زهير مهمل بن نصر بن حمدان . ولأبي فراس
في أبي زهير هذا اشعار كثير ، منها (٣٠٥ : ٢٦ - ٣١) :

(١) الاحيدب اسم جبل حدثت عنه معركة بين الروم وسيف الدولة سنة ٢٤٣ هـ « ٩٥٤ م » . انصرف

فيها سيف الدولة وأسر من الروم عدداً من وجوههم .

(٢) حرب الشيخ « برداس فوقاس » أحد قواد الروم وقريب تقفور . تقفور : قائد الجيش البيزنطي ، أصبح

فيما بعد امبراطوراً .

أخي وأبن عمي ، يا أبن نصر ، نداء من
أقيمت . أطول الهجر منك ما ثمة .
أودك ودا لا الزمان يُبدده ، ولا التأني يُفنيه ، ولا الهجر صارمة .
ولودمت يوماً أن تريم صبا بتي إليك إزال الشوق ما أنا رائحة (١)
فواعجبا للسيف لما انتضيت من الجفن ، لم يورق بكفك قائمة (٢)
وواعجبا للطرف ، لما ركبته غداة الوغى كيف استقلت قوائم (٣)
يلت : — إذا ما أليت حاد عن الوغى —
وغيث — إذا ما النيت أكدت سواجه (٤)

٥ — الرثاء

ابو فراس شاعر وجداني رقيق ، من اجل ذلك نتظر ان يكون الرثاء عنده
كثيراً رقيقاً . ولكن الواقع ان الرثاء عنده قليل لا يزيد في ديوانه على مائة بيت .
واكثر تلك الابيات عادية جداً . ولكن له في هذا الباب مرثية جديدة بعث بها الى
سيف الدولة من الاسر يعزيه باخته . بهذه القصيدة في الحقيقة تعزية لسيف الدولة باخته
اكثر منها رثاء في الميتة . ولقد سلك ابو فراس في هذه المرثية مسلكاً روحياً هامياً .
ومع ذلك كله فالأبيات الجياد فيها قليلة جداً لعلها لا تتجاوز اربعة ابيات : الاول
والرابع ثم السابع والحادي عشر (١١ : ٧٩) :

- (١) لو أردت ان يعيل وجه حبي عنك لغلبي شوقي إليك وأبطل إرادتي .
- (٢) الجفن : غمد السيف . — ان كرمك العظيم كان يجب ان يجعل السيف يورق في كفك (مع ان
السيف حديد لا يورق)
- (٣) الطرف : الفرس الكريم . استقلت قوائمه : ثبت .
- (٤) أكدت سواجه : قلت أمطاره .

أوصيك بالحزن ، لا أوصيك بالجلد ،

جلُّ المصائب عن التعنيف والفند (١).

إني أجلك أن تكفى بتعزية عن خير مُفتقد ، يا خير مُفتقد .

هي الرزية إن ضئت بما ملكت منها الجفون فما تسخو على أحد .

بي مثل ما بك من حزن ومن جزع (٢)

وقد لجأت إلى صبر فلم أجِد .

لم ينتقصني بعدي عنك من حزن ، هي المواساة في قرب وفي بُعد (٣)

لا شر كنت في الأواء إن طرقت كما شر كنت في النعماء والرغد (٤)

أبكي بدمع له من حسرتي مدد وأستريح إلى صبر بلامدد (٥)

ولا أسورغ نفسي فرحة أبدأ وقد عرفت الذي تلقاه من كد .

وأمنع الثوم عيني أن يُلم بها علماً بأنك موقوف على السهد .

يا مفرداً بات يبكي لا معين له ، أعانك الله بالتسليم والجلد .

هذا الأسير المبقى ، لا فداء له ، يفديك بالنفس والأهلين والولد .

ولكن يبدو أن أبا فراس عاد يهون المصيبة على سيف الدولة ، فسلك إلى غايته

(١) الجلد : التعصير ، التظاهر بالصبر في المصائب . التعنيف : اللوم . الفند : ذهاب العقل ، والمقصود هنا

التفند : اللوم على مقارنة ما يقضي به العقل . — يقول : المصيبة كبيرة جداً لا يلام المرء فيها مهما فعل بنفسه من الحزن .

(٢) الجزع : قلة الصبر ، قلة احتمال المصائب .

(٣) ومع أنني أسير وحزين على نفسي فإن ذلك كله لم يمنعني من أن أكتب إليك أعزبك ، كما كتبت أعزبك لو أنني كنت موجوداً بقربك .

(٤) الأواء : الشدة .

(٥) ان عظم المصيبة جعل حزني لا ينفد ولكن جعل صبري ينفد .

في هذه المرة سبيلا مادية وقال له : لا بد لكل حي من ان يموت . فيجب اذن ان
ترضى بأنك بقيت بعد اختك يعزيك الناس بها ، ولم تمت انت فيعزيها الناس بك
(٨٠ : ١ - ٣) :

قَوْلَا لِهَذَا السَّيِّدِ الْمَاجِدِ قَوْلَ حَزِينٍ مِثْلَهُ وَاجِدِ :
هَيْهَاتَ ، مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالِدٍ ، لَا بُدَّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِدٍ .
كُنْ الْمَعْرَى لَا الْمَعْرَى بِهِ ، إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْوَاحِدِ 1

٦ - التشيع

التشيع عنصر بارز في شعر ابي فراس ، سبقت الاشارة اليه في باب « عناصر
شخصيته » وفي باب « خصائصه الفنية » . ولكن بروز هذا العنصر في ديوان الشاعر
وكثرة المقطعات المخصصة به تبرر جعله فنا مستقلا من فنون هذا الباب .

كان موقف ابي فراس في التشيع يخالف موقف الحمدانيين . ان الحمدانيين كانوا
على المذهب الشيعي ولكنهم كانوا على ولاء للعباسيين تضامناً معهم في موقفهم السياسي
تجاه الروم . ثم ان الحمدانيين ، كما رأينا في « صورة العصر » ، كانوا أميل الى تحقيق
اغراضهم السياسية منهم الى الاستماتة في سبيل مذهبهم . اما ابو فراس فلم يقم وزناً
للاعتبارات السياسية ، بل اطلق العنان لعاطفته فلم يكتف بان يمدح آل البيت ويفتخر
بالانتماء اليهم ، بل راح يعرض ببني العباس ويجعل جرمهم في مناوئة بني علي فوق
جرم بني أمية .

وابو فراس في « شيعياته » القليلة يأسى لما أصاب آل البيت ويصف حالهم وما
لاقوه من الظلم ، ثم يتوعد بني العباس وينعى عليهم فسقهم ويعدد غدراتهم بالطالبيين .
ومن المقطعات المشهورة لأبي فراس في هذا الباب مقطعته التي يتوسل فيها بالائمة
(٣٥٥ : ١ - ٧) :

لَسْتُ أَزْجُو النَّجَاةَ مِنْ كُلِّ مَا أَخْشَاهُ إِلَّا بِأَتَمِّهِ وَعَلِيٍّ (١) ،
وَبَيْتِ الرَّسُولِ فَاطِمَةَ الطُّهْرِ وَوَسِيطِيهِ وَالْإِمَامَ عَلِيٍّ (٢) ،
وَالْتَّقِي النَّقِيَّ بَاقِرَ عِلْمِ اللَّهِ فِينَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ ،
وَأَيْنِهِ جَعْفَرُ وَمُوسَى وَمَوْلَا أَكْرَمَ بَيْتِهِ مِنْ عَلِيٍّ (٣) ،
وَأَبِي جَعْفَرٍ سَيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ أَيْنِهِ الزَّكِيُّ عَلِيٌّ ،
وَأَيْنِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ حَقِّي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (٤) ،
فِيهِمْ أَرْتَجِي بُلُوغَ الْأَمَانِي يَوْمَ عَرْضِي عَلَى مَلِكِ عَلِيٍّ (٥) .

أما حملته على بني العباس فمبسوطة في القصيدة التي نأخذ منها الآيات التالية
(٢٨٣: ١٠٧٥-١١٩-١٤١٢-١٩١٧-٣٤٣٠، ٣٥٣٥-٤٧٣٥-٥٠٤٨-٥٦٥٤-٥٩) . كان أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة المتوفى سنة
٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) قد عمل قصيدة يفاخر فيها ولد أبي طالب وينتقص ولد علي . فلم
يورد عليه أبو فراس ، ولكن عمل القصيدة التالية في مدح آل البيت :

الدِّينُ مُحْتَرَمٌ وَالْحَقُّ مُهْتَضَمٌ ، وَفِي آلِ رَسُولِ اللَّهِ مُقْتَسَمٌ (٦)
يُصَانُ مُهْرِي لَا مَرٍ لَا أَبُوحُ بِهِ ، وَالذَّرْعُ وَالرَّمْحُ وَالصَّطَامَةُ الْحَذَمُ ،
وَفِتْيَةُ قَلْبِهِمْ إِذَا رَكِبُوا يَوْمًا ، وَرَأْيُهُمْ رَأْيٌ إِذَا عَزَمُوا (٨)

- (١) أحمد : محمد رسول الله . علي : علي بن أبي طالب .
(٢) السبطان : الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب . الإمام علي : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
المعروف بزين العابدين .
(٣-٦) محمد الباقر ، ثم جعفر الصادق ، ثم موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثم علي الرضا ، ثم أبو جعفر
محمد الجواد . ثم علي الهادي ، ثم الحسن العسكري ، ثم محمد المنتظر .
(٧) الدين متروك والحق مقتصب ، والآثر الذي تركه محمد رسول الله للريته اقتسمه العباسيون فيما بينهم
(٨) قلبهم قلب واحد ورأيهم رأي واحد ، كناية عن اجتماعهم في أمورهم .

يَا لِلرِّجَالِ ! أَمَا لِلَّهِ مُنْتَصِفٌ
 بَنُو عَلِيٍّ رَعَايَا فِي دِيَارِهِمْ ،
 فَلَا رِضٌ إِلَّا عَلَى مُلَّاكِهَا ، سَمَةٌ ،
 وَمَا السَّعِيدُ بِهَا إِلَّا الَّذِي ظَلَمُوا ،
 لَا يُطْفِئِينَ بَنِي الْعَبَّاسِ مُلْكُهُمْ ،
 أَتَفْخِرُونَ عَلَيْهِمْ ؟ - لَا أَبَا لَكُمْ -
 وَمَا تَوَازَنَ يَوْمًا بَيْنَكُمْ شَرَفٌ ،
 وَلَا لَكُمْ مِثْلُهُمْ فِي الْمَجْدِ مُتَّصِلٌ ،
 قَامَ النَّبِيُّ بِهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ لَهُمْ ،
 حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا
 وَصِيرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كَأَنَّهُمْ
 تَالَهُ ، مَا جَهَلَ الْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا ،
 ثُمَّ أَذْعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِذْ تَهُمُ ،

مِنَ الطُّغَاةِ ؟ أَمَا لِلدِّينِ مُنْتَقِمٌ ؟
 وَالْأَمْرُ تَمَّاكُهُ النَّسْوَانُ وَالْخُدَمُ !
 وَالْمَالُ إِلَّا عَلَى أَزْبَابِهِ دِيمٌ .
 وَمَا الثَّنِيُّ بِهَا إِلَّا الَّذِي حَرَمُوا .
 بَنُو عَلِيٍّ مَوَالِيَهُمْ وَإِنْ زَعَمُوا .
 حَتَّى كَانَ رَسُولَ اللَّهِ جَدُّكُمْ .
 وَلَا تَسَاوَتْ بَكُمْ فِي مَوْطِنٍ قَدَمٌ .
 وَلَا لِحَدِّكُمْ مِمْشَارُ جَدِّهِمْ .
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاكُ وَالْأُمَمُ (١)
 بَأَنَّ تَنَازُعَهَا الذُّوْبَانَ وَالرَّخْمَ (٢)
 لَا يَعْرِفُونَ وَلَاةَ الْحَقِّ أَتَيْهِمْ (٣)
 لَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا
 وَمَا لَهُمْ قَدَمٌ فِيهَا وَلَا قَدَمٌ (٤)

(١) يرى الشيعة إن الرسول أوصى لعلي بن أبي طالب بالخلافة يوم غدير خم .

(٢) « غير صاحبها » إشارة إلى أبي بكر وعمر وثمان الذين تولوا الخلافة قبل علي . تنازعها الذُّوْبَانُ والرَّخْمُ : تنازع الخلافة الأقوياء [الذُّوْبَانُ] والضعاف [الرَّخْمُ] . الرَّخْمُ من ضعف الطير .

(٣) « وصيرت بينهم شوري » ، أي الخلافة ، إشارة إلى أن عمر بن الخطاب لما طعنه أبو ثلوة عين ستة نفر من الصحابة بينهم علي بن أبي طالب ثم جعل الخلافة شورى بينهم علي أن يتفقوا على واحد منهم يولونه إياها . ثم يقول أبو فراس : كأن عمر لا يعرف أن علياً هو صاحب الحق فيها .

(٤) ادعى الخلافة فيما بعد بنو العباس ، مع أنه ليس لهم عمل مجيد يخولهم الخلافة ، ولا كانت

لاسلافهم من قبل .

هَلْ جَاحِدٌ، يَا بَنِي الْعَبَّاسِ، نِعْمَتُهُ :
 لَا بَيْعَةَ رَدَعْتَكُمْ عَنْ دِمَائِهِمْ ،
 مَا نَالَ مِنْهُمْ بَنُو حَرْبٍ، وَإِنْ عَظُمَتْ
 كُفْرُ غَدْرَةٍ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَاضِحَةٌ
 أَيْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا لَكَّةُ :
 أَيُّ الْمَفَاجِرِ أَمْسَتْ فِي مَنَائِرِكُمْ ،
 يَا بَاعَةَ الْخَمْرِ كُفُّوا عَنْ مَفَاجِرِكُمْ
 خَلُّوا الْفَخَّارَ لِعَلَّامِينَ إِنْ سُئِلُوا
 لَا يَفْضُبُونَ لَعْنِ اللَّهِ إِنْ غَضِبُوا ،
 تَبْدُو التِّلَاوَةَ مِنْ آيَاتِهِمْ أَبَدًا ،
 مِنْكُمْ عُلْيَةُ أَمْ مِنْهُمْ ؟ وَكَانَ لَكُمْ
 إِذَا تَلَّوْا سُورَةَ غَنَى إِمَامِكُمْ :
 مَا فِي دِيَارِهِمْ لِلْخَمْرِ مُعْتَصِرٌ ،
 أَبُوكُمْ أَمْ عُبَيْدُ اللَّهِ أَمْ قَتْمٌ (١)
 وَلَا تَيْمِينَ وَلَا قُرْبَى وَلَا ذِمَّةً .
 تِلْكَ الْجَرَائِرُ إِلَّا دُونَ نَيْلِكُمْ .
 وَكَمْ دَمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ؟
 لَا تَدْعُوا مُلْكَهَا ، مُلَّاكُهَا الْعَجَمُ (٢)
 وَغَيْرُكُمْ أَمْرٌ فِيهِنَّ مُحْتَكِمٌ ؟
 عَنْ فِتْيَةٍ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ دَمٌ .
 يَوْمَ السُّؤَالِ ، وَعَمَّا لَيْنَ إِنْ عَلِمُوا !
 وَلَا يُضِيعُونَ حُكْمَ اللَّهِ إِنْ حَكَّمُوا !
 وَفِي بُيُوتِكُمْ الْأَوْتَارُ وَالنَّعْمُ .
 شَيْخُ الْمُغْنَيْنِ إِبْرَاهِيمُ أَمْ لَهُمْ ؟ (٣)
 « قِفْ بِالْذِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ » (٤)
 وَلَا بُيُوتَهُمْ لِلسَّوْدِ مُعْتَصِمٌ .

(١) إشارة إلى إن علي بن أبي طالب لما تولى الخلافة، ولي عبد الله بن العباس على البصرة وعيّد الله بن العباس على اليمن ، وقتم بن العباس على الحرمين . فلا يجوز لبني العباس أن يجهدوا فضل علي فيظلموا أبناءه .

(٢) مألّكة : رسالة . الملك ليس لكم الآن ، يا بني العباس ، بل للعجم (راجع صورة العصر: أميرالامراء) .

(٣) عليّة بنت المهدي كانت عوادة ماهرة (تعرف على العود) واخوها إبراهيم كان مغنياً . — يقول أبو فراس : ان المغنين والمغنيات كانوا من بني العباس لا من بني علي .

(٤) ينما يكون بنو علي قاتمين في صلواتهم وترتيلهم للقرآن يشتغل خلفاء بني العباس عن العبادة بالثناء . الشعر الثاني مقتبس من مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى .

وَلَا تَبِيتُ لَهُمْ خُشْيَ تَنَادِيهِمْ . وَلَا يُرَى لَهُمْ قِرْدٌ لَهُ حَشَمٌ (١)
الرُّكْنُ وَالْبَيْتُ وَالْأَسْتَارُ مَنَزَلُهُمْ . وَزَمْزَمٌ وَالصَّفَا وَالْحَجَرُ وَالْحَرَمُ (٢)
ولابي فراس في مدح آل علي والتعريض ببني امية وبني العباس قصيدة اخرى
(رقم ٣٤٥) يصف فيها مقتل الحسين في كربلاء .

٧ - العتاب

العتاب قسمان : عتاب للمحبوب وعتاب لئروساء الذين يحرص الشاعر على استدامة
برهم اليه اما من عطف او من عطاء . والشعراء فيما يتعلق بالعتاب ايضا فرقان : منهم
الذين يحسنون العتاب ويسلكون فيه سبيلا دمثا ويتحكمون في عواطفهم فيستميلون
اليهم الذين يعاتبونهم . من امثال هؤلاء الشعراء البحتري ، وعتاب هؤلاء على الحقيقة
قسم من المديح . ومن الشعراء من لا يحسن العتاب فاذا عاتب نفر الذين يخاطبهم منه
وزادهم تأيا بجانبهم عنه . وهؤلاء كثار منهم بشار وابن الرومي وابو فراس ، وعتاب
هؤلاء اقرب الى ان يكون تقريرا او هجاء .

ومع ان عتاب ابي فراس يجب ان يأتي مع « رومياته » ، فاننا نقسح هنا له
مجالا محدودا .

(١) ليس لأبي فراس عتاب بارع الى المحبوبين : إنه يشكو فقط ثم يقارن وفاءه
هو وصبايته بغدر المحبوب او قلة مبالاته . وربما عطف الى إستعارة او موازنة موفقة
ولكنها بعيدة عن العاطفة . قال ابو فراس (رقم ٢٧٠) :

لَيْتَ حَظِّي مِنَ الْحَبِيبِ جَزِيلٌ مِثْلَمَا حَظُّهُ لَدَيَّ جَزِيلٌ .
إِنْ يَكُنْ خَصْرُهُ يَزِيدُ نُحُولًا فَيَجْسَمِي عَلَيْهِ اِيضًا نُحُولٌ .
وَإِذَا مَا مَدَدْتُ طَرْفِي إِلَيْهِ عَادَ طَرْفِي إِلَيَّ وَهُوَ كَلِيلٌ .

(١) (ظاهر البيت تعريض واضح ببني العباس ، اما الاشارات المعينة فلم اتوصل اليها) .

(٢) الركن : جانب الكعبة حيث الحجر الامود . البيت : الكعبة . الأستار : أستار الكعبة ، فان الكعبة
تكسى في كل عام نسيجا . زمزم : البئر التي عند الكعبة . الصفا : ميقات (مشهد ، صخرة) يسعى
الحجاج بينها وبين المروة . الحجر : مكان قرب الكعبة اختلف الرواة في تحديده .. الحرم : المكان
الذي يضم الكعبة ومسجد مكة . يقول ابو فراس : كل هذه لآل علي وليس لكم منها شيء .

قال لي ، إذ شكوت يوماً إليه : « كل ما تشكيه عندي قليل » .

وقال ايضاً وهو اقرب الى العتاب وفيه شيء من العاطفة (رقم ٣٠٩) :

هيه أساء كما زعمت ، فهب له وأرحم تضرعه وذلل مقامه .

بالله ربك ، لم فتكت بصبره ونصرت بالهجران جيش سقامه !

فرقت بين جفونه ومنايه وجمعت بين نحوله وعظامه .

ولأبي فراس بيتان لا تستشعر فيها عاطفة وعتاباً بقدر ما ترى فيها تكلفاً في طلب المقارنة بين ذنب المحبوب وهو يغزو جسم الشاعر بجيش حبه وبين أجره وهو يغزو الروم . (رقم ٣١٣) :

أيها الغازي الذي يه

ما يقوم الأجر في غز

زو بجيش الحب جسمي ،

وك الروم بأثمي .

يقول له : ان جميع حسناتك من جهادك في بلاد الروم لا توازي الذنب الذي تكسبه من تعذيبي بحبك .

ب) اما عتاب ابي فراس لقومه : لسيف الدولة ولسائر بني حمدان فهو أبرز ما في ديوان الشاعر . وقد رأينا شيئاً من هذا العتاب في غزله وسنرى شيئاً كثيراً منه في باب الاخوانيات وفي المختار من شعره في آخر هذه الدراسة . ان أكثر عتاب ابي فراس لقومه كان لأنهم تقاعسوا عن اقتدائه حينما كان أسيراً ببلاد الروم . ويدور عتابه حينئذ حول تذكيرهم بمقامه في حروبهم والدفاع عنهم وبوفائه لهم وبما تقتضيه القرابة والمروءة ومصلحة الاسرة والعرب ومصلحة المسلمين . وهو في ذلك كله يحاذر ان يغضبهم ، بل يتلطف في استرضائهم والتنبية على الخطأ الفادح الذي ربما نتج من سوء معاملتهم له . قال وقد بلغه عن قوم من اهله كراهية خلاصه من الاسر (رقم ٨٩) :

تنتيم ان تفقدوني ، وإنما تنتيم ان تفقدوا ، العز أصيدا

أَمَا أَنَا أَعْلَى مِنْ تَعْدُونِ هَيْهَ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُصْبَةَ مِنْ عَشِيرَتِي
وَإِنْ حَارَبُوا كُنْتُ الْمَجْنُ أَمَامَهُمْ
وَإِنْ نَابَ خُطْبٌ أَوْ أَلْتُ مُصِيبَةً
يَوْدُونَ أَلَا يُبْصِرُونِي ، سَفَاهَةٌ ،
فِعَالِي لَهُمْ — لَوْ أَنْصَفُونِي — جَمَالُهَا ،
فَلَا تَعِدُونِي نِعْمَةً ، ثُمَّ غَدَتِ
وَإِنِّي بِخَيْرٍ إِنْ لَقِيتُ بِهِمْ فَتَى

وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْ تَعْدُونِ مَوْلَدًا
يُسَيِّتُونَ لِي فِي الْقَوْلِ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
وَإِنْ ضَارَبُوا كُنْتُ الْمُنْدُ وَالْيَدُ
جَعَلْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ فِدَا
وَلَوْ غَبْتُ عَنْ أَمْرِ تَرَكَتُهُمْ سَلَى
وَحَظِّي لِنَفْسِي الْيَوْمَ ، وَهُوَ لَهُمْ غَدَا
فَأَهْلِي بِهَا أَوْلَى وَإِنْ أَصْبَحُوا عِدَا
كَرِيمًا مُطَاعًا ، فِي الْعَشِيرَةِ سَيِّدَا .

وهناك عتاب لسائر بني حمدان ولغير بني حمدان أيضاً لا يخرج عن نطاق هذه الآراء ولا عن هذا الاتجاه في دفاع أبي فراس عن نفسه وإظهار مناقبه .

٨ — الهجاء

يذكر أبو فراس أنه لا يقول في الهجاء (٨ : ٤) . وكذلك ذكر النقاد والدارسون أن أبا فراس كان ، لقاءه من أهل الملك ولبيكاته في بلاط سيف الدولة ، يترفع عن التعرض للناس بمديح أو هجاء لأن ذلك لا يليق بأمير . ونحن إذا تصفحنا ديوان أبي فراس لم نجد فيه هجاء من هجاء المتكسبين أمثال الثابتة والاختن والفرزدق ويشار وابن الرومي ، ولكننا نجد فيه هجاء واضحاً في خصومه من الروم ومن القبائل العربية التي كانت ضاربة في الجزيرة ، وفي بني أمية وبني العباس ، وفي خصومه من الشعراء وغيرهم تلويحاً أو تصريحاً .

أما شعره في الشيطمي الشاعر فهو هجاء عادي لا مفر من عده فيه في صف بشار وابن الرومي مثلاً (رقم ٤٢) :

في الشَّيْظِي غَثَاثَةٌ وَخَسَّاسَةٌ ، فَإِذَا أَدْرَتْ الْكَفَّ فِيهِ تَهْذُبًا (١)
 كَأَلْطَبِلٍ لَيْسَ بِمُطْرِبٍ ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ الْإِطَامُ بِجَانِبَيْهِ أَطْرَبَا (٢)
 ومثل هذا هجاءه لمحمد بن رائق أحد رجال الدولة العباسية ومن خصوم الحمدانيين
 (١١٨ * : ١٢٣) :

وَلَمَّا طَفَى عِجْلُ الْعِرَاقِ ابْنُ رَائِقٍ شَفَى مِنْهُ لَا طَاغَ وَلَا مُتَكَاثِرٌ .
 وكان ابن رائق يعد مكيدة للقتك بناصر الدولة (ابن عم ابي فراس) ولكن ناصر
 الدولة عرف بالمكيدة وقتك هو بابن رائق .

وكذلك له هجاء شخصي وقبلي معاً صبه على الروم . اتفق مرة ان جرت مناظرة
 بين ابي فراس وبين الدمستق (امير الجيش البيزنطي) ، يوم كان ابو فراس في الامر
 على ما يظهر ، فقال له الدمستق : « اغا اتم (العرب) كتاب اصحاب أقلام ، ولستم
 باصحاب سيوف ، ومن أين تعرفون الحرب ؟ » فقال له ابو فراس : « أثرانا نطأ
 أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالاقلام ؟ » . وفي هذا يقول ابو فراس (٢٤ :
 ١ - ٧ ، ١٤ - ١٨) :

أَتَرَعُمُ ، يَا ضَنَمَ اللَّغَادِيدِ ، أَفْنَا -
 وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ - لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا (٣) ؟
 فَوَيْلَكَ ، مَنْ لِلْحَرْبِ إِنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا ،
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْسِي وَيُضْحِي لَهَا تَرْبَا (٤) ؟

(١) الغث : الفاسد ، قليل العقل ، ناقص القدر . ادوت الكف فيه : ضربته مراراً (عاقبه) .

(٢) الإطام : الضرب .

(٣) اللغاديد : اقسام اللحم المترهلة بين الذقن والحجرة .

(٤) الترب : الذي له مثل عمرك . يقول : نحن اقرب للحرب ، تربينا معها وعمرنا كعمرها .

وَمَنْ ذَا يَلْفُ الْجَيْشَ مِنْ جَنَابَتِهِ

وَمَنْ ذَا يَقُودُ الشَّمَّ أَوْ يَصْدُمُ الْقَلْبَا (١) ؟

وَوَيْلَكَ، مَنْ أَرْدَى أَخَاكَ بِمَرْعَشٍ . وَجَلَلَ ضَرْبًا وَجْهَهُ وَالِدِكَ الْعَضْبَا (٢) ؟

وَوَيْلَكَ مَنْ خَلَّى ابْنَ أَخِيكَ مُوْتَقَاً . وَخَلَّاهُ بِاللَّقَّانِ تَبْتَدِرُ الشَّعْبَا (٣) ؟

أَتُوَعِدُنَا بِالْحَرْبِ حَتَّى كَأَنَّا . وَإِيَّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِهَا قَلْبُنَا عَضْبَا (٤) ؟

لَقَدْ جَمَعَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ ، فَكُنَّا بِهَا أَشْدَّ وَكُنْتَ بِهَا كَلْبَا (٥) ؟

بِأَقْلَامِنَا أَجَحِرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا ،

وَأَسَدَ الشَّرِّ قُنْدَنَا إِلَيْكَ أَمْ الْكُتْبَا (٦) ؟

تَرَكْنَاكَ فِي بَطْنِ الْفَلَاةِ تَجُوبُهَا . كَمَا انْتَفَقَ الْيَرْبُوعُ يَلْتِمُ التُّرْبَا (٧) ؟

تُفَاخِرُنَا بِالطَّمَنِ وَالضَّرْبِ فِي الْوَغَى

لَقَدْ أَوْسَعَتْكَ النَّفْسُ ، يَا ابْنَ أَسْتِهَا ، كِذْبَا (٨) ؟

(١) يقود الشم : يأتي بجيش من الابطال . القلب : قلب الجيش ، الجزء الاساسي منه . « يصدم القلب »

اشارة الى كثرة العدد والشجاعة .

(٢) العضب هنا لا تتفق مع معانيها الواردة في القاموس . ولعله يقصد : الجاف ، القبيح .

(٣) ابتدر الشعب : سبق الآخرين الى الطريق [الهرب] .

(٤) ربطت فيها قلوبنا الى قلوبكم « اختبرناها معاً » .

(٥) « من قبل هذه » تدل على انه كان في الاسر . قبل « هذه » الحرب كنا نتصر عليكم ، في « هذه » انهزمنا فاسرت انا .

(٦) الجحر : الشق الذي يسكنه الضب واليربوع والحية .. أجحر (فعل ماضي مبني للمجهول) : دخل ببحره واستتر فيه من خوف . الشرى : الجبل . والشرى ايضاً طريق في جبل سلمى بنجد كثير السباع (يقصد : المقاتلين الشجعان) .

(٧) اليربوع : الفأر البري . النفق (بفتح فتح) : ثقب في الارض لليربوع . انتفق : دخل النفق . « يلتئم التراب » : يصطدم وجهه بالتراب على غير وعي منه لشدة خوفه .

(٨) « ابن استها » : كناية الدنس في الولادة . كذبتك نفسك : داخلها الغرور .

رَعَى اللَّهُ أَوْفَانَا ، إِذَا قَالَ ، ذِمَّةٌ ، وَأَنْفَقْنَا طَعْنًا ، وَأَثْبَتْنَا قَلْبًا .
وَجَدْتُ أَبَاكَ الْعِلَجَ لَمَّا خَبَرْتُهُ أَقْلَكُمْ خُبْرًا ، وَأَكْثَرَكُمْ عُجْبًا (١)
ومن قوله ايضاً في الروم ، وهو يدل على خوض ابي فراس في فن الهجاء كسائر الشعراء
اياته التالية (٣٠١ : ١٦ - ٢١) :

أَمَّا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ عِلَجٌ ، يُعَرِّفُنِي الْحَلَالَ مِنْ الْحَرَامِ .
وَتَكْنُفُهُ بَطَارِقَةٌ تُيُوسُ تَبَارِي بِالْعَثَانِينَ الضِّخَامِ (٢) .
لَهُمْ خَلْقُ الْحَمِيرِ فَلَسْتُ تَلْقَى فَتَى مِنْهُمْ يَسِيرُ بِلا حِزَامِ (٣) .
يُرِيغُونَ الْعُيُوبَ وَأَعْجَزْتَهُمْ ، وَأَيُّ الْعَيْبِ يُوجَدُ فِي الْحَسَامِ (٤) .
وَأَصْعَبُ خُطَّةٍ وَأَجَلُّ أَمْرٍ تُجَالِسُهُ الْإِثَامُ مَعَ الْكِرَامِ .
أَنَاجِي كُلَّ طَبْلٍ هَرْتَمِي ، عَرِيضُ الذَّقْنِ بَرَّاقُ الْكَلَامِ (٥) .

اما حملته على كعب وغير و كلاب ، من قبائل العرب الضاربة في الشام والجزيرة
فالصق بباب العتاب اجلاني احيانا منه بباب الهجاء . ولكن موقفه من العباسيين كان
مختلفا . انه هجاهم . ولكنني سأتترك الكلام على التعريض بالعباسيين الى الفصل الخاص
بشعره الشيعي .

ومما يحتاج الى شيء من البسطة في القول تعريض ابي فراس بسيف الدولة وبالمتنبي .
لما اتصل المتنبي بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) كان عمر ابي فراس سبعة عشر

(١) العليج : الكبير الجثة الاقلم من غير العرب . الحير : الاختبار والتجربة . العجب : الغرور .

(٢) يكتفه : يحيط به . بطارقة جمع بطريق : قائد . العثون : الشعر عند اسفل الشفة السفلى .

(٣) خلق جمع خلقة (بكسر الخاء) : صورة

(٤) راغ : طلب .

(٥) « طبل » كناية عن الضخامة وقلة الفهم . الهرثمي (٩) — في القاموس : الهدمة : سرعة الكلام

والصخب والجلبة (ارتفاع الاصوات واختلاطها) . الذقن : اسفل الوجه . براق : الكلام : كلامه

كثير ثاقه .

عاما . ومال سيف الدولة الى المتنبي ميلا شديداً حتى رأينا منزلة ابي فراس تسقط عند سيف الدولة ، مما نراه من شعر ابي فراس نفسه . فليس غريباً إذن ان ينفر ابو فراس من المتنبي ومن سيف الدولة معاً وان يهجوهم . غير اننا لا نجد في ديوان ابي فراس هجاء صريحاً لهما ، وان كنا نجد فيها هجاء ملموحاً كثيراً .

اما التعريض بسيف الدولة فكثير جداً في ديوان ابي فراس ، ذلك لأن أكثر عتاب ابي فراس لسيف الدولة تعريض ، أو هجاء صريح . من ذلك مثلاً قوله (١٦ : ٣١-٣٦) :

وَمَا أَذْعِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ غَيْرَهُ : رِحَابٌ عَلَيَّ لِلْعُقَاةِ رِحَابٌ (١) .
وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاعِبِينَ كَرِيمَةٌ ، وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَابٌ .
وَلَكِنْ نَبَا مِنْهُ بِكَفِّي صَارِمٌ وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي مِنْهُ شِهَابٌ (٢) .
وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَآيَا سَرِيعَةٌ وَلِلْمَوْتِ ظَفَرٌ قَدْ أَطْلَرَ وَنَابٌ .
فَإِلَّا يَكُنْ وَدٌّ قَدِيمٌ عَهْدَتُهُ ، وَلَا نَسَبٌ بَيْنَ الرِّجَالِ قَرَابٌ (٣) .
فَأَحْوَطُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا يُضِيعَنِي وَلِي عَنَّهُ فِيهِ حَوْطَةٌ وَمَنَابٌ .

واما التعريض بالمتنبي فيجب ان يكون داخلاً في باب التعريض في قوله . « و امواله للطالين نهاب » (١٦ : ٣٢) ، يعني بذلك أن سيف الدولة يهدق العطايا على الشعراء ، والمتنبي فيهم ، ثم هو يرضن على الاسرى بقليل من المال يقتديهم به . غير ان تتبع التعريض بالمتنبي في ديوان ابي فراس يخرج عن نطاق هذه الدراسة .

(١) رحاب « الاولى » : بلحات ، ديار ، « الثانية » : واسعة . علي : سيف الدولة . العقاة : الطالبون للمعروف وللأموال .

(٢) ولكن مساعدته لي وحدي قليلة . سيفه قاطع في كف كل انسان إلاي . ونوره يضيء للناس . كلهم إلا لي .

(٣) قراب (بكسر القاف وضمها) التقارب في المقام والمكانة .

٩ - الوصف

الوصف قليل في ديوان ابي فراس . وهو يأتي في المقطعات القصيرة في الاكثر ، او في أبيات يسيرة مفردة منشورة في القصائد الطوال في الاقل . واكثر اوصاف ابي فراس انما هي في الرياض وما فيها من ازهار وانهار ، وفي الليل والصبح ، وفي السحاب والثلج . ولا يبي فراس وصف قليل في الحمر وطرديّة مطولة في (الصيد) . على ان الوصف الحسي عند ابي فراس نادر جداً ، فان اكثر اوصافه صناعة من تشابه واستعارات . والغريب اننا لا نجد في ديوان ابي فراس وصفاً للحرب يستحق الدرس : ان له أبياتاً منشورة في قصائده تصف الحرب وصفاً عادياً ، وان كان فخره بخوض المعارك وبالانتصار في الحروب المختلفة يملأ اكثر ديوانه .

أما وصف الطبيعة عند ابي فراس فيحسن ان تقتصر منه على الابيات التالية (١٣٦ : ١ - ٢ ، ٢٦٤ : ١١ - ١٢ ، ٣٤٥ : ٦ - ٨) :

وَيَوْمَ جَلَا فِيهِ الرِّبْعُ بَيَاضُهُ	بأنواع حلي فوق أثوابه الخضري .
كَانَ ذُيُولَ الْجَلَنَارِ مُطَلَّةً	فُضُولُ ذُيُولِ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْأَزْرِ (١)
وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْ	رِ الرُّوضِ فِي الشَّطِّينِ فَصَلَا
كِبْسَاطٍ وَشِيءٍ جَرَدَتْ	أَيْدِي الْقِيُونِ عَلَيْهِ نَصَلَا (٢) .
فِي لَيْلَةٍ حَسُنَتْ لَنَا بُوْصَالُهُ	فَكَانَ غَدَتْ مِنْ حُسْنِهَا إِيَّاهُ .

١- الجلنار : زهر الرمان . — تخرج الرمانة صغيرة خضراء ثم تنفتح عن اوراق حمراء يتوسطها خيوط صفراء — وهو يشبه زهر الرمان بغايات تلبس ازراً « الازار : ثوب يلف على الجسم » يبدو في ادناها ذيول ثوب آخر « بلون مختلف » .

٢- الوشي : النقش والزخرف في الثوب . القيون جمع قين : الحداد ، صانع السيوف . النصل : السيف — كان النهر المجاري في سهل مملوء بالازهار المختلفة الالوان بساط « سجادة » كثيرة الالوان والنقوش . وقد اُلقي عليها سيف « ايض » .

وَكَاثِمًا فِيهَا الثَّرِيًّا إِذْ بَدَتْ كَفُّ نُشِيرٍ إِلَى الَّذِي تَهَوَّاهُ .
وَالْبَدْرُ مُنْتَصِفُ الضِّيَاءِ كَأَنَّهُ مُتَبَسِّمٌ بِالْكَفِّ يَسْتُرُ فَاهُ .

ولابي فراس في الخمر ابيات قليلة لا تحمل على عده في شعراء الخمر . من هذه مقطوعته التي يذكر فيها انه يشرب الخمر حتى لا يصحو كي ينسي ما هو فيه من المصائب (رقم ٧٧) :

أَقْبَلْتُ كَالْبَدْرِ تَسْعَى غَلَسًا نَحْوِي بِرَاحِ (١) .
قُلْتُ : أَهْلًا بِفَتَاةٍ حَمَلَتْ نَوْرَ الصُّبْحِ .
عَلَيَّ بِالْكَأْسِ مَنْ آصَ بَجَّ مِنْهَا غَيْرَ صَاحِ (٢) .

ما اشهر مقطوعاته في الخمر وأحسنها فهي التي تلي (رقم ١٧٨) :

تَوَاعَدْنَا بِآذَارٍ بِمَسْعَى غَيْرِ مُخْتَارٍ ؛
وَقُنَّا نَسْحَبُ الرِّدَّ طَا إِلَى حَانَةِ خَمَارِ (٣) .
فَلَمْ نَذِرْ وَقَدْ فَاحَتْ لَنَا مِنْ جَانِبِ الدَّارِ
بِخَمَارٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلْنَا أَمْ بِعَطَارِ (٤) .
فَلَمَّا أَلْسَ اللَّيْلُ لَنَا ثَوْبًا مِنَ الْقَارِ (٥) ،
وَقُنَّا : أَوْقَدِ الْنَّارَ لَطَارِقٍ وَزُورِ (٦) ؛

(١) النلس : ظلمة آخر الليل (اشد اقسام الليل سواداً) . الراح : الخمر .

(٢) عله : سقاء مرّة بعد مرّة .

(٣) الریط : ثياب من حرير (كناية عن النقى والتوف) . الحانة : مكان بيع الخمر . الخمار : بائع الخمر

(٤) العطار : بائع العطر .

(٥) القار : مادة شديدة السواد (زفت) ، كناية عن اشتداد ظلام الليل .

(٦) الطارق جمع طارق : الذي يأتي ليلاً . الزوار : القادم ليملك مدة يسيرة .

وَجَا خَاصِرَةَ الدَّنِّ فَأَغْنَانَا عَنِ النَّارِ (١) .
وَمَا فِي طَلَبِ اللَّهِوِ عَلَى الشُّبَّانِ مِنْ عَارٍ (*)

وأما في الطرد (الصيد) فلأبي فراس ارجوزة تبلغ مائة وسبعة وثلاثين بيتاً
تتناول أدوات الصيد وآلاته وأساليبه ، منها (٣٦٤ : ٨٣ - ٩٠) :

ثُمَّ عَدَلْنَا نَحْوَ نَهْرِ الْوَادِي ، وَالطَّيْرُ فِيهِ عَدَدُ الْجَرَادِ (٢) .
أَدْرْتُ شَاهِيَيْنِ فِي مَكَانٍ لِكَثْرَةِ الصَّيْدِ مَعَ الْإِمْكَانِ (٣)
دَارَا عَلَيْنَا دَوْرَةً وَحَلَقًا كِلَاهُمَا ، حَتَّى إِذَا تَعَلَّقَا (٤)
تَوَازِيَا ، وَأَطْرَدَا أَطْرَادَا كَالْقَارِسَيْنِ التَّقِيَا أَوْ كَادَا (٥) .
ثُمْتُ شَدًّا فَأَصَابَا أَرْبَعَا : ثَلَاثَةً خَضْرَاءَ وَطَيْرًا أَتَقَمَا (٦) .
ثُمَّ ذَبَجْنَاهَا ، وَخَلَصْنَاهُمَا وَأَمْكَنَ الصَّيْدُ فَأَرْسَلْنَاهُمَا (٧) :
فَجَدَلَا خَمْسًا مِنَ الطُّيُورِ ، فَزَادَنِي الرَّحْمَنُ فِي سُرُورِي (٨) :
أَرْبَعَةً مِنْهَا إِنْسِيَانِ وَطَائِرًا يُعْرَفُ بِالْبَيْضَانِي .

(١) وجا : شق . الدن وماء الحمر . الخاصرة : جانب . اغنانا عن النار : شرب الحمر جعل اللف يسري .
الى اجسامنا « فاستغينا عن النار . »

(٢) عدل : مال . (٣) شاهين : طائر يصطاد به .

(٤) حلقا : ارتقعا . تعلقا : ابصرا طيوراً صالحة للصيد .

(٥) توازيا : سارا جنباً الى جنب . اطردا : جعل احدهما يطرد الآخر « يتبعه ذاهباً آيياً » .

(٦) شد : اسرع في خط مستقيم . خضراً : سوداً . الخضار والخضاري بتشديد الضائين والخضراء من اسماء .
الطيور . الابقع : الطير فيه سواد وبياض .

(٥) راجع ايضاً في الحمر المقطوعات التالية : ١١٤ ، ١٥٠ ، ١٧١ .

(٧) « خلصنا » الطيور الاربعة من غالب الشاهيين وذبحناهما ثم ارسلنا الشاهيين مرة ثانية وراء .
طيور جديدة .

(٨) جدلا : صرعا (اصطادا) .

١٠ - الاخوانيات (والامريات او الروميات خاصة)

الاخوانيات ، فيما يتعلق ببحثنا هذا ، رسائل كان الشعراء يعيشون بها منظومة شعراً . و « الاخوانيات » غرض من الأغراض القديمة في الشعر العربي ، فلقد توجه زهير بن أبي سلمى بنصيحة الى بني ذبيان وأحلافهم بني أسد وغطفان وطيء بأن يجتنبوا الحرب ، وجعل تلك النصيحة « رسالة » فقال (١) :

فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً ، وَذُبْيَانُ: هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسَمٍ ؟
فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ :
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ قَدْ خَزَّ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْقَمِ الْخُ .
ولعمري بن أبي ربيعة شيء من هذا الباب ، كتب يوماً الى الثريا وقد غلبه الشوق (٢) :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، مِنْ بِلَدِي ، كِتَابَ مُوَلِّهِ كِيدِ (٣)
كَيْبٍ وَكَفِ الْعَيْنِ نِ بِالْحَسَرَاتِ مُنْقَرِدِ (٤)
يُورِقُهُ لَهَبُ الشُّوْ قِ بَيْنَ الشَّجَرِ وَالْكَيدِ (٥)
فِيْمِسِكُ قَلْبَهُ يَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بَدِ .

وهناك غاذج كثيرة من الاخوانيات في الشعر العباسي . ولكن هذا الغرض أتسع في ديوان أبي فراس حتى أصبح فناً قائماً بذاته تقصر عليه القصائد الطوال أحياناً .

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م ص ٢١ - ١٨ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، المكتبة الاملية ، بيروت ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) الموله : الذي بلغ به الحب درجة ذهاب العقل « المجنون في الحب » . كمد : حزين .

(٤) واكف العينين : كثير البكاء .

(٥) الحر : الرثة .

ان قسماً كبيراً من ديوان ابي فراس اخوانيات كتب بها الشاعر الى اهله واصدقائه وغلماه قبل اسره وفي اثناء اسره . وعدد الاخوانيات في ديوان ابي فراس تبلغ نحو سبع وستين قصيدة ، نحو ست واربعين منها نظمها الشاعر قبل اسره . هذه الرسائل الاخوانية كتب بها الشاعر الى اخويه ابي الهيجاء وابي الفضل والى سيف الدولة وابي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان وابي العشائر الحسين بن علي بن الحسين ابن حمدان والى صديقه الشاعر ابي محمد بن افلع والى القاضي ابي الحصين الرقي والى ابي احمد عبد الله بن ورقاء الشيباني الشاعر والى ابن اخيه محمد جعفر بن محمد بن ورقاء والى غلامه منصور وسواهم .

واغراض ابي فراس في اخوانياته كثيرة مختلفة منها الغزل والفخر والمديح والعتاب والشكوى والنصيحة ، ومنها التعزية ببيت او المؤاساة عند مرض او أسر ، ومنها المطارحة في شعر أو ادب . وبما يؤسف له ان الوحشة كانت واقعة بين بني حمدان ، وكان ابو فراس حريصاً على لم الشعث وصفاء القلوب فكتب ذات يوم الى اخيه ابي الفضل في هذا الشأن (١٩٨ : ٧١) :

وَالْفَضْلُ مَرِيٌّ وَمَسْمُوعٌ (١) .
يَدَاهُ لِلْجُودِ يَنَازِعُ (٢) ،
عَلَى عُلَا الْعَالِيَاءِ مَرْفُوعٌ (٣) .
يَضِيقُ عَنْهُ السَّمْعُ وَالرُّوعُ (٤) ،
شَعْبُهُمُ بِالْخَلْفِ مَصْدُوعٌ (٥) .

الْمَجْدُ بِالرَّقَّةِ مُجْمُوعٌ ،
إِنَّ بِهَا كُلَّ عَمِيمٍ أَلْدَى
وَكُلَّ مَبْذُولٍ الْقَرَى بَيْتُهُ
لَكِنْ أَتَانِي خَبْرٌ رَائِعٌ
أَنَّ بَنِي عَمِّي — وَحَاشَاهُمْ —

« ١ الرقة بلدة على نهر الفرات ، كان فيها اخوه ابو الفضل .

« ٢ عميم الندى : الذي يعم كرمه الناس كلهم .

« ٣ مَبْذُولُ الْقَرَى : ضيافته معروضة على كل قادم .

« ٤ رائع : مخيف . الروح : القلب ، العقل . يضيق عنه العقل والروح : لا يمكن تصديقه واحتماله ، لو كان صادقاً .

« ٥ الشعب : القبيلة العظيمة . الخلف : اختلاف الرأي ، النزاع . مصدوع : مقسوم ، منقسم على نفسه حاشاهم : لا يتظر منهم . (ان يجهلوا فيختلفوا) .

ما لعصا قومي قد شقها

تقارط منهم وتضيع (١) ؟

بني أبي ، فرق ما بينكم

واش على الشحاء مطبوع (٢)

عودوا إلى أحسن ما كنتم ،

فأنتم الغر المرایع (٣)

ومن امثلة ذلك ايضاً ما كتبه ابو فراس الى القاضي ابي الحصين الرقي يعاتبه على

تأخره في الرد على رسائله اليه (رقم ١٧٧) :

وَيَدِيرَاهَا الدَّهْرُ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ،

تَمْحُو إِسَاءَتَهُ إِلَيَّ وَتَغْفِرُ ،

أَهْدَتْ إِلَيَّ مَوَدَّةً مِنْ صَاحِبِ

تَزَكُو الْمَوَدَّةُ فِي ثَرَاهُ وَتُشِيرُ (٤) :

عَلَيْتَ يَدَيَّ مِنْهُ بَعْلَقٍ مَضْنَةٍ

مِمَّا يُصَانُ عَلَى الزَّمَانِ وَيُذْخِرُ (٥)

إِنِّي عَلَيْكَ ، أَبَا حَصِينٍ عَائِبٌ

وَالْحَرُّ يَحْتَمِلُ الصَّدِيقَ وَيَصِيرُ .

وَإِذَا وَجَدْتُ عَلَى الصَّدِيقِ شَكْوَتَهُ

يَسْرَأُ إِلَيْهِ ، وَفِي الْمَحَافِلِ أَشْكُرُ (٦) .

مَا بَالُ شِعْرِي لَا تَرُدُّ جَوَابَهُ ؟ سَجَبَانُ عِنْدَكَ بِاقِلُ ؟ لَا أَعْذُرُ (٧)

١- مصا القوم : كناية من الاتحاد واجتماع الكلمة . شقت مصا : القوم : اخلفوا ، انزلت آراؤهم .

تقارط : تسرع ، الى العداوة من غير تفكير ، . تضيع : غفلة عن حسن الرأي .

٢- على الشحاء مطبوع : صار البغض في نفسه طبعاً ، وخلقاً .

٣- المرایع جمع مربع ومرباع : المعتدل بين الطول والقصر ، العادل ، المتبصر في اموره . المرباع :

الثبت في اول الريع (كناية عن الكرم) ، الربع الذي كان يأخذ الملوك في الجاهلية (كناية عن

السيادة والقوة) .

٤- زكا : نما ، زاد ، كثر .

٥- علقت يدي منه : ظفرت به . علق مضنة : الشيء النفيس الثمين الذي يخل به الانسان على غيره .

٦- وجد يجد موجدة : غضب . — اذا ساءني من صديق لي امر عاتبته فيه سرأ يني ويينه . اما امام

الناس فانا أمدحه ، واكتم ما ساءني منه .

٧- سجبان وائل : خطيب جاهلي مشهور بالفصاحة ، باقل : رجل جاهلي كان عيلاً لا بين كلاماً . — انت

معروف بانك فصيح (مثل سجبان وائل) . . . كيف سكبت عن رسائلي حتى كأكبك باقل ؟ لا أعذرك على هذا .

وكتب يوماً الى صديق له جفاً ، يعاتبه على جفائه ويعلنه انه واثق من ان هذا الهجران ليس لبغض . وان هذا الجفاء لو كان قبيحاً لما رآه هو من الاصدقاء الا جيلاً (رقم ٧٠) :

لَمْ أُؤَاخِذْكَ بِالْجَفَاءِ ، لِأَنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِالْوَفَاءِ الصَّحِيحِ .
فَجَمِيلُ الْعَدُوِّ غَيْرُ جَمِيلٍ ، وَقَبِيحُ الصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحٍ .

الاسريات أو الروميات خاصة

تعرف القصائد التي قالها ابو فراس في بلاد الروم باسم الاسريات لأنه قالها وهو اسير ، وتعرف باسم الروميات لأنه قالها في بلاد الروم . هذه القصائد احسن شعراي فراس ، قال ابن شرف القيرواني (ت ٦٠٤ هـ - ١٠٦٨ م) : « واما ابو فراس بن حمدان ففراس هذا الميدان ، ان شئت ضرباً وطعناً ، او شئت لفظاً ومعنى .. وكان اشعر الناس في المملكة واشعرهم في ذل المملكة (١) . وله الفغريات التي لا تعارض والاسريات التي لا تنبض » (١) . وكان الثعالي (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) معجباً اشد الإعجاب بابي فراس فقال عن رومياته خاصة (٢) : « وكانت تصدر أشعاره ، في الاسر والمرض واستزارة سيف الدولة وفرط الحنين الى اهله وإخوانه وأحبابه والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج وقلب شج فتزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها وتعلق بالحفظ لسلاستها ... وذلك لتناسبها وعذوبة الفاظها ، ولا سيما الروميات التي روى بها بها هدف الاحسان واصاب شاكلة الصواب » .

وتبلغ روميات ابي فراس خمساً وأربعين رومية ما بين قصيدة طويلة او مقطعة . فالمقطعة تتألف احياناً من بيتين اثنين او من ثلاثة ابيات او اربعة او ستة . واما القصائد في هذا الباب فتطول حتى لقد بلغت واحدة منها اثنين وخمسين بيتاً . وهناك يضع روميات تزيد ابيات كل واحدة منها على اربعين بيتاً .

(١) اعلام الكلام ، ص ٢٥ مستشهد به في ديوانه ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٢) يتيمة الدهر ، مستشهد به في ديوانه ٦٦٢ - ٤٦٣ .

وروميات ابي فراس قسمان : « اخوانيات » ، وهي القصائد التي كتب بها أبو فراس من أسره الى سيف الدولة وسائر اهله والى اصحابه في الشكوى من حاله وطلب الفداء ، ثم « الوجدانيات » وهي التي قالها في ذلك الاسر يتشوق فيها الى اهله وأصدقائه ويشكو حاله ويعاتب سيف الدولة خاصة على اهماله فداءه والتخلي عنه في يد الروم ، او يأسى لما يصيب امه من حزن عليه او من مرض او من خيبة امل كلما خاطبت سيف الدولة في امر اقتداء ابنها . ثم ماتت امه وهو لا يزال في الاسر فزاد ذلك في حزنه وفي نبضة الالم في نفسه وفي شعره معاً .

واذا نحن استثنينا الكلام على عاطفة ابي فراس التي رقت في الاسر فجعلت « رومياته » أعذب لفظاً وأرق معنى وأسهل تركيباً فكانت ، من اجل ذلك ، أبعد تأثيراً في النفس ، لم نجد خصائص شعره قد تأثرت بمقامه بضع سنوات أسيراً في بلاد غريب . ومرد ذلك كله ، بلا ريب ، الى أن ابا فراس لم يكن يعرف اللغة الرومية فيتأثر بأدبها او بأحاديث أهلها على الاقل . ويبدو أن ابا فراس كان يحتلط أحياناً بالحراس او بالقيواد فيحادثهم او يناظرهم . (ديوان ص ٣٦ ، ٣٧١) ، ولكن ذلك كان يجري في الاغلب من طريق التواجة لا من طريق الحوار المباشر . ولعل ثمة ما هو أغرب من هذا ايضاً : إن ابا فراس لم يتأثر بطبيعة الارض الرومية مع انه قضى زمناً في القسطنطينية . فليس في شعره أثر للبيئة الجديدة ، لا من حيث الاوصاف او التحليل ولا من حيث الحوادث الجارية ، فكان أسراً ابي فراس في بلاد الروم ، وفي عاصمتهم القسطنطينية ، كان عزلة عن كل ما هو رومي . ويجب ألا ننسى ان كره ابي فراس لأسريه الروم ، بعامل العداوة الشخصية ، وان العداوة الديني ، الذي كان في العصور الوسطى يشطر العالم شطرين ، كنا من الاسباب التي منعت ابا فراس التفكير في تقليد الادب الرومي لو كان ثمة مناسبات تدعوه الى هذا التقليد او الى الاقتباس . فبحسن بنا ان نعلم ان الشعر البيزنطي ، يوم كان أبو فراس أسيراً في بلاد الروم ، لم يكن في عصره الذهبي ولا الفضي . لقد شهد القرن العاشر الميلادي في بيزنطية بدء نهضة تمثيلية دينية (٤) ، ولكن لم يكن من المعقول ان يتأثر أبو فراس بها . اما شعر

١). Le Monde Byzantin 3 (La civilisation Byzantine) 416-419.

الفروسية البيزنطية ، الذي كان قد بدأ يزدهر في تلك الحقبة ، فكان يتأثر بالادب المائل له عند العرب (١) . وإذا كان شعراء بيزنطية يقلدون المتنبي وأبا فراس واندادهما في ذلك ، فلم يكن من المنتظر إذن أن يقلد أبو فراس خصائص شعر أقل قيمة من الشعر العربي . هذا مع العلم بأن العرب كانوا يذهبون بأنفسهم عن محاكاة الادب اليوناني يوم كان في ذروته وفي أهبى لمعانه .

*

ومن أروع « اسريات » أبي فراس مقطوعة تبلغ سبعة أبيات (١: ٢٦٢ — ٧) قالها أبو فراس وقد سمع هديل حمامة على شجرة عالية قرب سجنه . ولقد تخيل إلى أبي فراس أن هديل هذه الحمامة كان نواحاً ، فذكر حاله في الأسر وكيف أنه هو لا لا يبكي ، بينما تلك الحمامة طليقة ولكنها تهدل وكأنها تنوح ، فقال :

أقول ، وقد ناحت بفربي حمامة :	أيا جارتا ، لو تشعرين بحالي !
معاذ الهوى ! ما ذقت طارقة النوى ،	ولا خطرت منك الهوم ببال .
أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمُ	على غصنٍ نائي المسافة عال ؟
أيا جارتا ، ما أنصف الدهر بيننا !	تعالني أقاسمك الهوم ، تعالي .
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةً ،	ويسكتُ محزونٌ وينذبُ سأل ؟
لقد كنتُ أولي منك بالذمِّ مقلّةً	ولكن دُمي في الحوادثِ غال !

وبما أن الروميات في ديوان أبي فراس أحسن شعره فقد اخترت أن أثبت عدد منها في المختارات التي اختتم بها هذه الدراسة .

1) Ibid. , 397 , 398

مختارات من شعر أبي فراس

*

١ - القصيدة التاسعة في الديوان

اجتمعت القبائل النازلة في بادية الشام بقيادة الندي بن جعفر ومحمد بن قريع ، وهما من آل المهنا من بني عقيل وثارت على سيف الدولة وقتلت عامله على قنسرين الصباح مولى عمارة المخارقي ، وذلك سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) . وكانت بعض هذه القبائل قد قبلت الدعوة القرمطية ، فسار اليهم سيف الدولة ومعه أبو فراس . وهزمهم وأسر الندي بن جعفر ومحمد بن قريع وقتل عدداً كبيراً منهم . عند ذلك خضعت له تلك القبائل فعفا عنها . فقال أبو فراس قصيدة منها :

أَبَتْ عِبْرَاتُهُ إِلَّا أَنْسِكَابَا	وَنَارُ ضُلُوعِهِ إِلَّا أَلِهَابَا .
وَمَنْ حَقَّ الطَّلُولُ عَلَيَّ إِلَّا	أُغِبُّ مِنَ الدُّمُوعِ لَهَا سَحَابَا (١) .
وَمَا قَصَّرْتُ فِي تَسَالٍ رُبْعٍ	وَلَكِنِّي سَأَلْتُ فَمَا أَجَابَا .
رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ قُلْتُ : أَهْلَا	وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ وَالشَّابَا .
وَمَا إِنْ شَبْتُ مِنْ كِبَرٍ ، وَلَكِنْ	رَأَيْتُ مِنَ الْأَحِبَّةِ مَا أَشَابَا ۝
بَعَثَ مِنْ الْهُومِ إِلَيَّ رَكْبَا	وَصَيَّرَ الصُّدُودَ لَهَا رِكَابَا .
أَلَمْ تَرَنَا . أَعَزَّ النَّاسَ جَارَا	وَأَمْنَهُمْ وَأَمْرَهُمْ ، جَنَابَا (٢) ۝

١ - غيب : كذب مرة بعد مرة - يقول : سيكون بكائي على تلك الطلول كثيراً ، كالسحاب ، دائماً لا يتقطع .

٢ - الجناب : الناحية ، البلاد ، منبع : حصين ، محمي . مريع : خصيب .

لَنَا الْجَبَلُ الْمُطْلُ عَلَى نِزَارٍ
تُقَضِّلُنَا الْأَنَامُ وَلَا تُتَحَاشِي ،
وَقَدْ عَلِمْتَ رَيْبَةً بَلْ نِزَارُ
وَلَمَّا أَنْ طَفَتْ سُفْهَاءُ كُغْبٍ
مَنْحَنَاهَا الْحَرَائِبَ ، غَيْرَ أَنَا ،
وَلَمَّا تَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَا
أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقِيَ طِعَانًا ،
دَعَانَا - وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ -
صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ ،
وَكُنَّا كَالسِّهَامِ ، إِذَا أَصَابَتْ
عَبْرَنَ بِمَاسِحٍ وَاللَّيْلُ طِفْلٌ
فَمَا شَعَرُوا بِهَا إِلَّا ثَبَاتًا
مَنَادُوا فَأَنْبَرَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
وَقَادَ نَدِي بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ عُقَيْلٍ

حَلَلْنَا التَّجْدَ مِنْهُ وَالْهَضَابَا .
وَتُوصَفُ بِالْجَمِيلِ وَلَا تُتَحَاشِي .
يَا أَنَا الرَّاسُ وَالنَّاسُ الذُّنَابِي .
فَتَحْنَا بَيْنَنَا لِلْحَرْبِ بَابَا ،
إِذَا جَارَتْ ، مَنْحَنَاهَا الْحَرَائِبَا (١) .
كَمَا هَيَّجَتْ آسَادًا غِضَابَا .
صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقِيَ ضِرَابَا .
فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَا .
وَعَرَسُ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا .
مَرَامِيهَا قَرَامِيهَا أَصَابَا .
وَجُنَّ إِلَى سَلْمِيَّةَ حِينَ شَابَا (٢) .
دُونِ الشَّدِّ تَصْطَخِبُ أَصْطِخَابَا (٣) .
سَوَائِقُ يُتَتَجَبَّنَ لَنَا أَنْتِجَابَا (٤) .
شُعُوبًا قَدْ أَسْلَنَ بِهِ الشُّعَابَا (٥) .

١ - الحرية : المال ، الغنائم ، كناية من أكرامهم بالمنح والهدايا . الحراب : السلاح - كناية عن العداوة والقتال .

٢ - الضمير في عبرن وجن يرجع إلى الخيل . تل ماسح قرية قرب حلب . سلمية : مدينة شرق حمص ، وكانت مركزاً للقرامطة .

٣ - اصطخب : أحدث أصواتاً شديدة مختلفة . تصطخب اصطخابا : تتوالى كاللوج . الشد : البدء ، الركض .

٤ - المنتخب : المختار ، هذه السوايق (الخيل) تختارها اختياراً .

٥ - شعوباً قد أسلن بها الشعابا : اقواماً ملأوا الطرق ، كثيرون جداً . الشعب (بكسر الشين) : الطريق في الجبل .

فَمَا كَانُوا لَنَا إِلَّا أَسَادِي ،
كَأَنَّ نَدِيَّ بْنَ جَعْفَرَ قَادَ مِنْهُمْ
وَشَدُّوا رَأْيَهُمْ بَيْنِي قُرَيْعَ .
وَلَمَّا أَشَدَّتِ الْهَيْجَاءُ كُنَّا
وَأَمْنَعَ جَانِبًا وَأَعَزُّ جَارًا
سَقَيْنَا بِالرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرِ
وَبِالصَّبَاحِ ، وَالصَّبَاحُ عَبْدٌ ،
تَرَكْنَا فِي بُيُوتِ بَنِي الْمُهَنَّا
وَأَبْعَدْنَا لِسُوءِ الْفِعْلِ كَعْبًا ،
وَمِلْنَا بِالْخِيُولِ إِلَى نُمَيْرِ
أَمَامَ مُشَيْعٍ سَمَحَ بِنَفْسِ
وَمَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ وَلَكِنْ
وَيَأْمُرُنَا ، فَكَفَيْهِ الْأَعَادِي ،

وَمَا كَانَتْ لَنَا إِلَّا نِيَاهَا (١) .
هَدَايَا لَمْ يُرْغَ عَنْهَا ثَوَابًا (٢) .
فَخَابُوا — لَا أَبَا لَهُمْ — وَخَابَا (٣) .
أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدُ نَابَا ،
وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقْلَ عَابَا (٤) .
يَبْطِنُ الْغُثْرُ السَّمُّ الْمَذَابَا (٥) .
قَتَلْنَا مِنْ لِبَائِهِمُ اللَّبَابَا (٦) .
نَوَادِبَ يَنْتَحِبْنَ بِهَا أَنْتَحَابَا .
وَأَذْنَيْنَا لِبَطَاعَتِهَا كِلَابَا .
تُجَادِبُنَا أَعْتَتَهَا جِذَابَا ،
يَعِزُّ عَلَى الْعَشِيرَةِ أَنْ يُصَابَا (٧) .
يَهَابُ مِنَ الْحَيَّةِ أَنْ يُهَابَا (٨) .
هُهَامٌ لَوْ يَشَاءُ كَفَى وَنَابَا .

١ - أسرنا الرجال وسبينا الخيل .

٢ - راغ : طلب .

٣ - شد رأيه بفلان : استظهر به ، استعان به .

٤ - العاب : العيب ، الوصمة ، المذمة .

٥ - الغثر : واد . سقناهم السم المذاب : الذائب — قتلناهم قتلًا شديدًا .

٦ - اللباب : الأشراف ، الأعيان ، خيار الناس — انتقمنا لقتل الصباح « وهو عبد من عبيدنا » .
بقتل خيار قومهم .

٧ - مشيع : شجاع — يقصد سيف الدولة .

٨ - لا يربد أن يروع أحداً ، أنه يخاف أن يخافه الناس .

فَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنَّ لَا غِيَاثَ
وَعَادَ إِلَى الْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا
أَمْرٌ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا
أَحْلَهُمُ الْجَزِيرَةَ ، بَعْدَ يَأْسِ
دِيَارِهِمْ أَنْتَزَعَتْهَا أَقْتِسَارًا ،
وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا الْبَوَادِي
إِذَا مَا أَنْقَذَ الْأَمْرَاءَ جَيْشًا
أَنَا ابْنُ الضَّارِبِينَ أَلْهَمَ قَدَمًا
أَلَمْ تَعْلَمْ ، وَمِثْلَكَ قَالَ حَقًّا ،
دَعَاؤُهُ لِلْمَغُوثَةِ فَاسْتَجَابَا ،
وَقَدْ مَدُّوا لِضَارِمِهِ الرِّقَابَا (١) .
أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرِيًّا وَصَابَا (٢) .
أَخُو حِلْمِهِ إِذَا مَلَكَ الْعِقَابَا (٣) .
وَأَرْضَهُمْ اغْتَصَبْنَاهَا اغْتِصَابَا .
كَمَا تَحْمِي أَسْوَدُ الْغَابِ غَابَا (٤) .
إِلَى الْأَعْدَاءِ أَنْقَذْنَا كِتَابَا
إِذَا جَرَّةَ الْمَحَامُونَ الضَّرَابَا .
بِأَنِّي كُنْتُ أَثَقِّبُهَا شِهَابَا (٥) .

٢ - القصيدة السابعة والثانون في الديوان (رومية)

هذه أول قصيدة قالها أبو فراس بعد أسره ، سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) ، كتب
بها إلى سيف الدولة يخبره فيها برغبة ملك الروم في إطلاق سراحه إذا أطلق سيف
الدولة سراح ابن أخت ملك الروم :

دَعَاؤُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ لَدَيَّ ، وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمَشْرَدِ .
وَمَا ذَاكَ يُنْجِلَا بِالْحَيَاةِ ، وَإِنَّهَا لِأَوَّلِ مَبْذُولٍ لِأَوَّلِ مُجْتَدِ (٦) .

١ - رجع إلى الجميل من عاداته [العفو عنهم] . مدوا سيفه أعتاقهم : خضعوا له ، قبلوا بحكمه .

٢ - الأري : العسل . الصاب جمع صابة : شجرة مرة .

٣ - إذا تمكن من عدوه حلم « صفا عنه » .

٤ - لو أردنا لمنعا جميع تلك القبائل أن تنزل في جميع البوادي .

٥ - الشهاب الثاقب : النجم المتبرقع اللامع .

٦ - مجتد : طالب — إذا كنت أنا مستعداً لأبذل حياتي في سبيل كل إنسان ، فكيف لا أبذلها في سبيلك .

وَمَا الْأَسْرُ مِمَّا ضَعُفْتُ ذَرْعاً بِحِمْلِهِ ، وَمَا الْخَطْبُ مِمَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : قَدْ (١)
 وَلَكِنِّي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيْلِ غَيْرِ مُوسِدٍ (٢)
 وَتَأْيِي وَأَبِي أَنْ أَمُوتَ مُوسِداً بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتاً كَظَا كَبِدٍ (٣)
 نَضَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ ثَوْبَ جِلَادِي ، وَلَكِنِّي لَمْ أَنْصُرْ ثَوْبَ التَّجَلُّدِ .
 وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرٍ وَضِدِّهِ يُجَدِّدُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَدِّدِ .
 قَمِينٌ حَسَنٌ صَبْرٍ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْيَدِي ،

وَمِنْ دَيْبٍ دَهْرٍ بِالرَّدَى مُتَوَعِّدِي .
 أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خِلٍّ مُكْبَلٍ وَبَيْنَ صَفِيٍّ بِالْحَدِيدِ مُصَفِّدِ .
 دَعَاؤُكَ ، وَالْأَبْوَابُ تُرْتَجُّ دُونَنَا ، فَكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مُنْجِدِ .
 فَيَذَلُّكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ، وَمِثْلِي مَنْ يُفْتَدَى بِكُلِّ مُسَوِّدِ .
 أَنَادِيكَ ، لَا أَنِي أَخَافُ مِنَ الرَّدَى وَلَا أُرْتَجِي تَأْخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدِ .
 وَلَكِنْ أُنِقْتُ الْمَوْتَ فِي دَارِ عُرْبَةٍ

بِأَيْدِي النَّصَارَى الْغُلْفِ مَيْتَةٍ أَكْمَدِ (٤) .
 فَلَا تَتْرُكْ الْأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا ، وَلَا تَقْطَعْ التَّسَالِي عَنِّي وَتَقْعُدِ .
 وَلَا تَقْعُدَنَّ عَنِّي - وَقَدْ سِمْ قَدَيْتِي - فَلَسْتُ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدِ (٥)

١ - الخطب : المصيبة . ضفقت ذرعاً بحمله : صجرت عن حمله . قد : يكفي ، لا تزد .

٢ - أريد أن أموت في الحرب لا على فراش ولا مأسوراً .

٣ - أكمد : شديد الحزن . أكبد ، شديد التألم .

٤ - الاغلف ، اللي لم يغتن .

٥ - المقعد ، المتقاص ، الذي لا يذهب للحرب ، الذي لا يجد إخوانه .

فَكَمْ لَكَ عِنْدِي مَنَ أَيْدٍ وَأَنْعَمَ . دَفَعْتَ بِهَا قَدْرِي وَأَكْثَرْتَ حُسْدِي ؟
تَسَبَّحْتُ بِهَا أَكْرُومَةَ قَبْلِ قُوَّتِهَا ، وَقُمْتُ فِي خَلَاصِي صَادِقِ الْعَزْمِ وَأَقْعُدُ
فَإِنْ مِتُّ — بَعْدَ الْيَوْمِ — عَابَكَ مَهْلِكِي

مَعَابَ الزَّرَارِيِّينَ مَهْلِكَ مَعْبِدِ (١) .
هُمْ عَضَلُوا عَنْهُ الْقِدَاءَ فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَكُ بَدْعًا هُلْكُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ
يَهْدُونَ أَطْرَافَ الْقَرِيضِ الْمُقْصِدِ (٢) . فَلَا كَانَ كَلْبُ الرُّومِ أَرْأَفَ مِنْكُمْ
يُعَابُونَ إِذْ سِيمَ الْقِدَاءَ وَمَا قُدِّي . فَأَضْحَوْا عَلَى أَسْرَاهُمْ بِيْ عُودًا
وَأَرْغَبَ فِي سَبِّ الشَّاءِ الْمُخَلَّدِ . مَتَى تُخْلِفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى
وَأَنْتُمْ عَلَى أَسْرَاكُمْ غَيْرُ عُودٍ (٣) . مَتَى تَلْدُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَى
طَوِيلَ نَجَادِ السَّيْفِ رَحْبَ الْمُقْلَدِ (٤) . فَإِنْ تَقْتَدُونِي تَقْتَدُوا شَرَفَ الْعُلَا
شَدِيدًا عَلَى الْبَأْسَاءِ غَيْرِ مُلَهَّدٍ (٥) . وَإِنْ تَقْتَدُونِي تَقْتَدُوا لَعْلَاكُمْ
وَأَسْرَعَ عَوَادٍ إِلَيْهَا مُعَوَّدٍ (٦) . فَتَى غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ (٧)

- (١) إذا هلك في الأسر لأمك الناس ، يا سيف الدولة ، كما يلومون بني زرارة لأنهم تركوا معبد بن زرارة يهلك في الأسر إذا أصروا على اقتدائه بماتني بعد فقط ، وكان عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب اللذان أسراه قد طلبا دية أكبر من ذلك فلم يقبل أخوه لقيطاً فمات معبد في الأسر
(٢) عضلوا : منعوا . يهدون : يرسلون ، ينظمون . أطراف : الأشياء الطريقة الجميلة ، المستجادة . المقصد : القصيد من الشعر ، التي ليس رجزاً . ضنوا عليه بمالهم حتى هلك في الأسر ، ثم جعلوا يرثونه بشعرهم .
(٣) هم يعاملوني معاملة حسنة أكراماً لا سيرهم عندكم ، وأنتم لا تهتمون بي .
(٤) طويل نجاد (حمالة) السيف : شجاع . رحب المقلد : واسع مكان القلاد : رحب الصدر ، حلیم [٤]
(٥) البأساء : المصيبة ، الضيق (لعله يقصد الحرب) . ملهد : مهان ، محقر ، لا يراه الناس أهلاً للامور العظيمة .
(٦) يعود (بعد خروجه من الأسر) سريعاً إلى الحرب .
(٧) غير مردود اللسان بولا اليد : يسمع قوله ويقدر على الاموز .

يُطَاعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ بِلِسَانِهِ ، وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بِالْحَسَامِ الْهَيْدِ .
وَمَا كُلُّ وَقَافٍ لَهُ مِثْلٌ مُوقِفِي ، وَلَا كُلُّ وَرَادٍ لَهُ مِثْلٌ مُوَرِّدِي (١)
فَمَا كُلُّ مَنْ شَاءَ الْمَعَالِي يَنَالُهَا ، وَلَا كُلُّ سَيَّارٍ إِلَى الْمَجْدِ يَهْتَدِي .
أَقْبَلْنِي ، أَقْبَلْنِي عَثْرَةَ الدَّهْرِ ، إِنَّهُ

رَمَانِي بِسَهْمٍ صَائِبِ النَّصْلِ مُقْصِدِ (٢) .
وَلَوْلَمْ تَنْلِ نَفْسِي وَلِئَاكَ ، لَمْ أَكُنْ لِأُورِدْهَا ، فِي نَصْرِهِ كُلُّ مُوَرِّدِي (٣)
وَلَا كُنْتُ أَلْقَى الْأَلْفَ زُرْقًا عِيُونُهَا ، بِسَبْعِينَ فِيهِمْ كُلُّ أَشَامٍ أَنْكَدِي (٤)
فَلَا ، وَأَبِي ، مَا سَاعَدَانِ كَسَاعِدِي ، وَلَا ، وَأَبِي ، مَا يَفْتُقُ الدَّهْرُ جَانِبًا
وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ اقْتَدَى ، وَفَرَّقَتْهُ إِلَّا بِأَمْرِ مُسَدِّدِي (٥)
وَأَنْتَ الَّذِي لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ اقْتَدَى ، وَأَنْتَ الَّذِي أَهْدَيْتَنِي كُلُّ مُقْصِدِي
وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلُّ رُتْبَةٍ ، مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسْدِي .
فَيَا مُلْبِسِي النُّعْمَى الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا ، لَقَدْ أَخْلَقْتَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَجَدَدِي (٦)

(١) وقاف : مدافع . وراد : هاجم .

(٢) مقصد : ميت .

(٣) في نصره : في نصر ولائك .

(٤) زرقا عيونها : كناية عن الروم . « بسبعين » إشارة إلى خروجه إلى الصيد في سبعين من أتباعه حينما أسره الروم . أشام : ذو شؤم . أنكد : أشأم — لولا ولائي لك لما لقيت ألفاً من الروم في سبعين رجل لا يصلحون للحرب (لأنه كان في الصيد) .

ساعدي وساعدك أفضل من ساعدك وحده . وأنا وائت في الحرب خير منك وحدك فيها .

(٦) فق الدهر جانباً : شقه ، أفسده ، انزل مصيبة يلاذنا . رفق : خاط ، اصلح ، جمع .

(٧) أخلقت : تهرأت بطول اللبس .

أَلَمْ تَرَ أَنِّي فَيْكَ صَافَحْتُ حَدَّهَا ، وَفَيْكَ شَرِبْتُ الْمَوْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ ؟ (١)
 يَقُولُونَ : « جَنْبٌ » عَادَةً مَا عَرَفْتُهَا . شَدِيدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوِّدِ (٢)
 قُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَا قَالَ قَائِلٌ : شَهِدْتُ لَهُ فِي الْحَرْبِ الْأُمَّ مُشْهِدًا
 وَلَكِنْ سَأَلَقَاهَا ، فَإِنَّمَا مَنِيَّةٌ هِيَ الظَّنُّ ، أَوْ بَنِيَانُ عِزٍّ مَوْطِدِ .
 وَلَمْ أَدْرَأَنَّ الدَّهْرَ فِي عِدَدِ الْعِدَى ، وَإِنَّ الْمَنَايَا السُّودَ يَزْمِينُ عَنْ يَدِ .
 بَقِيتَ ، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، تُحْمَى مِنَ الرَّدَى

وَيَفْلِدُكَ مِنَّا سَيِّدٌ بَعْدَ سَيِّدِ (٣) .
 فَلَا يَحْرِمَنِي اللَّهُ رَوْيَاكَ أ— إِنَّمَا نَهَايَةُ آمَالِي ، وَغَايَةُ مَقْصِدِي .
 — وَلَا يَحْرِمَنِي اللَّهُ قَرَبَكَ أ— إِنَّهُ مُرَادِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّي وَسُودُ دِي .

٣ — القصيدة السادسة عشرة في الديوان (رومية)

رفض سيف الدولة ان يطلق سراح ابن اخت ملك الروم كي يخرج ابو فراس وحده
 من الاسر، بل فضل ان يبقى ابو فراس في الاسر الى ان يستطيع سيف الدولة ان يفتدي جميع
 الاسرى المسلمين الذين هم في ايدي الروم . عندئذ نقل الروم ابا فراس من خرشنة
 الى القسطنطينية (٣٥٣ هـ — ٩٦٤ م) ، فقال ابو فراس :

أَمَّا الْجَمِيلُ عِنْدَكُنْ قَوَابُ وَلَا لَيْسِي عِنْدَكُنْ مَتَابُ ؟ (٤)
 لَقَدْ ضَلُّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةُ وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابُ (٥) .

(١) الضمير في « حدّها » يعود الى السيوف تقديرًا . مصرد : متقطع .

(٢) جنب : مال الى جانب الطريق ، هرب .

(٣) ابن عبد الله : سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان .

(٤) الا تبين امرأ على جميل فعله ولا تقبلين توبة من رجل مذنب ؟

(٥) الخريدة : المرأة الجميلة . تقضي عليه كعاب : تهلك امره فتاة غداً [حديث السن] .

وَلَكِنِّي - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - حَازِمٌ أَعِزُّ إِذَا ذَلَّتْ لَهْنٌ رِقَابُ (١).
وَلَا تَمْلِكُ الْحَسَنَاءُ قَلْبِي كُلَّهُ وَإِنْ شَمِلَتْهَا رِقَّةٌ وَشَبَابٌ .
وَأَجْرِي وَلَا أُعْطِي الْهُوَى فَضْلَ مِثْوَدِي ،

وَأَهْفُو وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابُ (٢).
إِذَا الْحِلُّ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَالَةٌ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفِرَاقَ عِتَابُ (٣).
إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ بَلَدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابٌ .
وَلَيْسَ فِرَاقٌ مَا اسْتَطَعْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ فِرَاقٌ عَلَيَّ حَالٍ فَلَيْسَ إِيَابُ (٤).
صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ قَبُولٌ وَلَوْ أَنَّ السُّيُوفَ جَوَابٌ .
وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِشُنِي وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جِيَّةٌ وَذَهَابُ (٥).
وَأَلْظُ أَحْوَالِ الزَّمَانِ بِمِثْلَةٍ بِهَا الصِّدْقُ صِدْقٌ وَالْكَذَابُ كِذَابٌ .
عَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ فِي مَا يَنْوِبُهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الْكَرِيمِ صَحَابُ ؟
وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلُهُمْ ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِمْ ثِيَابُ ۱
تَغَايَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنُّوا غَاوَةً يَمْفَرُقُ أَغْبَانَا حَصَى وَتَرَابُ (٦).
وَأَوْ عَرَفُونِي ، حَقٌّ مَعْرِفَتِي بِهِمْ إِذَا عَلِمُوا أَنِّي شَهِدْتُ وَغَابُوا (٧).

- (١) إذا ذلت لهن رقاب : إذا خضع لهن رجال آخرون .
(٢) اجري في الحب جرياً معتدلاً من غير ان تستولي المرأة على استيلاء تاماً ، وإذا اخطأت اعلم اني اخطأت .
(٣) إذا تركك صديقك لأنه مل صحبتك فلا تعاتبه بل أهجره أنت أيضاً .
(٤) احفظ على وداد صديقي ما قدرت ، فإذا اضطرت ال فراقه لا اعود اليه أبداً .
(٥) واحداث الزمان تنوشني : المصائب تهاجمني من كل جانب .
(٦) بمفرق اغبانا حصى وتراب : امات الله اكثرنا غباوة [دفن واهل عليه الحصى والتراب] .
(٧) شهد الحرب : حضرها وأبلى فيها . لو كانوا يعرفون قدرني لعلوا انني افيدهم في الحوادث ينماهم لا تقع منهم

وَمَا كُلُّ فَعَالٍ يُجَازَى بِفِعْلِهِ ،
 وَرُبَّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بِمَنَازِلِ
 تَمُرُّ أَلْيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ
 وَلَا شِدَّةٌ لِي سَرَجٌ عَلَى ظَهْرِ سَابِجٍ ،
 وَلَا بَرَقَتْ لِي فِي الْإِقَاءِ قَوَاطِعٌ
 سَتَدَّ كُرُ أَيْامِي نَمِيرٌ وَعَامَرٌ
 أَنَا الْجَارُ لَا زَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا أَطْلُبُ الْمَوْرَاءَ مِنْهُمْ أُصِيبُهَا ،
 وَأَسْطُو وَحْيِي تَابَتْ فِي صُدُورِهِمْ
 بَنِي عَمْنَا مَا يَصْنَعُ السَّيْفُ فِي الْوَعْيِ

وَلَا كُلُّ قَوَالٍ لَدَيَّ يُجَابُ .
 كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْهَجِيرِ ذُبَابٌ (١) .
 تَحْكُمُ فِي آسَادِهِنَّ كِلَابٌ (٢) .
 لَدَيَّ ، وَلَا لِلْمُعْتَقِينَ جَنَابٌ (٣) .
 وَلَا ضَرَبَتْ لِي بِالْعَرَاءِ قَبَابٌ (٤) .
 وَلَا لَمَعَتْ لِي فِي الْحُرُوبِ حِرَابٌ (٥) .
 وَكَغَبٌ عَلَى عِلَّاتِهَا وَكِلابٌ (٦) .
 وَلَا دُونَ مَالِي فِي الْحَوَادِثِ بَابٌ (٧) .
 وَلَا عَوْرَتِي لِلطَّالِبِينَ تُصَابٌ (٨) .
 وَأَحَامُ عَنْ جُهَّالِهِمْ وَأَهَابٌ (٩) .
 إِذَا قُلْتُ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابٌ (١٠) ؟

- ١- اللوح : الهواء . الهجير : وقت الظهيرة . — « ذمهم اياي » لا آبه له .
- ٢- بمنازل : « في بلاد الروم ، في الاسر » .
- ٣- المعتقي : طالب الرشد « العطاء » . الجناب : ساحة الدار . — انا اسير لا استطيع ان اتقع احداً ولا أن أضيفه عندي واحسن اليه .
- ٤- السابج : الحصان السريع . القبة : الخيمة الكبيرة — لا اركب للحرب ولا اجمع الناس للحرب .
- ٥- القواطع : السيوف . الحراب : الرماح .
- ٦- نمير وعامر وكعب وكراب قبائل حاربها ابو فراس ، يقول : سَتَلُّ هَذِهِ الْقِبَائِلَ تَذَكَّرُ شِدَّتِي عَلَيْهَا وَاحْسَانِي إِلَيْهَا مَعاً .
- ٧- لا امنع مساعدتي عنهم .
- ٨- انا لا اتطلب عيوبهم ، وليس لي عيوب يمكن ان يطلبها احد .
- ٩- احاربهم فيظلمون يحبونني . واعفو عن المذنبين منهم ويظلمون يخافونني .
- ١٠- كيف يستطيع بنو حنidan ان يحاربوا اذا ظلمت انا اسيراً او اذا قتلت . مضرب السيف : حده . ذباب السيف : طرفه ، رأسه . — يشبه بني حنidan بالسيف ، ويشبه نفسه بحده السيف القاطع .

بَنِي عَمَنَا ، لَا تُنْكِرُوا الْوُدَّ ، إِنَّا
بَنِي عَمَنَا ، نَحْنُ السَّوَاعِدُ وَالظُّبَا
وَإِنْ رَجُلًا مَا أَبْنَاهُمْ كَابِنِ أَخْتِهِمْ
فَمَنْ أَيُّ عُذْرٍ إِنْ دُعُوا وَدُعِيَتْ
وَمَا أَدْعَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ غَيْرَهُ :
وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاعِبِينَ كَرِيمَةٌ ،
وَلَكِنْ نَبَا مِنْهُ بِكَفِّي صَارِمٌ
وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَةٌ
فَالَا يَكُنْ . وَدُّ قَدِيمٌ عَهْدُهُ
فَأُحِيطُ لِلْإِسْلَامِ أَلَا يُضِيْعُنِي
وَلَكِنِّي رَاضٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
وَمَا زِلْتُ أَزْجِي بِالْقَلِيلِ حَبَّةً

شِدَادٌ عَلَى مَرِّ الْهَوَانِ صِلَابٌ .
وَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ ضَرَابٌ (١)
حَرِيُونَ إِنْ يُقْضَى لَهُمْ وَيُهَايُوا (٢)
أَيُّنْتُمْ ، بَنِي أَعْمَامِنَا ، وَأَجَابُوا (٣) ؟
رِحَابٌ عَلَيَّ لِلْعُقَاةِ رِحَابٌ (٤)
وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَابٌ .
وَأُظْلِمَ فِي عَيْنِي مِنْهُ شِهَابٌ ،
وَلَا مَوْتَ ظَفَرٌ قَدْ أَطْلَ وَتَابٌ .
وَلَا نَسَبٌ بَيْنَ الرِّجَالِ قِرَابٌ (٥)
وَلِي فِيهِ عَنْهُ حَوْطَةٌ وَمَنَابٌ (٦)
لَيَعْلَمَ أَيُّ الْحَالَتَيْنِ سَرَابٌ (٧)
لَدَيْهِ ، وَمَادُونَ الْكَثِيرِ حِجَابٌ (٨)

١- يوشك يوماً أن يكون ضراب : الحرب منتظرة مما قريب .

٢- ليس ابنهم (أبو فراس) كآبن اختهم (ابن اخت ملك الروم الموجود في أسر سيف الدولة) . إذا طلب منكم الروم اطلاق سراح ابن اخت ملكهم (وهو رجل عادي) مقابل اطلاق سراحني (وأنا الأمير الشجاع الفارس الشاعر) فيجب أن تقبلوا حالا .

٣- فلماذا ، إذن ، إذا عرض عليهم الفداء قبلوا هم ورفضتم انتم « مع أن هذا العرض في مصلحتكم » ؟

٤- لا أقول إلا ما يعلمه الله . علي « سيف الدولة » كريم على كل الناس .

٥- سبق تفسيرهما .

٦- أنا راض الآن بأن أبقى أسيراً لا يبرهن له أن أسري مضر به هو .

٨- وقد كنت دائماً ارضى بالثواب القليل بينما كنت استطيع الحصول على ثواب كثير . ولكنني أحب سيف الدولة فلا تحدثني نفسي بأن اطلب على ذلك ثواباً .

وَاطْلُبْ إِبْقَاءَ عَلَى الْوُدِّ أَرْضَهُ
كَذَلِكَ الْوُدَادُ الْمَحْضُ لَا يُرْتَجَى لَهُ
[وَمَا أَنَا بِالْبَاقِي عَلَى الْحُبِّ رَشْوَةً .
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْمَجْرَ وَالشَّلَّ جَامِعُ
فَكَيْفَ وَفِي مَا بَيْنَنَا مُلْكٌ قَيْصَرُ
أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ النَّفْسِ فِي مَا تُرِيدُهُ
فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيَّةُ
وَلَيْتَ الَّذِي يَبْنِي وَيَبْنِيكَ عَامِرُ
إِذَا نِلْتَ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْكُلُّ هَيْنُ
فَيَا لَيْتَ تُشْرِبِي مِنْ وَدَادِكَ صَافِيَا
وَذَكْرِي مُنَى فِي غَيْرِهَا وَطِلَابُ (٩)
ثَوَابُ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ (١) .
ضَعِيفُ هَوْنِي ، يُبْقَى عَلَيْهِ ثَوَابُ (٢)]
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَقِيَّةُ وَخِطَابُ ،
وَالْبَحْرُ حَوْلِي زَخْرَةٌ وَعُبَابُ ؟
أَتَابُ بِمَرِّ الْعَتَبِ حِينَ أَتَابُ ؟
وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ ،
وَيَتَنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ ١
وَكَلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ .
وُشْرِبِي مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ (٣)

٤ - القصيدة الستون بعد المائة في الديوان (رومية)

هذه أشهر قصائد أبي فراس ، قالها لما بلغه أن الروم خالوا : ما أسرنا أحداً إلا
تزعنا عنه سلاحه ما عدا أبا فراس (راجع البيت ٤٦) . وقد قال هذه القصيدة قبل
أن يقبده الروم ، نحو سنة ٣٥٣ هـ . وفي هذه القصيدة فخر بارع ونسيب رقيق ،
وهي تمثل نفس أبي فراس تمثيلاً صحيحاً :

- ١- المحض : الصافي ، الخالص .
- ٢- أنا لا اطلب أجراً على محبتي لسيف الدولة « لأن محبتي له صادة ، إنما يطلب الأجر على الحب إذا
كان ضعيفاً أو كان جاً في الظاهر فقط » .
- ٣- ليت الماء الذي اشربه من نهر الفرات « وهو سبب حياتي » يكون عكراً إذا كان ماء ودادك صافياً
« حبك لي صحيحاً » .

أَرَاكَ عَصِيَّ الذَّمِّ شِبَعَتِكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ ؟
 بلى ، أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ ، وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرٌّ
 إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي (١) بَسَطَتْ يَدَ الْهَوَى

وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِنْ خَلَايقِهِ الْكِبْرُ .

تَكَادُ تَضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي إِذَا هِيَ أَذْكَتُهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ .
 مُعَلِّلَتِي بِالْوَصْلِ ، وَالْمَوْتُ دُونَهُ ، إِذَا يَمُتُ ظُلْمَانًا فَلَا تَرُلُ الْقَطْرُ ١
 حِفِظْتُ وَضَعْتُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ، وَأَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ الْقَدْرُ
 وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ لَا حَرْفِهَا ، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا بِشْرُ (٢)
 بِنَفْسِي ، مِنَ الْغَادِينَ فِي الْحَيِّ ، غَادَةٌ هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ وَبَهْجَتُهَا عُذْرُ .
 تَرْوُغُ إِلَى الْوَاشِينَ فِي ، وَإِنْ لِي لَا أَذْنَآ بِهَا ، عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ وَقُرُ (٣)
 بَدَوْتُ ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ ، لَا أَتْنِي

أَرَى أَنْ دَارًا ، لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا ، قَفَرُ (٤)

وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ ، وَإِنَّهُمْ وَإِيَّايَ ، لَوْلَا حُبُّكَ ، الْمَاءُ وَالْخَمْرُ (٥)
 فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ الْوُشَاةُ ، وَلَمْ يَكُنْ ، فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيمَانُ مَا شَيْدَ الْكُفْرِ .

١- إذا أتى على الليل .

٢- البشر « كذا في الاصل » : الجمال . ولعلها : نشر .

٣- تروغ : تميل « تعلق قول الواشين في ، مع اني اصم اذني عن قول الوشاة فيها » .

٤- بدوت : سكنت في البادية (لانك انت تسكنين في البادية) . حاضرون : يسكنون في الحضر (المدن)
 وان المكان الذي لا تسكنين فيه يكون قفراً (ولو كان مأهولاً) .

٥- كلاء والخمر : كناية عن الاتفاق ، متفقون .

وَقَيْتُ ، وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ ، لَا نَسِيَةَ فِي الْحَيِّ شِمَتُهَا الْعَذْرُ
وَقُورٌ وَرِيْعَانُ الصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا ، فَتَأْرَنُ أَحْيَانًا كَمَا يَأْرَنُ الْمَهْرُ (١)
تَسَائِلُنِي « مَنْ أَنْتَ ؟ » وَهِيَ عَلِيْمَةٌ وَهَلْ يَبْقَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرٌ ؟
فَقُلْتُ ، كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا أَهْوَى :

« قَتِيلُكَ ! » قَالَتْ : « أَتَيْتُهُمْ ؟ فَهُمْ كُثْرُ ! »
فَقُلْتُ لَهَا : « لَوْ شِئْتُ لَمْ تَتَعَنِّي (٢) وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي ، وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ ! »
فَقَالَتْ : لَقَدْ أَرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا (٣) فَقَالَتْ : « مُعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ
وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ ، لَوْلَاكِ ، مَسَاكُ وَتَهْلِكُ بَيْنَ أَهْزَلٍ وَاجِدٍ مُهْجَةٌ
فَأَيَّقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ ، وَإِنْ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ (٥)
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً ، إِذَا أَلْهَمْتُ أَسْأَلَانِي أَلَجَّ بِي الْهَجْرُ (٦)
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا ، لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِي الْعَذْرُ (٦)
كَأَنِّي أَنَادِي ، دُونَ مِثْيَاءٍ ، ظَلِيَّةٌ - عَلَى شَرَفٍ - ظَلَمِيَاءَ جَلَّلَهَا الذُّعْرُ (٧)

١- ريعان الصبا : اوله وأشده . يستفزها : يثيرها . أرن المهر : نسط ، قفز ، نفر .

٢- تعنت : تشدد ، اشتط . ٣- غير حالك .

٤- البين : البعد الاضطرادي . الهجر : النفرة والترك . — إذا لم يكن هنالك بعد فانها تهجرني فتقضي حياتها كلها مفترقين .

٥- إذا ذلت أنا (مع مقامي وفروسي الخ) فلا يمكن ان يعز عاشق آخر . ثم انني انا ايضا لم استطع ان انا وصال محبوبي .

٦- العذر : الاعتذار . هي تذهب الي فلا تعاقب ثم علي ان اعتذر اليها واسترضيها .

٧- ميثاء : ارض لينة ، سهل . شرف : مكان مرتفع . ظلمياء : سوداء . — كأني واقف في سهل أنادي اتى الوعل الجبلية (لا ترد علي ، لانها تسكن المرتفعات ولا تألف السهول) . جللها الذعر : كثيرة الخوف .

تَجَمَّلُ حِينًا ، ثُمَّ تَدْنُو كَأَنَّهَا تُنَادِي طَالًا بِالْوَادِ ، أَعْجَزَهُ الْحَضَرُ (١)
فَلَا تُنْكِرُنِي ، يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِهِ الْبَدُو وَالْحَضَرُ .
وَلَا تُنْكِرُنِي ، إِنِّي غَيْرُ مُنْكَرٍ
إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَأَسْتُزِلَ النَّصْرُ (٢)
وَإِنِّي لَجَرَّادٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ مُبْعُوذَةٌ إِلَّا يَخِلُّ بِهَا النَّصْرُ (٣)
وَإِنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخْوَفَةٍ كَثِيرٍ إِلَى نُزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ (٤)
فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ (٥)
وَلَا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ وَلَا أَلْجِشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ (٦)
وَبَا رَبِّ دَارٍ ، لَمْ تُخَفِّنِي ، مَنِيعَةٍ طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ (٧)
وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ هَزِيمًا وَرَدَدْتُني الْبَرَّاقِعُ وَالْخُمْرُ (٨)

- ١- الطلا : ولد الظلية . اصبره الحضر : اتعبه الركض .
- ٢- إذا استزل النصر : إذا تعاقب المحاربون واخذوا يستجدون (يطلبون من الله أن ينزل عليهم نصره) .
- ٣- جرار : قائد . مبعودة الا يخل بها النصر : كل كتيبة (قطعة من جيش) قدتها لم تهزم .
- ٤- النزال (وجمعها بضم النون) : النازل الى المعركة للمقارعة بالسلح الابيض . المخوفة : « المعركة » التي يخاف الابطال من خوضها . النظر الشور : نظرة الغضب ، او المعرض « استهزاء واحتقاراً » — اخوض كل معركة لا يجرؤ على خوضها احد .
- ٥- في الحرب اصبر على عطشي حتى ترتوي السيوف والرماح من دم القتل واصبر على جوعي حتى ترتوي الذئاب والنسور من لحومهم .
- ٦- راجع فوق ، ص ٨٦
- ٧- منيعة : محصنة .
- ٨- اهزم خيل الحي (القبيلة) ثم احتل المكان ، فاذا يرزت النساء (ذوات البرقع والخمار) استحييت (او عاد الي حلمي) فرجعت عنه .

مُسَاحِبَةً الْأَذْيَالِ نَحْوِي ، لِقِيَّتُهَا ،
 وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ ،
 وَلَا رَاحَ يُطْفِئُنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى ،
 وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْيِي وَفُورَهُ ؟
 أَسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ ، لَدَى الْوَعَى ،

وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَثْبُهُ غَمْرٌ (٢)
 وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي
 وَقَالَ أَصِيحْبَاهِي : « الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى »
 وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيُنِي .
 يَمَقُولُونَ لِي : « بَعْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى »
 فَقُلْتُ : « أَمَا وَاللَّهِ ، مَا نَالَنِي خَسْرٌ » (٥)

وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِ الْمَوْتِ سَاعَةً
 إِذَا مَا تَجَافَى عَنِ الْأَسْرِ وَالضَّرِّ (٦)
 هُوَ الْمَوْتُ فَأَخْتَرُ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ
 فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيِيَ الذِّكْرُ .

١- أبغي : أريد.. وفوره : كثرة . وفر يفر : حافظ ، دافع ، حمى . وفر يفر (ايضاً) : كثر ، يكثر . الوفرة : الغنى .

٢- العزل جمع أعزل : بلا سلاح . مهر : صغير (بلا تجربة) . غمر : جاهل ، غير مجرب .

٣- حم القضاء : نزل القضاء . اذا اراد الله امرأ .

٤- الفرار (بالضم) او الردى ؟ : أتريد منا ان نفر فنسلم او تثبت فتموت ؟ ويمكن ان تقرأ : الفرار (بالفتح) او الردى : اما ان نفر فتجو او ان تثبت فتموت .

٥- باع : اشترى . تبدل : بعت سلامتك واشتريت بها الهلاك (الاسر) .

٦- الضر : الأذى اذا تخطعت من الاسر والاذى فهل اخلد في الحياة .

وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَّةٍ كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوَاءٍ تِهِ عَمُرُو (١)
 يَمْنُونُ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ (٢)
 وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ أَنْدَقُ نَصْلُهُ
 وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرُ (٣)
 سَيِّدُ كُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ [وَفِي أَثَائِلَةِ الظُّلَمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذْرُ] (٤)
 فَإِنْ عِشْتُ فَالطَّنُّ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ
 وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ (٥)
 وَإِنْ مِتُّ فَأَلَا إِنْسَانٌ لَا بُدَّ مَيِّتٌ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَنْقَسَحَ الْعُمُرُ (٦)
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْثَفُوا بِهِ ،
 وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّيْرُ لَوْ تَقَقَّ الصُّفْرُ (٧)

-
- ١- مذلة : ذلة ، جبن . السوءة : موضع العفة . عمرو : عمرو بن العاص . — لما بارز عمرو
 ابن العاص الامام علياً في صفين ظهر به الامام علي . فلما ايقن عمرو بالهلاك رمى نفسه عن فرسه
 فوقع على ظهره وكشف عن سوائته فاستحيا الامام علي ورجع عنه .
 ٢ و ٣- لما اسر الروم ابو فراس تركوا له ثيابه وسلاحه لانه امير ثم جعلوا يرونه فظلمهم عليه في ذلك .
 فقال : اذا تركوا لي الآن ثيابي فان علي ثياباً غيرها منسوجة من دمائهم (لكثرة ما قتل منهم) .
 وكذلك احمل سيفاً كسر نصله في قتالهم ورمحاً انكسر اعلاه فيهم ايضاً .
 ٤- جد جدهم : اشتد الامر عليهم . افتقد الشيء : طليه فلم يجدده ، سأل عنه . — الناس يتذكرون
 فضل القمر اذا احتاجوا الى البحث عن شيء في الليل .
 ٥- فان عشت وخرجت من الاسر فسأرجع الى قتالهم بكل شيء : بالرمح والسيوف و « الخيول »
 الضامرة ذوات اللون الاحمر .
 ٦- وان مت « في الاسر ، فيجب الا يشمتوا بي » فان الانسان سيموت يوماً ما مهما طال عمره .
 ٧- سد : استطاع ، قام بالعيب . التير : الذهب : الصفر : النحاس الاصفر . لو ان النحاس الاصفر
 يقوم مقام الذهب لما كان الذهب غالياً .

وَنَحْنُ أَهْلُ لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا ، لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ .
تَهْمُونَ عَائِنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسَنَا ، وَمِنْ خَطْبِ الْحَسَنَاءِ لَمْ يُغْلِبْهَا الْمَهْرُ (١)
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ وَلَا فَخْرُ .

هـ - القصيدة الثامنة عشرة في الديوان (رومية)

بلغ سيف الدولة ان بعض الاسرى في يد الروم قالوا — وقد تأخر سيف الدولة عن اقتدائهم — ان كان سيف الدولة لا يجد مالا لاقتدائنا فانتا نكتب الى صاحب خراسان (*) وغيره من الملوك فرجا خففوا عنا هذا الاسر الذي نحن فيه . واتهم سيف الدولة ابا فراس بهذا القول فقال : « ومن اين يعرفه اهل خراسان ! » ثم قطع مراسلته . فقال ابو فراس في ذلك :

أَسِيفَ الْهَدَى وَقَرِيبَ عِ الْوَرَبِ عَلَامَ الْجَفَاءِ وَفِيمَ الْقَضَبِ (٢) ؟
وَمَا بَالُ كُتَيْبِكَ قَدْ أَصْبَحْتَ تُنَكِّبُنِي مَعَ هَذَا النُّكَبِ (٣) ،
وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الْحَلِيمُ ، وَأَنْتَ الْعَطُوفُ وَأَنْتَ الْحَدِيبُ (٤)
وَمَا زِلْتَ تَسْبِيحُنِي بِالْجَمِيلِ وَتُنْزِلُنِي بِالْجَنَابِ الْخَصِيبِ ،
وَتَدْفَعُ عَن حَوَازِي الْخُطُوبِ وَتَكْشِفُ عَن نَاطِرِي الْكُرْبِ .
وَإِنَّكَ لِلْجَبَلِ الْمَشْمَخِ رُلِي ، بَلْ لِقَوْمِكَ ، بَلْ لِلْعَرَبِ (٥)

١- اتنا نضحي بكل شيء حتى بأرواحنا اذا كنا نطلب المعالي « الامور النيلة العظيمة » . اذا كان مهر الحسناء كبيراً ، فان ذلك لا يكون سبباً للتخلي عن خطبتها .

(٥) راجع ص ٢٤ — ٢٥ .

٢- القريم : فعل الابل المختار ، الشديد . — الذي يقارع « يدافع » عن قومه .

٣- نكب : مال ، اصابه بنكة « مصيبة » . النكب : نزول المصيبة .

٤- الحدب : العطوف المحب .

٥- المشمخ : العلي الذي يهتدي به الناس او يلجأون اليه فيحتمون به .

عَلَى تَسْتَفَادُ ، وَعَافٍ يُفَادُ ، وَعِزُّ يُشَادُ ، وَنَعْمَى تُرَبُّ (١) .
 وَمَا غَضُّ مَنِي هَذَا الْإِسَارُ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ الذَّهَبِ (٢) ؛
 قَئِيمٌ يُعْرِضُنِي بِالْحُمُولِ لِي مَوَلَى بِهِ نَأَتْ أَعْلَى الرُّتَبِ (٣) ؛
 وَكَانَ عَتِيداً لَدَيَّ الْجَوَابُ وَلَكِنْ لَهَيْتِهِ لَمْ أُجِبْ (٤) .
 أَتُشْكِرُ أَنِّي شَكَوْتُ الزَّمَانَ وَأَنِّي عَتَبْتُكَ فِيمَنْ عَتَبَ (٥) .
 فَهَلَا رَجَعْتَ فَأَعْتَبْتَنِي وَصَيَّرْتَ لِي وَلِقَوْمِي الْقَلْبَ (٦) ؛
 فَلَا تَنْسِبَنَّ إِلَيَّ الْحُمُولَ أَقَمْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ أَغْتَرِبْ (٧) ،
 وَأَصْبَحْتُ مِنْكَ فَفَضْلٌ يَكُونُ ، وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَأَنْتَ السَّبَبُ (٨) ؛
 وَمَا شَكَّكْتَنِي فِيكَ الْخَطُوبُ وَلَا غَيَّرْتَنِي فِيكَ النُّوبُ .
 وَأَسْكُنُ مَا كُنْتُ فِي ضَجْرَتِي وَأَحْلَمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الْغَضَبِ (٩) ؛
 وَإِنْ خُرَاسَانَ إِنْ أَنْكَرْتَ عَلَايَ فَقَدْ عَرَفْتُهَا حَلَبُ .
 وَمِنْ أَيْنَ يُشْكِرُنِي إِلَّا بَعْدُونَ : أَمِنْ نَقْصٍ جَدٍّ ، أَمِنْ نَقْصٍ أَبٍ ؛

(١) ترب : تزيد ، تنمو .

(٢) غَضُّ مَنِي : نقص من قدري . خلصت خلوص الذهب : لم يؤثر « الاسر » في عزمي بل زدت عزمي لان الذهب اذا صهر « بالنار » ذهب غشه ووسخه واصبح اكثر صفاء .

(٣) يعرضني بالحمول : يعرض بعمولي . يذكر اني حامل مع انه يعرف ان شهرتي ومقلتي عظيمتان بفضلهم .

(٤) عتيد : حاضر .

(٥) عتب : عاتب . — عاتبك في تأخير اقتنائي من الاسر كما فعل خيري ايضاً ..

(٦) فهلا ارضيتني ونصرتني (جعلتني اتغلب) على اعدائي (الروم) .

(٧) كأنني لا أزال الى جانبك « فمن أين يأتي الحمول » ؟

(٨) وانا قريبك وانت وليي ، ففضلك يكون منك ونقصي يكون منك .

(٩) كنت تنصب فأبقى انا مادناً ، اي لا اجاريك في غضبك علي حبا بك ..

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَسْرَةٍ وَيَنِّي وَبَيْنَكَ قَرَبُ النِّسَبِ ،
وَدَارٍ تَنَاسَبُ فِيهَا الْكِرَامُ وَتَرْبِيَّةٍ وَتَحَلٍّ أَشْبَ (١) ،
وَنَفْسٍ تَكْبَرُ إِلَّا عَلَيْكَ وَتَرْغَبُ إِلَّاكَ عَمَّنْ رَغِبَ (٢) ،
فَلَا تَعْدِلَنَّ — فِدَاكَ ابْنُ عَمٍّ لَكَ لَا بَلْ غُلَامُكَ — عَمَّا يَحِبُّ (٣) ،
وَأَنْصِفْ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ مِنْ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ الْمَكْتَسَبِ ،
وَكُنْتُ الْحَبِيبَ وَكُنْتُ الْقَرِيبَ لِيَالِي أَدْعُوكَ مِنْ عَنِّ كَشَبَ (٤) ،
فَلَمَّا بَعُدْتُ بَدَتْ جَفْوَةٌ وَلَاخَ مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أَحِبُّ ،
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ بِكَ ذَا خَبَرَةٍ لَقُلْتُ : صَدِيقُكَ مَنْ لَمْ يَغِبْ (٥) .

٦ — القصيدة الثالثة والستون بعد الثلاثائة في الديوان (رومية) .

لما فقد أبو فراس كل أمل بان يفتديه سيف الدولة — مع كثرة ما امتشفت به
أمه الى سيف الدولة — كتب الى أمه يصبرها ويقول لها انه ما كان يذل نفسه لسيف
الدولة بطلب الفداء (راجع البيت الثالث) لولا انه يريد ان ينفذ رغبتها في خروجه من
الاسر ولولا انه يريد ان يرجع الى جانبها ليعتني بها :

لَوْ لَا الْعَجُوزُ (٦) بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أَنْسَابَ الْمِثْيَةِ ،
وَلَكِنْ لِي عَمَّا سَأَلُ تُمْ مِنْ الْقِدَا ، نَفْسُ أَيْيَةٍ .

- (١) اشب : قريب ، ملحق « انا قريبك ونسبنا واحد » .
- (٢) اميل عن كل من مال عني سواك « لا اهجرك اذا هجرتني » .
- (٣) فلا تعلم انت اذن عما يجب ان تفعله « مداومة بري والعطف علي » .
- (٤) حينما كنت انا قريباً منك كنت ارى انك تحبني وتكرمني .
- (٥) لولا معرفتي بك لانهتمت بك بأنك تذكر صديقك ما دام امام عينيك ، فاذا غاب عنك نسيتك .
- (٦) كناية عن أمه .

لكن أردتُ مُرادَها ،
 وأرى مُحاماتي علب
 أمست يَمْنِج حُرَّة
 لو كان يُدفع حادثُ
 لم تطرق نوبُ ألحوا
 لكن قضاء الله وال
 والصبرُ يأتي كل ذي
 لا زال يطرق منبجاً ،
 فيها التقي والدينُ مج
 يا أمّتا ، لا تحزني
 يا أمّتا ، لا تيأسي ،
 كم حادث عنا جلاه ،
 أوصيك بالصبر الجليل ،
 ولو أنجذبتُ إلى الدنية .
 ها أن تضام من الحمية .
 بالحزن ، من بعدي ، حرية (١)
 أو طارق يميل نية .
 دث أرض هاتيك التقيّة .
 أحكام تنفذ في البرية .
 رزء على قدر الرزية .
 في كل غادية ، تحية (٢) .
 موعان في نفس زكية (٣) .
 وثقي بفضل الله فيه . (٤)
 لله الطاف خفية (٥) .
 وكم كفانا من بلية
 فإنه خير الوصية

(١) حرية بالحزن : يحق لها ان تحزن .

(٢) لا زال يصل الى منبج تحية مع كل غيمة .

(٣) زكية : طاهرة .

(٤) تقي بفضل الله علي وبأنه لن يتخلى عني .

(٥) اللطف الخفي : النعمة الالهية التي تخفي عن اعين الناس .

٧ - القصيدة الخامسة والستون بعد المائتين في الديوان «رومية»

لما اغفل سيف الدولة افتداء ابي فراس زمناً طويلاً ولم يلق بالآ الى رجاء ام ابي فراس في ذلك ، مرة بعد مرة ، خرجت ام ابي فراس من منبج الى حلب وراسلت سيف الدولة من جديد في ابنها . فلم يسمع سيف الدولة لها ايضاً . وكان قد اتفق ان الروم قنطوا من اطلاق ابن اخت ملكهم الذي كان عند سيف الدولة اسيراً ، فقيدوا هم من كان بايديهم في خرشنة من قواد المسلمين ، وفيهم ابو فراس . فغلبت الحسرة على ام ابي فراس واعتلت . فلما علم بذلك ابو فراس كتب الى سيف الدولة يستعطفه ويعاتبه : .

يا حَسْرَةً ما أَكادُ أَحمِلُها .	آخِرُها مُزْعِجٌ وأَوَّلُها .
عَلِيلَةٌ بالشَّامِ مَفْرَدَةٌ ،	بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدا مَعْلَمُها (١) .
تُسَيِّكُ أَحْشاءَها على حُرْقٍ .	تُطْفِئُها وَالْهُمُومُ تُشْعِلُها .
إِذا أَطْمَأْنَنْتَ - وَأَيْنَ - أَوْ هَدَأْتَ	عَدَّتْ لَها ذِكْرِي تُقَلِّقُها .
تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكبانَ جَاهِدَةً	بِأَذْمَعٍ ما تَكادُ تُنمِها : .
« يا مَنْ رَأى لي بِحِصْنِ خَرَشَنَةٍ	أَسَدَ شَرِيٍّ ، في الْهُيُودِ أَرْجُلُها .
« يا مَنْ رَأى لي الدُّرُوبَ شايخَةً	دُونَ لِقَاءِ الْحَبِيبِ أَعْلُوها (٢) ،
يا مَنْ رَأى لي الْهُيُودَ ، مُوثَقَةً ،	على حَبِيبِ الْقَوادِ أَثْقَلُها . »
يا أَثِيها الرَّاكِبانَ ، هَلْ لَكُما ،	في حَمَلٍ نَجوى يَخِفُّ نَحْمَلُها .
قُولاهُما ، - إِنْ وَعَتَ مَقالُكُما ،	وَإِنْ ذِكْرِي لَها لِيُذْهِبُها : .

(١) معللها : طيبها « الحقيقي » .

(٢) الدروب : المر في الجبل .

يا أُمَّنا ، هذه منازلنا
يا أُمَّنا ، هذه مواردنا
أَسْلَمْنَا قَوْمَنَا إِلَى نُوبٍ
وَأَسْتَبْدَلُوا ، بَعْدَنَا ، رِجَالَ وَغَى
تَتْرُكُهَا تَارَةً وَنَنْزِلُهَا .
نُعَلِّمُهَا تَارَةً وَنَنْهَلُهَا « .
أَيَسِّرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا ،
يَوَدُّ أَذْنَى عَلَايَ أَمْثَلُهَا (١) .

.....

يَاسِيدُ ، مَا تُعَدُّ مَكْرَمَةً ،
لَيْسَتْ تَنَالُ الْفِيُودُ مِنْ قَدَمِي
لَا تَتَّيَّمُ وَالْمَاءُ تُذَرِّكُهُ ،
إِنَّ بَنِي أَلَمٍ لَسْتَ تَخْلِفُهُمْ ،
أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَكْجَمُهَا ،
أَنْتَ سَحَابٌ نَحْنُ وَابِلُهُ ،
بِأَيِّ عُذْرٍ ، رَدَدْتَ وَالِهَةَ ،
جَاءَ تَكَ ، تَمْتَحُ رَدَّ وَاحِدِهَا ،
سَمَخْتُ مَنِي بِمُهْجَةٍ كَرَمَتْ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَا
تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تَهْمِلُهَا ؟
إِلَّا فِي رَاحَتِهِ أَكْمَلُهَا .
وَفِي اتِّبَاعِي رِضَاكَ أَجْمَلُهَا .
غَيْرُكَ يَرْضَى الصَّغْرَى وَيَقْبَلُهَا (٢) .
إِنْ عَادَتِ الْأُسْدُ عَادَ أَشْبَاهُهَا
أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبَلُهَا .
أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَعْمَلُهَا .
عَلَيْكَ ، دُونَ الْوَرَى ، مُعَوَّلُهَا (٣) ؟
يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُغْفِلُهَا .
أَنْتَ ، عَلَى يَاسِيهَا ، مُوَمَّلُهَا .
فَلَمْ أَزَلْ ، فِي رِضَاكَ ، أَبْذُلُهَا .
تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تُغْفِلُهَا ؟

١- ان اعظم شخص تقربه اليك يمتني ان يكون له اصغر فضائي .

٢- لا تستعصمني بجماعة هم اقل قيمة مني . — ان المؤمن اذا اراد الصلاة ولم يجد ماء يتوضأ به

تيمم « قام باشكل الوضوء بعد ضرب يديه على الصعيد — التراب — الطاهر » .

٣- والهة : حزينة — اشارة الى ام ابي فراس . المعول : الاعتماد .

يَا لَكَ الْعُتُودَ ، الَّتِي عَدَّتْ لَنَا ،
 أَرْحَامُنَا مِنْكَ لِمَ تُقَطِّعُهَا
 أَيْنَ الْمَعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا
 يَا وَاسِعَ الدَّارِ ، كَيْفَ تُوسِعُهَا
 يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ ، كَيْفَ تُبَدِّلُهُ ؟
 يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ ، لَوْ بَصُرْتَ بِنَا
 رَأَيْتَ ، فِي الضَّرِّ ، أَوْجَهَا كَرُمَتْ
 قَدْ أَثَرَ الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِهَا ،
 فَلَا تَكِلْنَا ، فِيهَا ، إِلَى أَحَدٍ
 لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرُمَةٍ
 أَتَنْبِرِي دُونَكَ الْكَرَامُ لَهَا
 وَأَنْتَ ، إِنْ عَنْ حَادِثٍ جَلُّ
 مِنْكَ تَرَدَّى بِالْفَضْلِ أَفْضَلُهَا ،
 فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً

كَيْفَ - وَتَدَاخَلَتْ - ثَمَلُهَا ؟
 وَلَمْ تَزَلْ ، دَائِبًا ، تُوصِلُهَا ١
 تَقُولُهَا ، دَائِمًا ، وَتَفْعَلُهَا ؟
 وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نُزَلُّهَا ؟
 يَا بِنَا الصُّوفُ ، مَا تُبَدِّلُهَا ١
 نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا وَنَتَمَلُّهَا .
 فَادَّقِ فِيكَ الْجَمَالَ أَجْمَلًا ١
 تَعْرِفُهَا ، تَارَةً ، وَتَجْهَلُهَا .
 لَيْسَ لَهَا مُحْسِنٌ يُعَلِّلُهَا .
 صَاحِبُهَا الْمُسْتَفَاتُ يُقْفِلُهَا .
 وَأَنْتَ تَقَامُهَا وَأَحْمِلُهَا (١) .
 قَلْبُهَا الْمُرْتَجَى وَحَوْلُهَا (٢) .
 مِنْكَ أَفَادَ الثَّوَالِ أَنْوَلُهَا (٣)
 فَبَعْدَ قَطْعِ الرِّجَاءِ نَسَأُهَا (٤) .

١- القمقام : السيد الذي يطبق حمل الاعباء والتبعات . أحملها : اقدرها على القيام بالامور .

٢- القلب والحول : الخير القدير في تصريف الامور .

٣- أنولها : اكرمها — الذين يسمون اليوم كراماً (لانهم ينيلون الناس العطاء) قد حصلوا على غنائم من عطاياك انت .

٤- العارفة : المعروف ، الجميل .

إِذَا رَأَيْنَا أَوْلَى الْكِرَامِ بِهَا
لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ
فَحْنُ أَحَقُّ الْوَدَى بِرَأْفَتِهِ ،
يَا مُنْفِقَ الْمَالِ لَا يُرِيدُ بِهِ
أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِمًا فَضْلًا
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَبْلَ فَرَضِكَ ذَا ،

يُضْيِعُهَا ، جَاهِدْ ، وَيُهَيِّلُهَا (١) .
إِلَّا وَفَضْلُ الْأَمِيرِ يَشْمَلُهَا .
فَأَيْنَ عَنَّا ، وَأَيْنَ مَعْدِلُهَا ؟
إِلَّا الْمَعَالِي الَّتِي يُوَثِّلُهَا ،
فِدَاؤُنَا ، قَدْ عَلِمْتَ ، أَفْضَلُهَا .
نَافِلَةٌ عِنْدَهُ تُثَقِّلُهَا (٢) .

— تمت —

١- ونحن نسأل حيثذ غيرك إذا رأينا أنك « تقصد » أن تتركنا في الأسر .

٢- الصلاة في الإسلام مؤلفة من فرض (مفروض) ومن نافلة (سنة يقوم المؤمن بها تطوعاً) . ولا شك في أن القيام بالنافلة مستحب ، ولكن النوافل لا تقبل إذا أعمل المؤمن الفرض . — أنك تبرع للشراء ولغيرهم بالاموال [وهو نافلة أنت خير جبر عليها] ولكنك ترض علينا بالمال لاقداه أنفسنا من الأسر (وهو فرض عليك) .

فهرست ابجدي لاعلام الاشخاص والجماعات

م - مكرور ، ح - في الحاشية



آدم ٦٢	ابن مقلة ١١ م
آل البيت ٨ ، ٤٥ ، ٩٦ م	ابن ورقاء - ابو احمد عبد الله ١١١
آل - بنو	ابن ورقاء - محمد بن جعفر ١١١
ابراهيم بن الاغلب ١٥ ، ١٦ م	ابو بكر ٩٨ ح
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ١٥	ابو تغلب بن ناصر الدولة -
ابراهيم بن المهدي ٩٩ ، ٩٩ ح	الغضنفر
ابراهيم بن ناصر الدولة (ابو طاهر) ١٩	ابو تمام ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٨٢ م
ابن اوس الطائي - ابو تمام	ابو جعفر - محمد الجواد - المنصور العباسي
ابن خلكان ٦	ابو الحسن بن الاطروش ٢٢ - ٢٤
ابن خالويه ٤ ، ٥ ، ٣٢ ، ٣٨ م	ابو الحصين الرقي ١١١ ، ١١٢ م
ابن رائق ١١ م ، ١٢ م ، ١٣ م ، ١٩ م	ابو ذر الشاعر ٣٢
٢٣ م ، ١٠٣	ابو زهير مهمل بن نصر بن خندان
ابن رشيق ٥ ، ٥٤ ، ٧٠ م	٥٧ ، ٩٣ - ٩٤ ، ١١٠ م
ابن الرومي ١٠٠ ، ١٠٢ م	ابو طالب ٩٧
ابن سكرة ٩٧	ابو طالب - ابراهيم بن ناصر الدولة
ابن شرف القيرواني ١١٣	- سليمان القرمطي
ابن الطقطقي ٨	ابو الطيب - المتنبي
ابن عبد الله - سيف الدولة	ابو العلاء سعيد - سعيد بن حمدان
ابن ففاس - نفور	ابو عبد الله - الحسين بن ناصر الدولة

أبو العشائر (الحسين بن علي بن حمدان)

١١١، ١١١ ح

أبو فراس ٣ م، ٤ م، ٥ م، ٩ م،
١٤، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٥ م،
٢٩، ٣٠ وما بعدها الى آخر
الكتاب .

أبو الفضل بن سعيد بن حمدان ١١١ م،

١١١ ح

أبو لؤلؤة ٩٨ ح

أبو محمد حسن الداعي العلوي ٢٢

أبو المسك — كافور

أبو المعالي بن سيف الدولة ١٩ — ٢٠

٣٩ م، ٥٣، ٦٢، ٩٣ م

أبو المكارم بن سيف الدولة ٩٣

أبو نواس ٥٦، ٥٨

أبو هلال العسكري ٥

أبو الهيجاء (أخو أبي فراس) ١١١

أبو الهيجاء — عبد الله بن حمدان ١٨ م

٩٣ م

الأتراك ٧ م، ٩ م، ١٠، ١٣ م،

٢٢ م، ٢٣ م

الأحلاف (أسد و غطفان و ذبيان) ١١

أحمد — محمد رسول الله

أحمد (غلام) ٨١

أحمد (جد أبي فراس) ٨٣

أحمد بن بويه — ركن الدولة

أحمد بن أسد بن سامان ٢٤

أحمد بن طولون ١٦ م

أحمد بن علي بن طنج ١٧

الأخشيد — محمد بن طنج

الأخشيدون — بنو طنج

الأخطل ٥٦، ٥٧ م، ٥٧ ح، ٦٠٢

الإدارة ١٥ م ١٦

أدریس بن عبد الله بن الحسن ١٥ م

أرسطوطاليس — رسطاليس

أسحق بن إبراهيم ٣٠ م

أسد بن سامان ٢٤

أسفار بن شيرويه ٢٢ م

الأسكندر ٦٠

أسماء (اسم محبوبة) ٧٤

أسماء ذات النطاقين ٣٦ م

إسماعيل ٣٠

إسماعيل بن أحمد الساماني ٢٤ — ٢٥

الأطروش ٢١ م

الأغالبه ١٥ — ١٦

الأكراد ١٣، ١٨

ألب تكين ٢٥ م

ألبريك ٢٨ م

الأمويون — بنو أمية

الأمويون في الأندلس — المروانيون

الامين — محسن ٥٥٠ ٥

اناستاسيوس الثالث ٢٧

اوتو الاول ٢٨

اودو ٢٨ ، ٢٩

اكتافيان ٢٨

الاوييون ١٧

البابوية ٢٧ — ٢٨

الباجقني — عبد الغني ٥

بارداس فوكاس — بودروس بن مرديس

البارودي — محمود سامي ٥

باسيل الثاني ٢٦

الباقر — محمد الباقر

باقل ١١٢ ، ١١٢ ح

بجكم ١١ ، ١٢ م ، ١٣ ، ٢٢ م ، ٢٣ م

البحثري ٤ ، ٨٢ ، ١٠٠

برانجه الثاني ٢٨ م

البربر ١٥ م

البرقعي — علي بن محمد (صاحب

الزنج) ٨ م

بروكلان ٦

البريدي — بنو ١١ م

البريدي — ابو عبد الله محمد ١١ م ،

١٢ م ، ١٣

البريدي — ابو يوسف يعقوب ١١

البريدي — ابو الحسين ١١

بشار ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ م

بلصفر — بنو الاصفر

البغار ٢٦

بنو أسد ١١٠

بنو الاصفر ٣٠ م

بنو الاغلب — الاغلبة

بنو امية ١٤ ، ١٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢

بنو امية في الاندلس — المروانيون

بنو البريدي ١١ م

بنو بويه ١٠ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ،

٢٣ م ، ٢٤ م

بنو حرب ٩٩

بنو حمدان ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ — ٢٠ ،

٣١ ، ٣٢ م ، ٣٣ م ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٤٤ م ، ٥٢ م ، ٥٣ م ، ٥٥ ، ٦١ ،

٧٩ م ، ٨٠ م ، ٨٢ م ، ٨٣ م ،

٨٤ م ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ م ،

١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٥ ح

بنو ذبيان ١١٠

بنو ربيعة ١٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٨٣ ،

٨٣ ح ، ٨٦ ، ١١٧

بنو زارة ١٢١ ، ١٢١ ح

بنو الصفار ٢٠ — ٢١ ، ٢٤ م

بنو طنج ١٧ ، ١٩ م ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٠

بنو عامر ١٢٥ ، ١٢٥ ح

بنو العباس ٩٨ م ، ٩٨ ح ٩٩ م ،

٩٩ ح م ، ١٠٠ ، ١٠٠ ح ، ١٠٢

بنو عقيل ١١٦ ، ١١٧ — ١١٨

بنو علي ٨ ، ١٧ ، ٢١ ، ٩٨ م ، ٩٩ ح ،

١٠٠ ، ١٠٠ ح

بنو غطفان ١١٠

بنو قشير ١١٨

بنو كعب ٣٢ ، ٥٨ ، ١٠٥ ، ١١٧

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ح

بنو كلاب ٣٢ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٥

١٢٥ ح

بنو كليب ٣٢ ، ٥٧ ح

بنو المهنا ١١٦ ، ١١٨

بنو غنيم ٣٢ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ١٠٥ ،

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ح

بنو هاشم ١٥ ، ٩٣

بنو ورقاء ٦٦

بودروس بن مرديس ٩٣ ، ٩٣ ح

البيزنطيون — الروم

تغلب ٣٠

تميم ٣٠

توزون ٩ م ، ١٣ ، ٢٢

تيودورا ٢٧

تيوفيلاكوس ٢٧

الثعالي ٦ ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ١١٣

تيوفيلاكوس ٢٦ — ٢٧

الثريا بنت عبيد الله ١١٠

الجرجرائي — الحسن بن ايوب ٩

الجرمان ٢٨ م

جرير ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨

جعفر الصادق ٩٧ ، ٩٧ ح

جوهر الصقلي ١٧ م

الحارث — الحارث بن سعيد — ابو فراس

الحجاج بن يوسف ٣٦ ، ٥٨

الحسن ٩٦ ، ٩٧ ح

الحسن بن أيوب — الجرجرائي

الحسن بن بويه — معز الدولة

الحسن بن زيد ٢١ م

الحسن بن عبدالله بن حمدان — ناصر

الدولة

الحسن العسكري ٩٧ ، ٩٧ ح

الحسن بن علي بن الحسين — الاطروش

الحسن بن القاسم (صهر الاطروش) ٣١

الحسن بن محمد المهلب — المهلب

الحسين ٩٧ ، ٩٧ ح ، ١٠٠

الحسين بن الحسن ١٥

الحسين بن حمدان (ابو علي) ٩ ، ١٨ م

الحسين بن ناصر الدولة ١٩

حمدان بن حمدون ١٧ ، ١٨ م

الحسين بن علي بن حمدان — ابو العشائر

حمدان (جد ابي فراس) م ٨٣

حمدان قرمط م ١٠ ، ٤٥

الحمدانيون — بنو حمدان

حمزة ٣٦

الخنساء ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٧ ح

الخوارج ١٥ ، ١٦ ، ١٨ م ٢٠ م

درهم بن الحسن م ٢٠

دفوراك ٦

الدمستق ٩٢ ، ٩٢ ح ، ١٠٣ م

الدهان — الدكتور سامي ٤ ، ٥٤

٣٩ ، ٣٤

الديلم ٩ ، ١٠ م ، ١٣ ، ٢١ م ، ٢٢ ،

٢٣ — ٢٤

ذات النطاقين — اسماء

الراضي م ٩ ، ١١ م ، ١٢ م ، ١٦ ،

١٩ م ، ٢٣ ، ٣١

الرائقي — بحكم

رسطاليس ٦٠

رشيد القرمطي ٨

ركن الدولة م ٢٢ ، ٢٣ — ٢٤

روبير ٣٨

الرقى = ابو الجصين الرقى

رودولف الثاني م ٢٩

رولف ، رولون ٢٩

الروم ، البيزنطيون ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،

٣٠ ، ٣٤ م ، ٣٦ م ، ٣٧ ،

٣٨ م ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ م ،

٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٨٧ م ،

١٠١ م ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،

١١٣ م ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٢ ح ،

١٢٣ م ، ١٢٥ ح ، ١٢٦ ح ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣

رومانوس الاول ٢٦

رومانوس الثاني م ٢٦

الزرازيون = بنو زرارقة

زكروير ١٠

الزنج م ٨

الزياريون ٢٢

الزيديون ٢١ — ٢٢ ، ٢٣

زين العابدين = علي بن الحسين

سابور بن سليمان القرمطي ١٠

السامانيون م ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ — ٢٥

الساميون ٣٠

سحبان ١١٢ ، ١١٢ ح

مترجيوس الثالث ١٧ ، ٢٨

سعيد بن حمدان ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ م ،

٨٣ ، ٩٣

السفاح ١٥ ح

سليمان بن عبدالله بن الحسين م ١٥

سليمان القرمطي (ابو طاهر) ١٠

سيف الدولة ٥ ، ٩ ، ١٨ ، ١٩ م ،

٣٠ م ، ٣١ م ، ٣٢ ، ٣٣ م ،

٣٤ ، ٣٥ م ، ٣٦ م ، ٣٧ —

٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ م ، ٤٤ ، ٥١ م ،

٥٢ م ، ٥٣ م ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٣ —

٩٤ — ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ،

١٠٦ م ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ م ،

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ح ، ١٢٣ ،

١٢٣ ح ، ١٢٦ ، ١٢٦ م ح ، ١٢٧ م ،

١٢٩ م ، ١٣٢ م ، ١٣٥ م .

شارل الثالث الساذج ٢٩ م ٢٩ ح

شارل الثالث السمين ٢٩ م

شارلمان = قارله

الشيخ = بؤدروس بن مرديس

الشيظمي الشاعر ١٠٢ ، ١٠٣

الشيعة ١٥ ، ٤٤ م ، ٤٥ م ، ٩٦ م ،

٩٨ ح

الصاحب بن عباد ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ م .

صاحب الزنج = البرقي

صاف ٧٩ — ٨٠

صالح بن نصر الكناني ٢٠ م

الصباح مولى عمارة المخارقي ١١٦ ، ١١٨ ،

١١٨ ح

صخر ٥٧ ، ٥٧ ح

صلاح الدين الايوبي ١٧

الصفاريون — بنو الصفار

صفية بنت عبد المطلب ٣٦ .

الصليبيون ١٧

الضباب (حي) ٨٦

الطالبيون ٩٦

الطاهريون ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ — ٢٥

الطائع ١٣ م

طرفة بن العبد ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ .

الطفيل بن مالك ١٢١ ح

طلحة الموفق ٧ م ، ٨

طولون ، الطولونيون ١٦ ، ١٧

طيء ١١٠

عامر — بنو عامر

العامرية ٦٣ ، ٧٢

عامر بن مالك ١٢١ ح

عبد الله بن الحسن ١٥

عبد الله بن حمدان — ابو الهيثم .

عبد الله بن الزبير ٣٦

عبد الله بن عباس ٩٩ ح

عبد الله بن المعتز ٩ م ، ١١ ، ١٨ .

٥٤ ، ٦٧ .

عبدان القرمطي ١٠ م

عبد الرحمن الداخل ١٤ م .

عبد الرحمن الناصر ١٤ م .

عليه بنت المهدي ٩٩ ، ٩٩ ح
 عماد الدولة بن بويه ١٢
 عمارة الخارقي ١١٦
 عمر بن أبي ربيعة ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ١١٠
 عمر بن الخطاب ٧٠ ، ٩٨ ح م
 عمر بن الصغار ٢١ م
 عمرو بن العاص ١٣٢ ، ١٣٢ ح م
 عنزة ٥١ ، ٥٦
 الغزنويون ٢٥
 الغضنفر ١٩
 فاتك (غلام أبي فراس) ٧٩ م
 فاتك (آخر) ٧٩
 فاطمة ٩٧
 الفاطميون ٩ ، ١٦ م ، ١٧ م ، ٢٢
 الفرزدق ٥٦ ، ٥٧ م ، ٥٧ ح ، ١٠٢
 الفرس ٢٢ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨١ ، ٨١ م
 ٩٩ م
 فضل الدولة = الغضنفر
 الفلاسفة ٨٩
 قارله ٢٨
 القاهرة ٩ م ، ١١ م ، ١٨ ، ٢٢ م
 قثم بن العباس ٩٩
 القرامطة ٨ ، ١٠ م ، ١٧ ، ٣٢ ،
 ٥٣ ، ٨٤ ، ١١٦

العباسيون ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ م ، ١٢ ،
 ١٣ - ١٤ ، ١٥ ، ١٦ م ، ١٧ م ،
 ١٨ م ، ٢٠ ، ٤٤ ، ٤٥ م ، ٥٣ ،
 ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ح ، ٩٨ م ،
 ٩٩ م ، ٩٩ ح م ، ١٠٠ ، ١٠٠ ح
 ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ م
 عبيد الله بن العباس ٩٩ ، ٩٩ ح
 عبيد الله المهدي ١٦ ، ١٧
 عثمان بن عفان ٩٨ ح
 عجل العراق - ابن رائق
 العرب ١٥ ح ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٨
 ٤٢ - ٤٣ ، ٧٠ م ، ٧٦ ، ٨١ ،
 ٨١ ح ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 ١١٥ ، ١٣٣
 عرب الشمال ١٧ ، ٨٣ ح
 العجم - الفرس
 العلويون - بنو علي
 العلويون الزيديون - الزيديون
 علي - سيف الدولة
 علي بن أبي طالب ٩٧ م ، ٩٧ ح م ،
 ٩٨ ح م ، ٩٩ ح ، ١٣٢ ح م
 علي بن الحسين ٩٧ ، ٩٧ ح
 علي بن بويه ٢٢ م ، ٢٣ م م
 علي بن محمد - البرقي
 علي الرضا ٩٧ ، ٩٧ ح

قرغوية ٣٩

قسطنطين السابع ٢٥ ، ٢٦

قسطنطين الثامن ٢٦ ، ٩٢ ، ٩٢ م

قيصر ٦٣ م ، ١٢٧

القيسية ١٤

كافور الاخشيدي ١٧ م ، ١٩ م

كورتيكين ١٣ م

الكياي — سامي ٥

اللاتين ٢٨

لاندونيوس ٢٧

لقمان (جد لاي فراس) ٨٣

لقيط بن زرارة ١٢١ ح

لوي بن غالب ٤٣ ، ٨٤ ، ٨٤ ح

لويس الرابع ٢٩

ليو الثامن ٢٨

ماروزيا ٢٧

ماكان بن ماضي ٢٢ .

المأمون ١٦ ، ٢٠ م ، ٢٤ م

مبارك — زكي ٦

المبرقع الخارجي = نحمدان قرمط

المتني ٤ ، ٥ ، ٣٣ ، ٤٠ م ، ٤٣ ،

٥١ ، ٥٤ م ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ م ، ٦٠ م ،

٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ م ، ١١٥

المتقي ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ م

المتوكل ٧ ، ٢٠

المجر ٢٦

محمد رسول الله ٤٣ م ، ٨٤ م ،

٨٤ م ح ، ٩٧ م ، ٧٧ ح ، ٩٨ م ح ، ٩٩

محمد بن اقلح ١١١

محمد الباقر ٩٧ ، ٩٧ ح

محمد بن جعفر بن ورقاء = ابن ورقاء

محمد بن رائق = ابن رائق .

محمد بن زيد ٢١ م

محمد بن طنج الاخشيدي ١٢ ، ١٦ ،

١٧ م ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٢ ح م

محمد بن علي المنتظر ٩٧ ، ٩٧ م .

محمد بن قريع ١١٦ م

محمد بن مقاتل الكعبي ١٥

محمد الجواد ٩٧ ، ٩٧ ح

محمد النفس الزكية ١٥ م

مرداويج ١٢ ، ٢٢ م ، ٢٣

مروان بن محمد ١٥

المروانيون (في الاندلس) ١٤ ، ١٧

المستعين ٧ م

المستكفي العباسي ١٠٠ م ، ١٣ م ، ٢٣ م .

المسلمون ، المؤمنون النخ ٣٤ ، ٣٨ م

٣٩ م ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،

١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ م ، ١٤٠

مضر ٣٠

المطيع ١٠ م ١٣ ، ٢٤

معاوية ١٤

معبد بن زرارة ١٢١ ، ١٢١ ح م

المعتز ٧ ، ١٦

المعتصم ٧

المعتضد ٧ — ١١ ، ١٨ م ٢١ ، ٢٥

المعتد ٧ م ٨ ، ٢٤

معز الدولة ١٠ ، ١٣

المقتدر ٧ م ٩ ، ١١ م ١٤ ،

١٨ م ٢٤

المقتفي ١٨

المقدونية (الاسرة) ٢٥

المكتفي ٨ ، ٩ م ١٣ ، ١٦

المنتصر ٧ م

منصور (غلام ابي فراس) ٣٣ م ،

٧٩ — ٨٠ ، ١١١

المنصور العباسي ١٤ ، ١٥

المنصور الفاطمي — تزار العزيز

المهتدي ٧ م

المهدي العباسي ١٥

المهدي الفاطمي — عبيد الله المهدي

المهلي ٢٣ م

مهمل بن نصر بن حمدان — ابو زهير

موسى الكاظم ٩٧ ، ٩٧ ح

الموفق — طلحة الموفق

مؤنس المظفر ٩ ، ١١ م

النايفة ١٠٢

ناصر الدولة ١٨ ، ١٩ م ٣١ ، ٣١ م ٤٣ ، ١٠٣

النبي — محمد رسول الله

الندي بن جعفر ١١٦ م ١١٧ ، ١١٨

نزار ٥٧ ، ٨٣ م ٨٣ ، ح ١١٧ م

نزار العزيز ١٧

النصاري ٤٤ م ١٢٠ م

نصر بن احمد الساماني ٢٤ م

النفس الزكية — محمد النفس الزكية

نقفور الثاني فوقاس ٢٦ ، ٣٧ ، ٤٤

٤٤ ح ٩٣ ، ٩٣ ح

نقولا الاول ٢٧ م

النورمانديون ٢٩ م

نيكلسون ٦

هارون الشاري الخارجي ١٨ م

هرون الرشيد ١٥ م ١٦ ، ٣٢

هوغ كابت ٢٩

هوغ الكبير ٢٩ م

واثل ١٧ ، ٣٠ م

وشكير بن زيار ٢٣ م

يحيى بن عبد الله بن الحسن ١٥ م

يعقوب الصفار ٢٠ م ٢١ ،

يمن اليمنية ١٤ ، ٥٨

يوحنا العاشر ٢٧ — ٢٨

يوحنا الحادي عشر ٢٨ م

يوحنا الثاني عشر ٢٨ م

فهرست الكتاب



٣	الكلمة الاولى : عفة ابي فراس
٤	مصادر هذه الدراسة ومراجعها
٧	صورة العصر في الشرق والغرب
٣٠	موجز ترجمة ابي فراس
٤٠	عناصر شخصيته
٥٤	خصائصه الفنية
١١٦	مختارات من شعر ابي فراس
١٤١	فهرست ابجدي

نخبة من دراسات وكتب

للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي
استاذ الفلسفة الاسلامية والادب العربي
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

دراسات قصيرة

- ١- الحجاج بن يوسف
- ٢- عمر ابن ابي ربيعة
- ٣- عبدالله بن المقفع
- ٤- الرسائل والمقامات
- ٥- ابن الرومي
- ٦- احمد شوقي
- ٧- ابن خلدون
- ٨- اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية (الطبعة الثانية)
- ٩- شعراء البلاط الاموي
- ١٠- الفارابي : الفارابي وابن سينا
- ١١- اربعة ادباء معاصرين
- ١٢- خمسة شعراء جاهليين
- ١٣- بشار بن برد
- ١٤- نهج البلاغة
- ١٥- اخوان الصفا
- ١٦- ابن باجة

الثلثون بالقرش اللبناني

- ٤٠ (الطبعة الثانية)
- ٧٥ (الطبعة الثانية)
- ٤٠ (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ (الطبعة الثانية)
- ٥٠ (الطبعة الثانية)
- ٦٠ (الطبعة الثانية)
- ٥٠ (الطبعة الثانية)
- ٧٥ (الطبعة الثانية)
- ١٢٥ (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ (الطبعة الثانية)
- ١٥٠ (الطبعة الثانية)
- ١٢٥ (الطبعة الثانية)
- ٥٠ (الطبعة الثانية)
- ١٥٠ (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ (الطبعة الثانية)

١٢٥	١٧ — ابن طفيل
٢٠٠	١٨ — التصوف في الاسلام
١٥٠	١٩ — الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
١٠٠	٢٠ — موضوعات محلة في تاريخ الفلسفة الاسلامية
١٥٠	٢١ — ابو فراس

دراسات أخرى

١٥٠	(الطبعة الثالثة)	ابو نواس : دراسة ونقد
٥٠		ابو نواس : مختارات
١٠٠		ابو تمام
٢٠٠	(الطبعة الثانية)	حكيم المعرة
٣٠٠	(الطبعة الثانية)	عبقرية العرب في العلم والفلسفة
١٥٠	(الطبعة الثالثة)	الاسلام على مفترق الطرق
١٠٠		نحو التعاون العربي
(نقد)		دفاعاً عن العلم
٥٠		دفاعاً عن الوطن

600 — Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung
von der Hira bis zum Tode Umars, I — 23 d. H.
(622 - 644 n. Ch. , Leipzig 1937,)

٤٠٠	الاسرة في الشرع الاسلامي
١٠٠	الثقافة العربية في الشرق الاوسط
٢٥	الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس)
١٥٠	باكستان دولة متعيش
(نقد)	سفينة الحيوانات (مغناة تمثيلية للاطفال)
٢٥٠	البشير والاستعمار في البلاد العربية

